القوافي

مجلة شهرية تصدر عن دائرة الثقافة بالشارقة
السنة الرابعة - العدد (32) - ابريل 2022

تُعنى بالشعر والأدب العربي

جميل بُثينة..
المنتصر بالحبّ حتّى النّهاية

نجيب كيّالي:
الأدب صديقٌ أهمسُ له بأحزاني

جازان
أصالة الماضي وإشراقة الحاضر

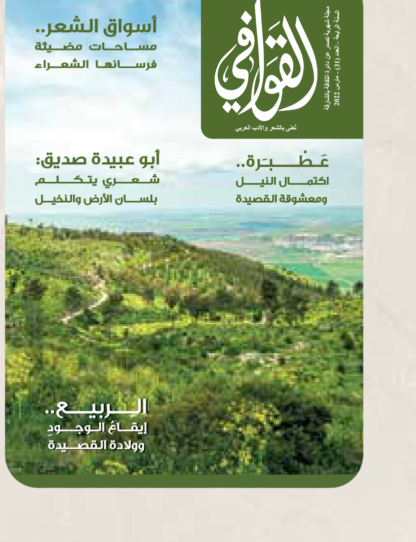


المَها..
أميرات الصحراء في القصيدة العربية



إصدارات مجلة القوافي











ص.ب: 5119 الشارقة - الإمارات العربية المتحدة
الهاتف: 5683399 6 971+ البرّاق: 5683700 6 971+
البريد الإلكتروني: qawafi@sdc.gov.ae
الموقع الإلكتروني: www.sdc.gov.ae
poetryhouseshj

الشعر العربي
حضورٌ متجدّد

شكلت الأبيات الخالدة في الشعر العربي، ظاهرة تستحق التوقف؛ فمنذ العصر الجاهلي إلى عصرنا الحديث، ولا تزال بعض الأبيات تسير بها الركبان، وتردّدها الألسن، وتُضرَب بها الأمثال، وهو ما شكل لغزاً محيّراً، وسؤالاً لا ينتهي؛ فما سبب هذا الخلود والبقاء؟ وكيف لبيتٍ واحدٍ أن ينشر الدهشة ويلوّن الحياة بالجمال، وينتشر بين الناس انتشاراً واسعاً؟ فأبيات الشعر الخالدة هي بمنزلة النجوم التي يسهر على ضوئها عشّاق الليل والسّمر، ويلجأ إليها من أراد أن يتمثل بحكمة الأوائل، وتكون مفتاحاً للعبور إلى قضاء الحاجات، والوصول إلى ما تطمح إليه النفس من غايات، وأنهاراً رافدة تغذّي الحياة ويُزهر على ضفافها ورد المحبّة والأنس والسكينة والجمال، وهو ما تطرحه «القوافي» في إطلالتها، حيث تبرز بعض الأبيات الخالدة، ضمن كنز شعريّ لا ينتهي.

وفي هذا الشهر تتجلّى القصائد التي تناجي الخالق بأعذب الأبيات وأرقّها، النابعة من سكينة الرّوح وصفاء القلب؛ فقصائد المناجاة لها دلالاتها الخاصة، فهي مناخٌ تعبّدي بالشعر، وجنس أدبي تتجلّى فيه الكلمة الصادقة، وهي تعلو بالروح إلى سماوات القرب والدّعاء.

وتستمر «القوافي» في فتح مساحة للقاءات مع الشعراء على مختلف تجاربهم، لتضيء على مسيرتهم الشعرية وتطورها على مرّ الأيام.

كما تمضي في فتح الأبواب والسفر إلى عوالم بعض المدن التي تزخر بالشعر، وتتنفّس بالقصيدة، وفي هذا العدد تتجلّى مدينة «جازان» بالمملكة العربية السعودية، التي تكتنز بين ديانها جزالة اللغة وفنون الكلام، وتزخر بالكثير من الأسماء الشعرية التي سطّرت أروع القصائد، وتناغمت مع طبيعة المدينة المخضرّة بالمحبة، والمتدفقة بماء الشعر من جيلٍ إلى آخر.

ولأنّ الشعر العربي يمثل ضرورة وحاجة للعربي، فهو وطيد الصلة مع اللغة، وعبر مقالٍ نقدي تفتح «القوافي» الرّؤى عن علاقة الشعر باللغة وضرورته، لما يربط بينهما من أواصر في التمثيل الدّلالي والمجاز. كما يتطرق مقال حسين الضاهر، إلى الصّوم وحضوره الأدبي، عبر بوح الشعراء بمواجد مرهفة الإحساس، نقيّة العبارة، سلسة المعنى؛ فشهر رمضان نال مكانة رفيعة في الأدب العربي.

كما تتوقف المجلة عند العصر الأموي، لتسبر أغوار تجربة الشاعر جميل بثينة، وسماتها ومسيرتها وحضورها في الذاكرة الشعرية الخالدة إلى عصرنا هذا. وتتوقف كذلك عند رمزية «المها» في الشعر العربي وحضورها، وتفنُّن الشعراء في تشبيه جمال المحبوبة بها؛ فديوان الشعر العربي زاخرٌ بالقصائد التي تستلهم جمال المها العربي، وتربطه بدلالات مرتبطة بالذات والشعور. كما تبحث «القوافي» في ظاهرة الشعراء الفقهاء وسمات قصائدهم، وتتصفّح كذلك الكتب المهمّة لأبرز الشعراء، وخصوصاً الشباب الذين يجدّدون دماء القصيدة العربية بنتاج شعري بديع؛ فالشارقة تفتح الأبواب لكل تجربة تفد بألقها، لتسطر حروفاً من ضوء ودهشة في المشهد الشعري العربي.

أما قبل



مجلة شهرية تُعنى
بالشعر و الأدب العربي
تصدر عن دائرة الثقافة
العدد (32) - إبريل 2022



الأسعار :

- الإمارات: 5 دراهم	- السعودية: 10 ريالات
- البحرين: 500 فلس	- الكويت: 0.500 دينار
- سلطنة عمان: 0.500 ريال	- مصر : 5 جنيهات
- الأردن: ديناران	- تونس: 3 دنانير
- المغرب: 15 درهما	- قطر: 5 ريالات

وكلاء التوزيع:

- الإمارات : شركة توزيع، الرقم المجاني : 8002220
- السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع - الرياض- هاتف : +966114871414
- البحرين : مؤسسة الأيام للنشر، المنامة - هاتف : +97327617733
- الكويت : مجموعة النظائر الإعلامية، الكويت، هاتف : +96524746500
- سلطنة عُمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - مسقط - هاتف: +96824700895
- مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع : القاهرة، هاتف : +20232704323
- الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : عمّان - هاتف : +96325358855
- تونس : الشركة التونسية للصحافة -تونس - هاتف : +20232704323
- المغرب: سوشبرس للتوزيع - الدار البيضاء - هاتف: +213223289121
- قطر: شركة توصيل- الدوحة، هاتف: +97444557810

عناوين المجلة

الإمارات العربية المتحدة، حكومة الشارقة
دائـرة الثقـافة
ص.ب: 5119، الشارقة
هاتف : +97165683399
برّاق : +97165683700
Email: qawafi@sdc.gov.ae
poetryhouse@sdc.gov.ae
WWW.sdc.gov.ae

شعراء العدد:

محمود حسن
شيخنا أحمد تجاني امبودج
طلال الجنيبي
صُهيب نبهان
تهاني الصّبيح
حنان فرفور
بدرية البدري
عبدالعزيز الهمّامي
نجيب كيّالي
محمد السامرائي
حمزة اليوسف
عبدالرزاق الربيعي
عُلا خضارو
حسام شديفات
محمد محمود بلبلاه
عماد افقير
محمد المحبوبي
أحمد الجميلي
إينانة الصالح
حازم مبروك
أحمدو بولمساك
فواز الشروقي
أحمد عبدالفتاح
شيريهان الطيب
محمد العيّاش
عمر الراجي

ألا لَيْتَ رَيْعانَ الشّبابِ جَديدُ

جَميل بُثَينة

العصر الأموي

خَليلَيَّ ما أَلْقى مِنَ الوَجدِ باطِنٌ
وَدَمْعي بِما أُخفي الغَداةَ شَهيدُ
أَلا قَدْ أَرى وَاللَهِ أَنْ رُبَّ عبْرَةٍ
إِذا الدّارُ شَطَّت بَيْنَنا سَتَزيدُ
إِذا قُلْتُ ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتِلي
مِنَ الحُبِّ قالَت ثابِتٌ وَيَزيدُ
وَإِنْ قُلتُ رُدّي بَعْضَ عَقلي أَعِشْ بِهِ
تَوَلَّت وَقالَتْ ذاكَ مِنكَ بَعيدُ
فَلا أَنا مَرْدودٌ بِما جِئتُ طالِباً
وَلا حُبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ
جَزَتْكِ الجَوازي يا بُثَينَ سَلامَةً
إِذا ما خَليلٌ بانَ وَهُوَ حَميدُ
وَقُلْتُ لَها بَيْني وَبَيْنَكِ فَاعْلَمي
مِنَ اللَّهِ مِيثاقٌ لَهُ وَعُهودُ
وَقَدْ كانَ حُبّيكُمْ طَريفاً وَتالِداً
وَما الحُبُّ إِلّا طارِفٌ وَتَليدُ
وَإِنَّ عَروضَ الوَصْلِ بَيْني وَبَيْتَها
وَإِنْ سَهَّلَتهُ بِالمُنى لَكَؤودُ

وَأَفنَيْتُ عُمْري بِانتِظارِيَ وَعْدَها
وَأَبْلَيتُ فيها الدَّهْرَ وَهوَ جَديدُ
فَلَيْتَ وُشاةَ النّاسِ بَيْني وَبَيْنَها
يَدوفُ لَهُم سُمّاً طَماطِمُ سودُ
وَلَيْتَهُمُ في كُلِّ مَمْسىً وَشارِقٍ
تُضاعَفُ أَكبالٌ لَهُم وَقُيودُ
وَيَحسَبُ نِسوانٌ مِنَ الجَهلِ أَنَّني
إِذا جِئْتُ إِيّاهُنَّ كُنتُ أُريدُ
فَأَقسِمُ طَرْفي بَينَهُنَّ فَيَسْتَوي
وَفي الصَّدْرِ بَوْنٌ بَينَهُنَّ بَعيدُ
أَلا لَيْتَ شِعْري هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً
بِوادي القُرى إِنّي إِذَنْ لَسَعيدُ
وَهَلْ أَهبِطَنْ أَرْضاً تَظَلُّ رِياحُها
لَها بِالثَّنايا القاوِياتِ وَئيدُ
وَهَلْ أَلقَيَنْ سُعْدى مِنَ الدَّهرِ مَرَّةً
وَما رَثَّ مِنْ حَبْلِ الصَّفاءِ جَديدُ
وَقَد تَلتَقي الأَشتاتُ بَعْدَ تَفَرُّقٍ
وَقَدْ تُدرَكُ الحاجاتُ وَهيَ بَعيدُ



تعدّ من عيون الشعر وتميّزت بالقوة والانتشار

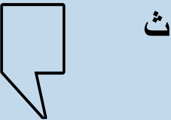
أبياتٌ خالدةٌ لا يخفت بريقها





د. حنين عمر
الجزائر

تزخر بحار الشعر العربيّ، بأبيات خالدة تشبه الدّرر الثمينة التي لا يخفت لمعانها ولا تقلّ قيمتها، مهما تعاقبت عليها العصور والحضارات، ولا تقلّ قيمتها ولا تبلى دهشتها مهما جاء بعدها من إبداعات، فكأنها رسخت كنجوم في صفحات سماء الأدب، ليهتدي بها الشعراء العابرون في رحلاتهم نحو القصيدة. وأصبحت جزءاً من التراث الأدبي الذي يعيد إنتاج نفسه في النصوص الجديدة، وامتدت كروافد الأنهار قادمةً من الماضي في رحلة تناصّ وتداخل مع حقول الشعر الواسعة.



أصبحت جزءاً من التراث يعيد إنتاج نفسه

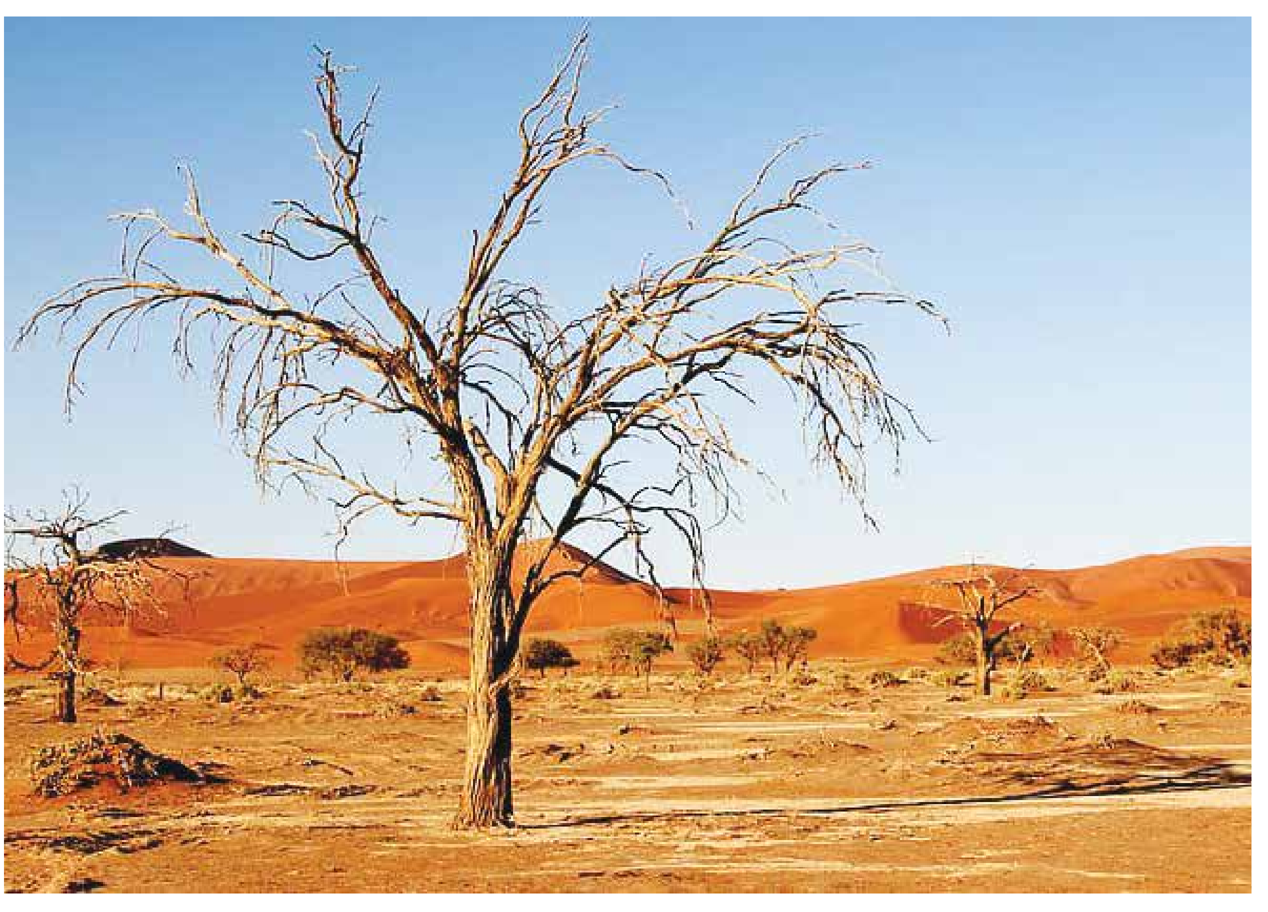
وإنْ كانت كثير من الدراسات، أحاطت بعوالم القصائد المشهورة ونقبت طويلاً في أسباب انتشارها وبقائها متداولة لقرون، فإن أسرار الأبيات الخالدة بمفردها، ما تزال مثقلة بغموضها، ولم تكشف بعد عن تلك اللّمسة العجيبة التي تجعل بيتاً واحداً، قادراً على البقاء بمفرده والتغلغل في الذاكرة الإنسانية بهذا القدر من التأثير والانتشار.

العصر الجاهلي

من الملاحظ أن ظاهرة الأبيات الخالدة قديمة قدم الشعر العربي، ولها جذر متأصل في التاريخ، يعود إلى العصر الجاهلي، إذ نجد عدداً من الأبيات الشعرية التي ظلت محتفظة ببريقها وشهرتها لقرون طويلة؛ فلم ينل منها سيف النسيان الحاد، ولم يتمكن من قطع ذكرها حتى الآن، كما عرف بعضها بكونه علامة فارقة في مسارات المشهد الشعري وتطوراته وأحداثه؛ ومن أشهر تلك الأبيات، مطلع معلقة امرئ القيس، الذي يعدّ منعطفاً لتحولات القصيدة العربية، وهو ما يقول فيه:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ





وقد جعله هذا البيت أول من بكى واستبكى، وأرّخ بذلك لما يسمّى بالمقدمة الطّللية التي تميزت بها القصائد الجاهلية، وشاعت على نطاق واسع، وأصبحت فناً قائماً بذاته، وجزءاً من أيّ نصّ ذي ثقل. ولكن من غرائب الأمور أيضاً أن يشتهر هذا البيت الأول دون الذي يليه الذي يقول فيه:

فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لـم يَعْفُ رَسْمُهَا
لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ

فإن كان من الدارج أن يتكرر الأول في الأذهان وعلى الأسماع لقرون، فإنه نادراً ما يعرف غير المختصين والدارسين البيت الثاني، ولكن على بعد خمسين بيتاً يظهر بيت آخر مشهور من هذه المعلقة، وهو:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً
كَجُلْمُوْدِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وهذا البيت رغم وجوده في داخل القصيدة وبعيداً عن الأول، فإنه استطاع أن يتخذ لنفسه مكانة تاريخية لا مثيل لها، وتفنّن الباحثون في تأويله والحديث عن إبداعه في وصف حركة الخيل وسرعتها أثناء عدوها. كما تداوله الشعراء والمهتمون وظل حاضراً بقوة حتى اليوم، في الأحاديث والبحوث وعند المتخصّصين وعامة الناس على السواء. وقد جاء عنه في شرح الزوزني «هذا الفرس مِكَرّ إذا أريد منه الكرّ، ومِفَرّ إذا أريد منه الفرّ، ومقبل إذا أريد منه إقباله، ومدبر إذا أريد منه إدباره، وقوله: «معاً»، يعني أن الكرّ والفرّ والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله؛ لأن فيها تضاداً. ثم شبهه في سرعة مَرِّه وصلابة خلقه بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عالٍ إلى حضيض». فما الذي يجعل بضعة أبيات فقط تشتهر من بين عشرات في النص؟

وتتكرر هذه الظاهرة في معلقة عنترة بن شداد، ذات المطلع الشهير:

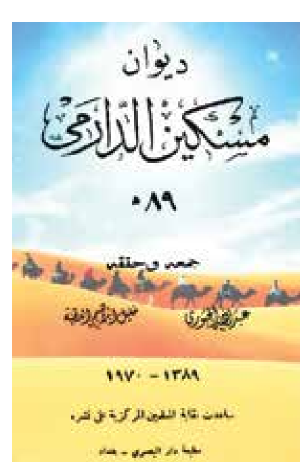
هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ
أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

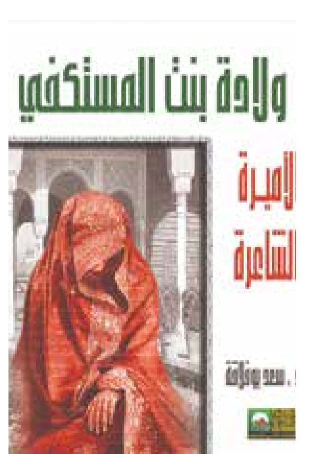
حيث يشتهر منها عدد من الأبيات دون غيرها، وهي:

ولقد ذكرْتُكِ والرِّماحُ نواهلٌ
منّي وبيْضُ الهِنْدِ تقْطُرُ منْ دمي
فَوَدِدْتُ تقبيلَ السّيوفِ لأنّها
لَمَعَتْ كبارقِ ثَغْركِ المُتَبَسِّمِ

ومن الواضح أن الأبيات التي اشتهرت من معلقة عنترة، تدور جميعها، عدا البيت الأول في فلك قصة حبه لابنة عمه عبلة، ربّما لأنّ الذاكرة الشعبية أحاطت قصتهما بالكثير من الاحتفاء والدعم، ونسجت حولها السير، واستلهم منها الشعراء والأدباء.







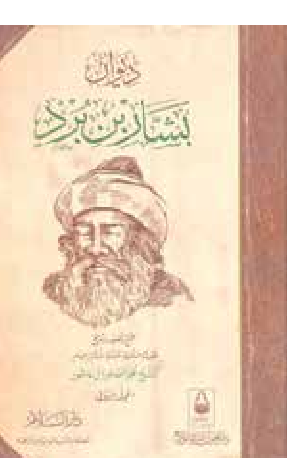
ظاهرة الأبيات الخالدة قديمة قدم الشعر العربي

وإن واصلنا دراسة الأبيات الشهيرة في العصر الجاهلي، فإن الملاحظ أن أغلبها مرتبط بالمعلقات، مثل قول عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلا تَعْجَلْ عَلَيْنا
وَأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقينا
بِأَنّا نورِدُ الرّاياتِ بيضاً
وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَد رُوينا

فمعلقة عمرو بن كلثوم الغاضبة، تماهت في الذاكرة بصورها الشعرية المتحدية والمتعالية تحديداً، وبتلك التي تدقّ طبول الحرب والغرور، ومنها قوله:

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا
فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِيْنَا





إضافة إلى خاتمتها الشهيرة:

إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ
تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

وإذا واصلنا البحث في المعلّقات، فإنّ الملاحظة تتكرر أيضاً في مطلع معلقة الأعشى:

ودّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ
وهَلْ تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرَّجُلُ

إضافة إلى بَيْتين من معلقة طَرَفة بن العبد، أولّهما:

سَتُبْدي لكَ الأيّامُ ما كُنْتَ جاهِلاً
ويَأتيكَ بالأخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

والثاني:

وَظُلْمُ ذَوي القُرْبى أَشَدُّ مَضاضَةً
عَلى المَرْءِ مِنْ وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ



ومن كل ما سبق، فإن من الواضح، أنّ للمعلقات هيمنة كبيرة في عدد الأبيات الخالدة في ذاكرة الشعر العربي، وهذا مبرر جداً، بسبب انتشارها وعدّها من عيون الشعر؛ فمن الطبيعي أن تكون فيها أبيات مميّزة وقوية وواسعة الانتشار.

لكن استثناءات تظهر بين الحين والآخر في الشعر، ويمكن أن تشتهر أبيات لشعراء ولا تشتهر أسماؤهم البتة، مثل بيت للشاعر الجاهلي عمرو بن معد يكرب وهو:

لَقَدْ أسْمَعْتَ لَوْ نادَيْتَ حَيّاً
ولكنْ لا حَياةَ لِمَنْ تُنادي

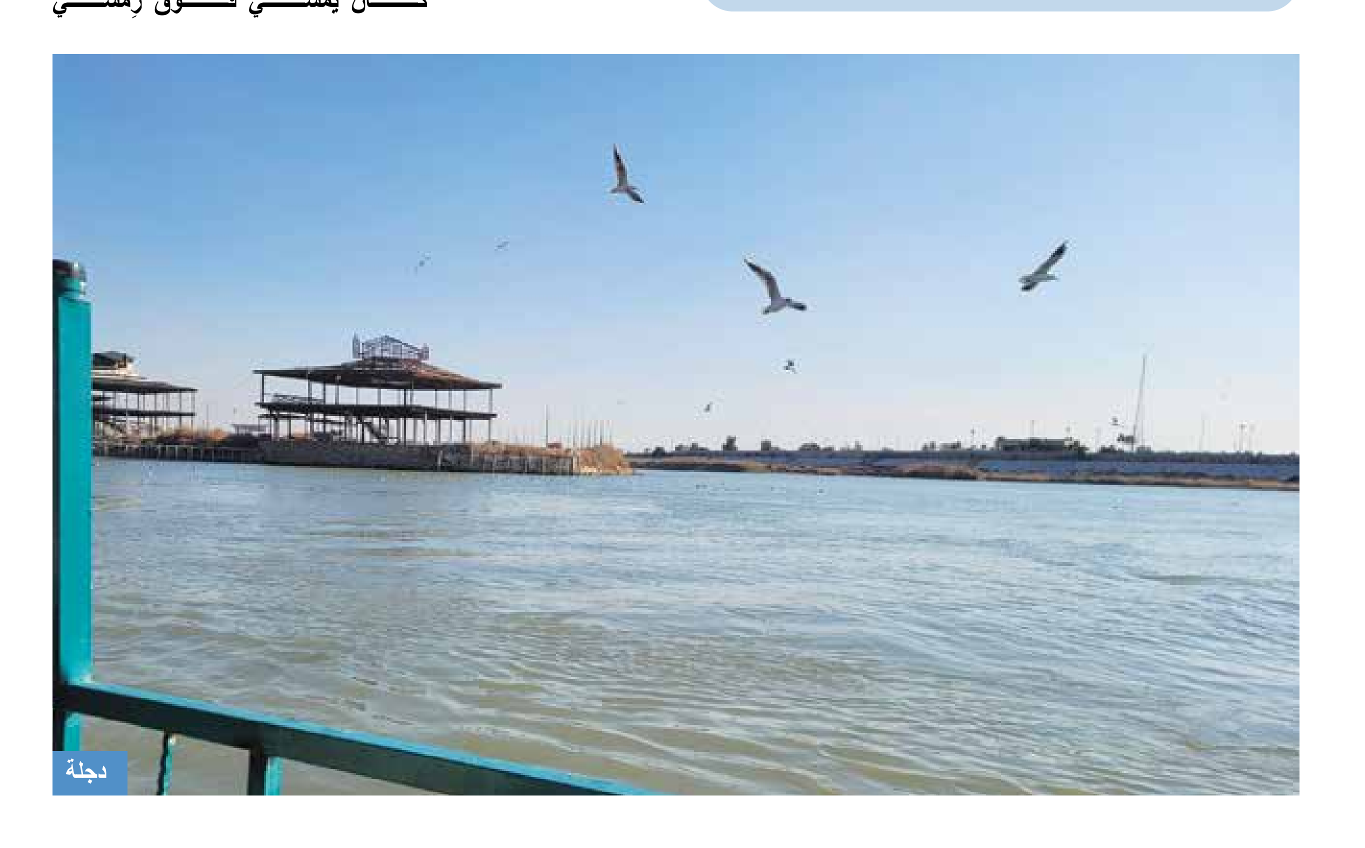
فرغم انتشار هذا البيت، على المستوى الشعبي الواسع، فإنه من النادر أن يعرف شخص ما اسم قائله.

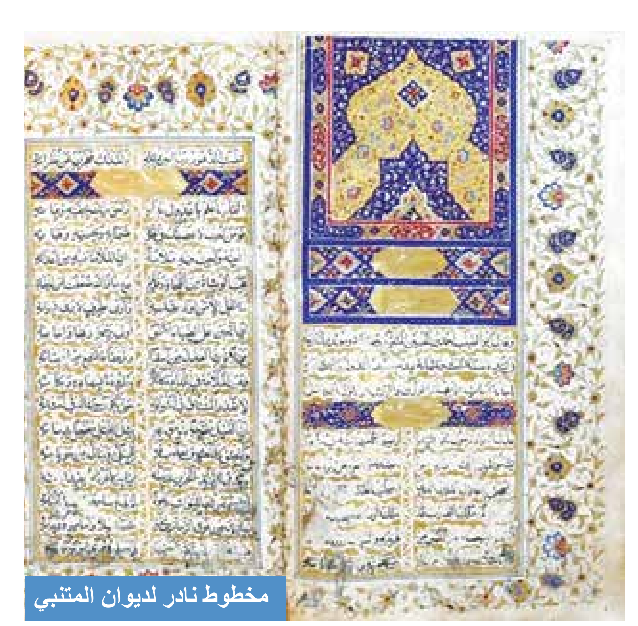
كما لا بدّ في النهاية من التطرق لنموذج نسائي ضمن الأبيات الشهيرة في العصر الجاهلي وهو للخنساء، التي قالته في رثاء أخيها صخر:

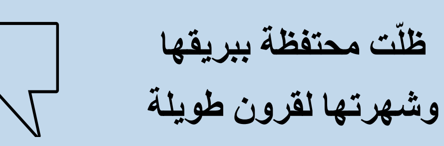
أَعَينَيَّ جُودا وَلا تَجْمُدا
أَلا تَبْكِيانِ لِصَخْرِ النَّدى
أَلا تَبْكِيانِ الجَريءَ الجَميلَ
أَلا تَبْكِيانِ الفَتى السَيِّدا

واشتُهرت أبيات أيضاً نسبت إلى اليمامة بنت كليب، وكانت رثاء أيضاً:

الهُوَيْنى كانَ يَمْشي
كانَ يَمْشي فَوْقَ رِمْشي


دجلة


مخطوط نادر لديوان المتنبي



ويبدو شعر النساء المشهور – على ندرته - في الجاهلية، كان كله في الرثاء، فلا نجد أبياتاً شهيرة في الغزل أو الفخر أو المدح، مرتبطة بأسماء الشاعرات، في حين يحتل الرثاء الحيّز الأكبر من نصوصهنّ.

العصر الأموي

لم يعرف العصر الأموي زخماً كبيراً في انتشار أبيات دون غيرها، وساد فيه توازن في مكوّنات القصيدة، لكن على سبيل المثال، يمكن أن نذكر بيتاً لمِسكين الدارمي يقول فيه:

قُلْ لِلْمَليحَةِ في الخِمارِ الأسْوَدِ
ماذا فَعَلْتِ بِزاهِدٍ مُتَعبِّدِ

ولهذا البيت قصة وميزة، وهي أن أحد التجار طلب من الدّرامي أن يساعده على بيع الخُمُر السوداء المتكدّسة في محله، فألّف الشاعر هذا النصّ، واشتُهر بين الناس لتعارضه مع حال شاعره الذي كان ناسكاً متعبّداً وزاهداً. فاستغرب الناس قوله وهو على تلك الحال من الابتعاد عن ملذّات الدنيا، والانصراف للعبادات، ما جعل الأبيات تشتهر على نطاق واسع. أما ميزة البيت فتتمثل في كونه أصبح منجماً للاقتباس، وما زال حتى يومنا هذا صورة شعرية تتكرر الإشارة إليها في قصائد الشعراء.

ومن الأبيات الشهيرة في العصر الأموي، قول قيس بن الملوّح المعروف بـ»مجنون ليلى»:



يَقولونَ لَيْلى بِالعِراقِ مَريضَةٌ
فيا لَيْتَني كُنْتُ الطَّبيبَ المُداويا

وقوله أيضاً:

وَقَدْ يَجْمَعِ اللَهُ الشَّتيتَينِ بَعْدَ ما
يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لا تَلاقِيا

للمتنبّي عدد كبير منها يزيّن عِقد الشعر

لقد كان العصر الأموي إذن شحيح المطر، فلم تهطل أبيات كثيرة خالدة على امتداد سهوله، رغم وفرة شعرائه وتميزهم، ولعل هذا مرتبط بالأحوال السياسية والاجتماعية، أكثر من ارتباطه بالحالة الأدبية للمشهد الشعري في ذلك العصر.

العصر العباسي

ومع دخول العصر العباسي، انتهى الجفاف، وحل طوفان من القصائد البديعة والتجارب المميزة التي كان أغلبها محملاً بعدد كبير من الأبيات الخالدة، التي ما تزال حاضرة بقوة حتى اليوم في وجدان الناس، وإن شئنا الاطلاع على أهمها، فإن أول اسم يتصدر القائمة هو أبو الطيّب المتنبّي، بلا جدال.

فلأبي الطيّب عدد كبير من الأبيات التي تزيّن عقد الشعر على جيد التاريخ، وأشهرها بيته المعروف:

الْخَيْلُ واللّيْلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُني
والسَّيْفُ والرُّمحُ والقِرطاسُ والقَلمُ

كما له مجموعة أبيات أخرى شهيرة جداً، نذكر منها:

بِذا قَضَتِ الأيّام ما بَيْنَ أهْلِها
مَصائبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوائدُ

والشطر الثاني في هذا البيت أشهر من الأول. وقال أيضاً:

عَلى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأتي العَزائمُ
وَتأتي عَلَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارمُ
وَتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغيرِ صِغارُها
وَتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظيمِ العَظائمُ

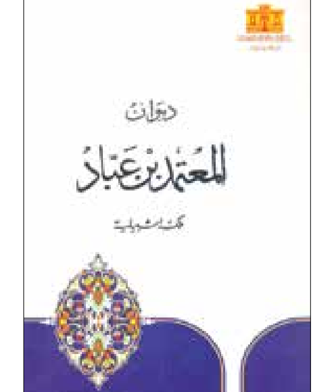
وتطول قائمة الأبيات الشهيرة للمتنبّي، فقد كانت له بصمة لا يمكن تكرارها في مدوّنة الشعر العربي، وأثر لا يزول من صفحاتها، فكان من الطبيعي وهو أشعر شعراء زمانه، أن يأخذ نصيب الأسد من هذه الظاهرة الشعرية الغريبة.

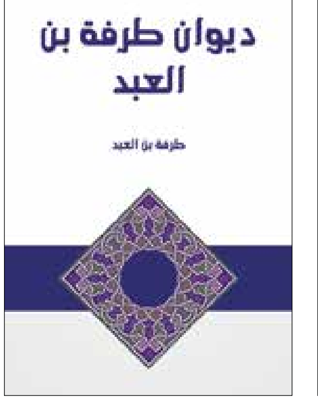
لكن لغير المتنبي من الشعراء نصيب أيضاً، فأغلب الشعراء الكبار في العصر العباسي، اشتهرت من نصوصهم أبيات، ظلت في الذاكرة، ويمكن أن نذكر عدداً منهم، أولهم أبو العتاهية ببيت عن حال الحياة والتقدم في السنّ، فيقول:

ألا لَيْتَ الشَّبابَ يَعودُ يَوْماً
فَأُخبِرَهُ بِما فعلَ المَشيبُ









ثم أبوتمّام:

السَيْفُ أَصْدَقُ إنْباءً مِنَ الكُتُبِ
في حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ
بيضُ الصَّفائِحِ لا سُودُ الصَحائِفِ في
مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِّيَبِ

وللشاعر أبي فراس الحمداني قصيدة طويلة يقول فيها:

أرَاكَ عَصِيَّ الدّمعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ
أما للْهوى نَهْيٌ عَلَيْكَ ولا أمْرُ؟
بَلى أنا مُشتاقٌ وعِنْديَ لَوْعَة
ولكنَّ مِثْلي لا يُذاعُ لَهُ سِرُّ!

ولأبي فراس أبيات شهيرة متداولة بين الناس، ولكن دون نسبها إليه، وتغنّى بها كثير من المغنّين دون معرفة قائلها، وهي:

فَلَيْتَكَ تَحْلو والْحَياةُ مَريرةٌ
ولَيْتَكَ تَرْضى والأنامُ غِضابُ
ولَيْتَ الّذي بَيْني وبَيْنك عامِرٌ
وبَيْني وبَيْنَ العالَمينَ خَرابُ
إذا صَحَّ مِنْكَ الوُدُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ
وكُلُّ الذي فَوْقَ التُّرابِ تُرابُ

ومن الأبيات الشهيرة أيضاً وشطرها الثاني أشهر من الأول، ما قاله الطّغرائي، فأصبح مثلاً بين الناس:

أُعَلّلُ النَّفْسَ بالآمالِ أَرْقُبُها
ما أضْيَقَ العَيْشَ لَوْلا فُسْحةُ الأمَلِ

ومن عجائب الشعر وظواهره هنا، أن يكون أشهر بيت لأبي نواس، بيت يستغفر فيه الله عما اقترف من آثام، رغم أن أغلب شعره كان بعيداً كل البعد عن هذه النزعة الدينية التي ظهرت بين طياته، وبقي بها متداولاً بين الناس، عكس بقية كتاباته، وهو ما يقول فيه:

يـا رَبِّ إنْ عَظُمَت ذُنوبـي كَثْـرَةً
فَلَقَـدْ عَلِمْـتُ بِـأَنَّ عَفْـوَكَ أَعْظَـمُ

ومن الأبيات الشهيرة أيضاً قول بشار بن برد:

يـا قَـومُ أَذْنـي لِبَعْـضِ الحَـيِّ عاشِـقَةٌ
وَالأُذْنُ تَعْشَـقُ قَبـلَ العَيْـنِ أَحْيانـا

ومن الواضح أن العصر العباسي كان عصراً ذهبياً في مسار ظاهرة البيت المشهور، وقد ساعد في ذلك المناخ الأدبي المنتعش الذي ساد فيه.

العصر الأندلسي

لم يكن العصر الأندلسي غزيراً في جداول الأبيات المشهورة، فالنماذج قليلة ومحدودة، لعلّ أشهرها قول ولّادة بنت المستكفي:

أنـــا واللـــهِ أَصْلُـــحُ لِلْمَعالـــي
وأَمْشـــي مِشْـــيَتي وأتيـــهُ تيهـــاً

وقول ابن زيدون:

أضْحَـــى التّنائـــي بَديـــلاً مـــنْ تَدانِينَـــا
وَنَـــابَ عَـــنْ طيـــبِ لُقْيانَـــا تجافينَـــا

كما يمكن أن نعرّج على تجربة المعتمد بن عبّاد، وتحديداً على قصيدته التي يرثي فيها نفسه، واقتبس منها كثير من الشعراء مصطلح «قبر الغريب»، مثل محمود درويش وغيره، حيث يقول:

قَبْـــرَ الغَريـــبِ سَـــقاكَ الرّائِـــحُ الغـــادي
حَقّـــاً ظَفَـــرتَ بِأَشْـــلاء ابـــنِ عَبّـــادِ

ويبدو العصر الأندلسي كان سريع الإيقاع شعرياً، فلم تعلق أبيات كثيرة منه في الذاكرة، وربما يعود ذلك، للبعد الجغرافي والأحوال الاجتماعية والسياسية، التي حالت دون انتشار أبيات الشعر بين الجماهير العربية، ومن ثمّ حفظ تلك الأبيات في الذاكرة الشعبية.

العصر الحديث

أما في العصر الحديث، فقد كان الوضع أحسن حالاً من سابقه، وانتعشت الظاهرة من جديد، وظهر عدد كبير من الأبيات التي انتشرت بشكل كبير بين الناس، وأسست لبقائها في الذاكرة، نذكر منها قول إيليا أبي ماضي:

أيّهـــذا الشّـــاكي ومـــا بِـــكَ داءٌ
كُـــنْ جميـــلاً تَـــرَ الوُجـــودَ جَميـــلا

شاهد قبر الجواهري وعليه أبيات «يا دجلة الخير»

ومن أشهر الأبيات الثورية وأكثرها انتشاراً، نجد قول أبي القاسم الشابي:

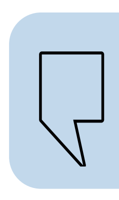
إذا الشّـــعْبُ يَوْمَـــاً أَرَادَ الْحَيَـــاةَ
فَـــلا بُـــدَّ أنْ يَسْـــتَجِيبَ القَـــدَر

وللسيّاب نصيب، بمطلع قصيدته «أنشودة المطر» التي يقول فيها:

عيناكِ غابتا نَخيلٍ ساعةَ السَّحَرْ
أو شُرفتانِ راحَ يَنأى عَنْهما القَمَرْ

وللجواهري بيتان من أجمل ما نظم، وهما:

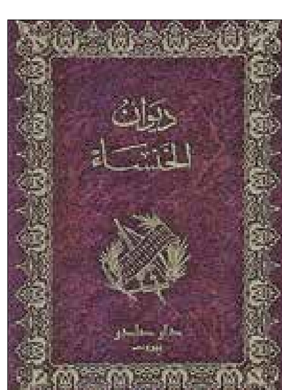
حَيَّيْـــتُ سَـــفْحَكِ عَـــنْ بُعْـــدٍ فَحَيِّـــيني
يـــا دِجلَـــةَ الخَيْـــرِ يـــا أمَّ البَســـاتينِ
حَيَّيْـــتُ سَـــفْحَكِ ظمآنـــاً ألـــوذُ بِـــهِ
لَـــوْذَ الحَمائـــمِ بَيْـــن المـــاءِ والطّيـــنِ

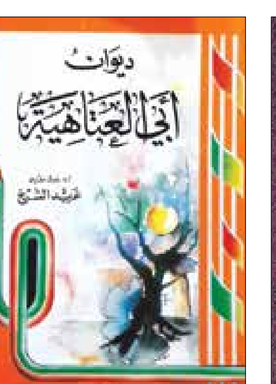


أبيات الشعر الخالدة
أسرار مثقلة بالغموض

ويمكن تلخيص كل ما سبق في نقاط، أولاها: أن الشعراء الكبار كان لأغلبهم أبيات مشهورة بشكل أو بآخر، وللمتنبّي أكبر حصة بعددها، وكان للمعلقات نصيب وفير منها في العصر الجاهلي، في حين يتراجع دور الشعر النسوي ويتقلص بشكل كبير، عبر مختلف العصور، فلا نكاد نجد إلّا أبياتاً قليلة شهيرة لشاعرات معروفات، فضلاً عن أنه من الواضح أن جمالية الأبيات ليست مقياس انتشارها، فكثير من الأبيات الفائقة الجمال لا يعرفها سوى المتخصّصين ولا يتداولها الجمهور، في حين قد يتداولون أبياتاً عادية أقل جمالاً، ويمنحونها الخلود.

وفي النهاية، فإن القائمة قد تطول، إن شئنا ذكر كل الأبيات الخالدة التي انتشرت بين الناس، ولكنها قطعاً على كثرتها ستظل قليلة، مقارنة بعدد الأبيات التي طواها النسيان في العالم، لذا تعدّ هذه الأبيات جواهر نادرة التقطتها الذاكرة، واحتفظت بها لتشكل بها ظاهرة فريدة في تاريخ الأدب العربي.







تميزت بخصائصها الفنية وأبعادها الجمالية

قصـــيدة المناجاة

تعبّدٌ في فضاء الشعر

لا شك أن للمناجاة حضورها الخاص والمستمر في تاريخ الشعر العربي، ولها دلالاتها الواسعة وأبعادها المتنوعة وعلى ذلك يتفق النقاد، وتمثل مناجاة الذات الإلهية أو مناجاة الشاعر لربه أحد تلك الأبعاد.



محمد الجبوري
سوريا

> **لها حضورها الخاص في تاريخ الشعر العربي**

وهي - أي مناجاة الذات الإلهية - تقع في منزلة بين الدين والشعر. والمناجاة لغة: هي التَّسارُر، كما جاء في لسان العرب لابن منظور، فيقال ناجى الرجل مناجاة ونجاء أي سارّه، وانتجى القوم انتجاءً وتناجوا مناجاة بمعنى تَسارّوا. وفلانٌ نجيّ فلان أي يناجيه دون من سواه. والمناجي هو المخاطب للإنسان والمحدّث له دون غيره.

أما المناجاة في الشعر: فهي من جهة غرض تعبّديّ يمثّل جانباً خاصاً ومهماً من روح الشاعر المرهفة وصلتها مع خالقها عزّ وجلّ وربما تكون «هذه الروحانية هي ما في الدين من شعر، وما في الشعر من دين»؛ كما يقول ويل ديورانت في كتابه «قصة الحضارة».

ومن جهة أخرى فالمناجاة جنس أدبي، له خصائصه الفنية وأبعاده الجمالية التي تتقاطع في كثير من الأحيان مع الأجناس الأخرى. وهي «قولٌ شعري» بحسب رأي الفلاسفة والنقاد في القديم.

ومن الإجحاف النظر إلى إحدى تلك الجهات وإغفال الأخرى لدى تناول هذا اللون الإبداعي.

الموعظة والحكمة

على الرغم من تأثّر المناجاة في نشأتها، بوصفها ظاهرة أدبية بطقوس الدين الإسلامي، وتبلورها في البدايات على شكل نصوص نثرية تتضمن الدعاء والاستغاثة بالله عز وجل، والموعظة والحكمة، فإنها وصلت إلى الشعر منذ وقت مبكر، منذ عهد النبوّة، وإذا ما قرأنا في تجارب شعراء صدر الإسلام وجدنا بعض المناجاة في شعر حسان بن ثابت الأنصاري، رضي الله عنه، الذي كان متأثراً بالمعاني الإسلامية، ودعوة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وما جاء من آيات في القرآن الكريم، في أبيات

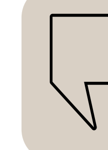


يخاطب فيها الذات الإلهية، ويعلن العبودية لله، ويشهد له بالربوبية، فهو الواحد المعبود، وهو المنزه عن كل افتراء وشريك، وهو الخالق والمتفضّل على الناس بالنعم؛ حيث يقول:

وأنـــتَ إلـــهَ الخلـــقِ ربّـــي وخالقـــي
بذلـــكَ مـــا عُمّـــرتُ في الناسِ أشْـــهدُ
تَعَالَيْـــتَ رَبَّ الناسِ عن قَـــوْلِ مَنْ دَعا
سِـــوَاكَ إلهـــاً، أنْـــتَ أعْلَـــى وَأمْجَـــدُ
لـــكَ الخَلْـــقُ والنَّعْمـــاءُ، والأمـــرُ كُلُّهُ
فإيّـــاكَ نَسْـــتَهْدي، وإيّـــاكَ نَعْبُـــدُ

وتجدر الإشارة أن مناجاة الذات الإلهية عُرفت في الشعر قبل ظهور الإسلام، ووردت في أشعار الموحّدين في الجاهلية، مثل زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، والد سعيد بن زيد، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ولزيد أبيات كثيرة يناجي بها الله ويعلن تمسكه بوحدانية الله وأنه على دين إبراهيم عليه السلام وينبذ ما سوى ذلك من عقائد الجاهلية وعبادة الأصنام، فيقول في بعضها:

حَنَانَيْـــكَ إنَّ الجِـــنَّ كَانَـــتْ رجَاءَهُـــم
وَأَنْـــتَ إِلَهِـــي رَبُّنَـــا وَرَجَائِيَـــا
رَضِيْـــتُ بِـــكَ اللَّهُـــمَّ رَبًّـــا فَلَـــنْ أُرَى
أَدِيـــنُ إِلهَـــا غَيْـــرَكَ اللـــهُ ثَانِيَـــا



المناجاة هي « التّسارُر» في لسان العرب

وتنسب بعض المصادر البيتين السابقين والقصيدة التي وردا فيها إلى أمية بن أبي الصلت، الذي كان أيضاً موحّداً في الجاهلية حاله حال زيد، وسواءٌ كانت الأبيات له أو لزيد، فالشاهد منها أن المناجاة كانت موجودة عند الموحّدين الذين تعلقت قلوبهم بالله وعبدوه إلهاً واحداً حتى قبل الإسلام.

عصر ذهبي

لا يخفى على المتتبّع للتاريخ، أن القرن الثاني للهجرة كان بداية عصر ذهبي للتجديد في مختلف أنواع الأدب، ومنها الشعر الذي ازدهرت أغراضه وتفرعت، وتطورت معانيه وألفاظه وأساليبه وأفكاره، وشهد أنواعاً من الشعر لم تكن معروفة من قبل، مثل الطرديات والشعر التعليمي، ونجمت حركة التطور تلك عن دخول كثير من الشعوب والقبائل في ظل الدولة الإسلامية، فدخلت معها ألفاظ ومعانٍ جديدة إلى الشعر، ما أثر إيجاباً في قصائد المديح النبوي وقصيدة المناجاة، والجمع بين النوعين؛ فقصيدة المديح النبوي قليلاً ما تخلو من مناجاة للذات الإلهية بغرض التمجيد أو التوحيد أو الدعاء. ومن نافل القول أنه يضيق المقام بذكر أشعار المناجاة كلها في ذلك العصر، فقد أصبحت قصيدة المناجاة تبعاً لهذا التطور فناً قائماً بذاته، فلا يسعنا إلّا أن نقف على بعض الأمثلة في ذلك القرن وما تلاه، نظراً لأهميتها أو أهمية قائلها.



حسن الراعي في أمسية بيت الشعر في الشارقة فبراير 2022

فلمّا كانت المناجاة تعبّداً، فإن إعلان التوبة إلى الله جزء من تلك المناجاة أو قد تكون وسيلة أن يسخّر الشاعر شعره في إشهار العودة إلى ربه والإقلاع عن الذنوب والمعاصي أو في إظهار رغبته في ذلك، كما حدث مع الشاعر العباسي أبي نواس الذي عاش حياة ترف ، إلا أنه تاب إلى الله في آخر حياته، فقال من الشعر في مناجاة الله والتوبة إليه ما ينفطر القلب لسماعه وقراءته، منها ما قاله أثناء مرضه:

أَيا مَـــنْ لَيسَ لـــي مِنـــهُ مُجيرُ
بِعَفْـــوِكَ مِـــنْ عَذابِكَ أَســـتَجيرُ
أَنـــا العَبـــدُ المُقِـــرُّ بِـــكُلِّ ذَنـــبٍ
وَأَنْـــتَ السَـــيِّدُ المَوْلـــى الغَفورُ
فَـــإِنْ عَذَّبتَنـــي فَبِســـوءِ فِعْلـــي
وَإِن تَغفِـــرْ فَأَنْـــتَ بِـــهِ جَديـــرُ
أَفِـــرُّ إِلَيـــكَ مِنـــكَ وَأَيـــنَ إِلّا
إِلَيـــكَ يَفِـــرُّ مِنـــكَ المُســـتَجيرُ

قصيدة مناجاة لعبد الله بن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني



تعدّ غرضاً تعبّدياً يمثّل روح الشاعر

وكذلك الأبيات التي وُجدت على الفراش الذي مات عليه أبو نواس، كانت تنضح ندماً وتضرّعاً إلى الله، وطلباً للمغفرة والتجاوز عما قد سلف من أمره، مقرّاً ألّا منجى له ولا راحم له سوى أرحم الراحمين:

يـا رَبِّ إنْ عَظُمَـت ذُنوبِـيَ كَثـرَةً
فَلَقَـدْ عَلِمـتُ بِـأَنَّ عَفـوَكَ أَعظَـمُ
إنْ كانَ لا يَرجـوكَ إلّا مُحسِـنٌ
فَبِمَـن يَلـوذُ وَيَسـتَجيرُ المُجـرِمُ
أدعـوكَ رَبِّ كَمـا أَمَـرتَ تَضَرُّعـاً
فَـإِذا رَدَدتَ يَـدي فَمَـن ذا يَرحَـمُ
مـا لـي إِلَيْـكَ وَسـيلَةٌ إلا الرَّجـا
وَجَميـلُ عَفـوِكَ ثُـمَّ أَنّـي مُسـلِمُ

ولمّا كان أبو تمام، حبيب بن أوس، شاعراً فحلاً ومن المؤثّرين في حركة التجديد الشعري في زمانه، حيث يعدّ رأس الطبقة الثالثة من الشعراء المحدثين، وقد طرق كل أغراض الشعر؛ فقد كان له في المناجاة اشتغال شعري تظهر فيه قدرته العالية على تطويع اللغة، وإن غلبت عليها السّمة التقريرية والخطابية، ففي هذا تبلغ المناجاة قمة حلاوتها ولذّتها وهي التي يتوجه فيها الشاعر إلى مخاطب عظيم، فأغلب أشعار المناجاة تبدأ بالنداء (يا.. أيا)، لكنّ أبا تمام وإن لم يبدأ بها، فقد كان منكسراً يظهرُ الشجنُ جليّاً في ثناياه قصيدته وتضرعه إلى رب السماوات والأرض، وفي هذا يكمن جوهر المناجاة الحقيقي، في كونها نداءً خفياً من نفس متعبة مرهقة إلى خالقها القادر على كل شيء، فكأنما هذا الانكسار درس مقصود ومتعمّد يقول فيه لقارئه أنه أمام الله عبد محتاج وليس ذلك الشاعر العظيم:

أَخـافُ إِلَهـي ثُـمَّ أَرجـو نَوالَـهُ
وَلَكِـنَّ خَوفـي قاهِـرٌ لِرَجائِيـا
وَلَـولا رَجائـي وَاتِّكالـي عَلـى الَّذي
تَوَحَّـدَ لـي بِالصُنـعِ كَهْـلاً وَناشِـيا
لَمـا سـاغَ لي عَـذْبٌ مِنَ المـاءِ بارِدٌ
وَلا طـابَ لي عَيْـشٌ وَلا زِلـتُ باكِيا
عَلـى إِثرِ مـا قَـدْ كانَ مِنّـي صَبابَةً
لَيالِـيَ فيهـا كُنـتُ لِلَّـهِ عاصِيـا
فَإِنّـي جَديـرٌ أَن أَخـافَ وَأَتَّقـي
وَإن كُنتُ لَم أُشـرِك بِـذي العَرشِ ثانيا



جنس أدبي يتقاطع مع الأجناس الأخرى

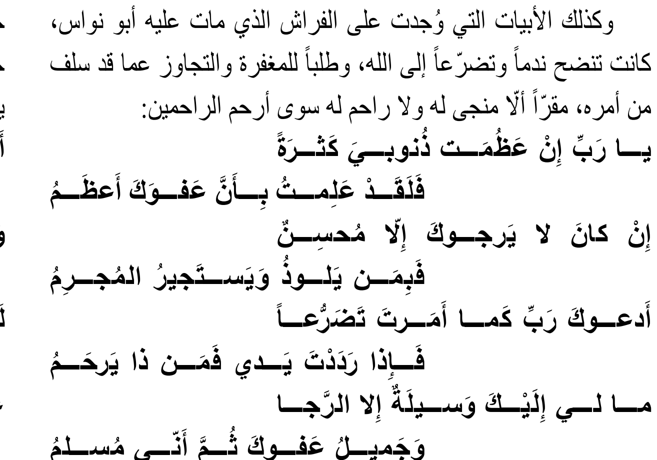


ويل وآريل ديورانت



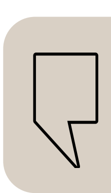
أما أبو العتاهية فقد كان في شبابه من طبقة أبي نواس، لكن تبدّلت حاله إلى التنسّك والزّهد في متع الدنيا وزيفها، فراح يقول شعر الحكمة والموعظة، وغلبت على شعره خواطر الموت، وتظهر في قصائده رهافة نفسٍ وروحانية عالية تدلّان على شاعريته في علاقته مع دينه وخالقه، وله في المناجاة شعر من أجمل ما قيل في هذا المقام نذكر منه:

إِلَهِـي لا تُعَذِّبْنـي فَإِنّـي
مُقِـرٌّ بِالَّـذي قَـدْ كانَ مِنّـي
وَمـا لـي حيلَـةٌ إِلّا رَجائـي
وَعَفـوُكَ إِنْ عَفـوتَ وَحُسنُ ظَنّـي
فَكَـمْ مِـن زَلَّـةٍ لـي فـي البَرايا
وَأَنـتَ عَلَـيَّ ذو فَضـلٍ وَمَـنِّ
إِذا فَكَّـرتُ فـي نَدَمـي عَلَيها
عَضَضْـتُ أَنامِلـي وَقَرَعْتُ سِـنّي
يَظُـنُّ النـاسُ بـي خَيـراً وَإِنّـي
لَشَـرُّ النّـاسِ إِنْ لَـمْ تَعفُ عَنّـي



١٤٦

مخطوط ديوان عبدالرحيم البرعي في المدائح



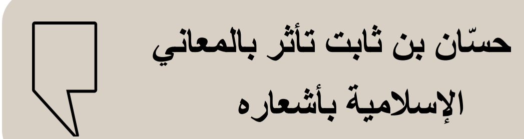
تبلورها البدايات في نصوص نثرية تتضمن الدعاء

وكذلك فإن لجمال الدين الصرصري، قصيدة في المناجاة، ما زالت إلى وقتنا الحالي حاضرة في الأذهان، لما فيها من الإقرار بالذنب واللجوء إلى الله، هرباً من الذنوب وإظهارٍ للضعف بين يدي الله، يقول في بعض أبياتها:

أَنَـا الْمُضْطَـرُّ أَرْجُــو مِنْـكَ عَفْواً
وَمَـنْ يَرْجُـو رِضَـاكَ فَلَـنْ يَخِيبَـا
فَيَـا أَسَـفَى عَلَـى عُمُـرٍ تَقَضَّـى
وَلَـمْ أَكْسِـبْ بِـهِ إِلَّا الذُّنُوبَـا
وَأَحْـذَرُ أَنْ يُعَاجِلَنِـي مَمَـاتٌ
يُحَيِّـرُ هَـوْلُ مَصْرَعِـهِ اللَّبِيبَـا
وَيَـا حُزْنَـاهُ مِنْ نَشْـرِي وَحَشْـرِي
بِيَـوْمٍ يَجْعَـلُ الْوِلْـدَانَ شِـيبَا

التزام الشاعر

وكما لم يتوقّف الشعر عن التطوّر والازدهار يوماً، وكما لم يتوقّف الناس عن توحيد الله حق توحيده، واللجوء إليه في الشدائد والكرب، فكذلك لم يتوقف الشعراء عن الاشتغال على قصيدة المناجاة التي كانت وما زالت تعبيراً سامياً عن التزام الشاعر بدينه وصلته بخالقه في كل زمان ومكان، مثل الأمير الصنعاني، وعبد الرحيم البرعي، والمكزون السنجاري، وكذلك ابن الجنان في الأندلس وغيرهم كثير.

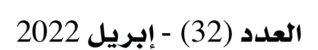


وفي العصر الحديث أنتج هذا اللون فنّاً مميزاً له شعراؤه الذين أجادوا فيه، ومنهم من كرس شعره في مواضيع الدين وللمناجاة الحصة الكبرى من ذلك، من أمثال إبراهيم بديوي، وأبي مسلم العُماني، والشيخ سليمان الأحمد، والد الشاعر المعروف بدوي الجبل. ومن غير العرب اشتهر الشاعر الباكستاني محمّد إقبال الذي ترجمت أشعاره إلى العربية وذاع صيتها.

لكننا سنتوقف عند تجربتين لشاعرين مهمّين لهما وزنهما وحضورهما المؤثّر في تاريخ الأدب العربي الحديث؛ الأولى قصيدة للشاعر العراقي بدر شاكر السيّاب، تحت عنوان «سفر أيوب»، يظهر فيها نفس السيّاب الشعري الحداثي الواضح، حتى في نداءاته المتألمة بين يدي ربه، فهو يحمده على الوجع وعلى ما يثقل كاهله من حزن وهمّ، فإنما الشاعر ابن عصره والله ربّ كل زمان ومكان، وميزة هذه القصيدة أنها تتوجه إلى الله تناجيه بلغة العصر، وفيها يشبه المكاره والمعاناة بهدايا الحبيب:

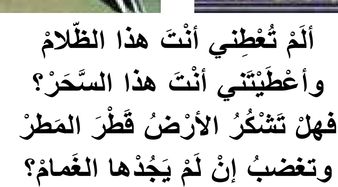
لكَ الحَمْدُ إنّ الرّزايا عَطـاءْ
وإنّ المُصيبـاتِ بَعْضُ الكَـرَمْ




مخطوط لديوان أبي تمام



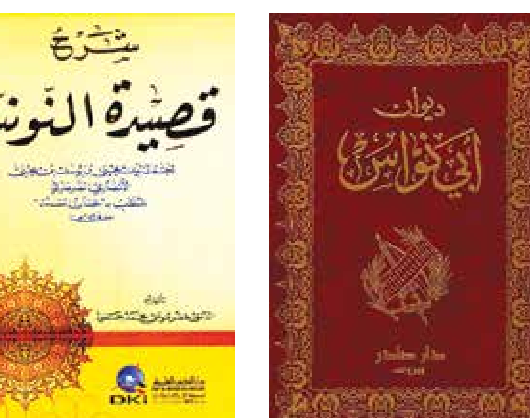


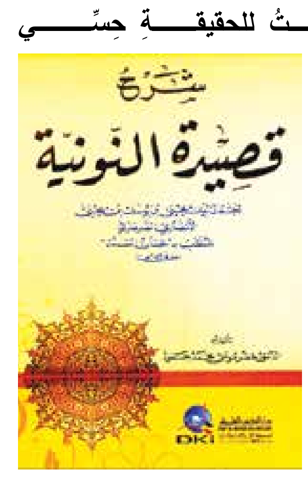


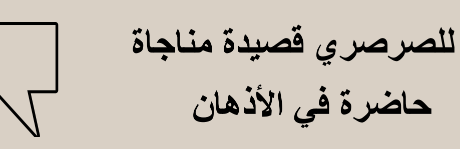
أَلَمْ تُعْطِني أنْتَ هذا الظّلامْ
وأعْطَيْتَني أنْتَ هذا السَّحَرْ؟
فهلْ تَشْكُرُ الأرْضُ قَطْرَ المَطرْ
وتغضبُ إنْ لَمْ يَجُدْها الغَمامْ؟

أما الثانية فهي قصيدة للشاعر اللبناني يوسف الخال، بعنوان «الحرية»، وهي قصيدة يلتصق فيها الشاعر بحداثته وهواجسه، لكنه لا يجد ملجأ لتلك الهواجس ومتنفّساً لها إلا بالتوجه إلى الذات الإلهية، وهي نظرة حداثية بحت، تتجلّى فيها علاقة عظيمة بين الإنسان وربه في عالم من الماديات ونفس توّاقة إلى خلاصها وانعتاقها إلى عالم الروح والحقيقة:

ربِّ هَبْنـي مَحَبّـةً، فبهـا أُدْ
رِكُ حُريّتـي وأَعْـرِفُ نَفْسـي
أَنـا، إنْ لا أُحـبُّ، مـا نفـعُ عَقْلي
لِخلاصـي، وباطـلٌ كلُّ بأْسـي
فخَلاصـي، أنـا المُسـيَّرُ بالغَيْـ
ـبِ، ومَـنْ يومُـهُ منـوطٌ بأَمـسِ
إنّمـا تَـمَّ بالمَحبّـة والعَقْـلِ،
فلولاهمـا أَغـوصُ بِرِجْسـي
نِعْمـةٌ أَسـتحقّها، إنْ أَنـا آمنـتُ
وطوّعـتُ للحقيقـةِ حِسِّـي







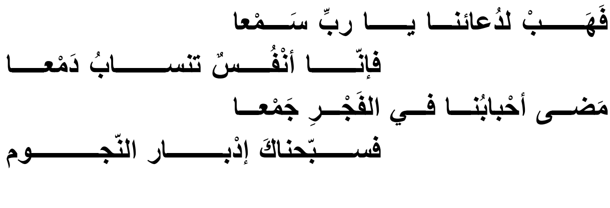
للصرصري قصيدة مناجاة حاضرة في الأذهان

بوح ونداء

وإذا ما استرسلنا في ذكر القصائد والنصوص التي تظهر فيها أحاسيس الشعراء إزاء خالقهم ومناجاتهم له بطريقة البوح المعلن – إذ إن قصيدة المناجاة نداء خفي لكنها تُقرأ وتلقى على مسامع الناس جهراً - فسنرى في عصرنا الحالي عدداً كبيراً من الشعراء الذين لا تخلو دواوينهم ومدوناتهم من قصائد فيها مناجاة للذات الإلهية بأساليب وأشكال شتى، منها ما يأتي بلباس الدعاء والتضرع وتمجيد الله الواحد، ضمن الشكل والمضمون التقليدي للقصيدة العمودية، كما في بعض قول الشاعر عبد الرزاق الدرباس:

إلهي، ذُنوبي عدُّها لَيسَ يُحصَرُ
وأنتَ الذي يا رَبِّ تَعْفو وتَغْفِرُ
أغالبُ دَمْعي في المَتابِ وإنَّني
على أمَلٍ في عَفْوكم سَوفَ أظْفَرُ

وفي أبيات من قصيدة «حديث عن النجوم» للشاعر عبد الرحمن الطويل، وهي قصيدة عاطفية جاءت المناجاة تخلصاً إلى الختام فيها حيث يقول:



فَهَبْ لدُعائنا يا ربِّ سَمْعا
فإنّا أنْفُسٌ تنسابُ دَمْعا
مَضى أحْبابُنا في الفَجْرِ جَمْعا
فسبْحانكَ إدْبارَ النّجوم

ومنها ما أخذ طابعاً لا ينفصل عن طابع ما بعد الحداثة في النظرة والموقف، فكانت الذات الإلهية حاضرة في أما صراحة يبُثّ الشاعر شكواه ونجواه إلى ربه الذي لا سامع له سواه، فيشكو غربته وتشظيه وهُيامه في الأرض من دون وطن ولا أصدقاء ولا أحباب، كما في هذا المقطع للشاعر وائل سعد الدين:

يا إلَهي دُلَّني أينَ الطريقْ؟
ضاقَ صَدْري والمَدى صارَ يَضيقْ
واحْتِمالي لَمْ يَعُدْ مِنْهُ رَجاءٌ
ولِصَبْري حَدَّهُ حينَ أطيقْ
يا إلَهي كُلُّ ما فيَّ خَرابٌ
وأغانِيَّ نُدوبٌ وحُروقْ
وحَبيبي لَيْسَ قُرْبي، وبِلادي
لَمْ يَعُدْ فيها نَديمٌ أو صَديقْ

أو تحضر، بالنداء فقط حين تأخذ العبارة شكل الدعاء بأسلوب رمزي تظهر عبره غربة الشاعر الداخلية، وحاجته إلى عون ربه في هذا التيه الحضاري، كما في قصيدة «الصعود» للشاعر حسن الراعي:

مخطوط لديوان الصرصري

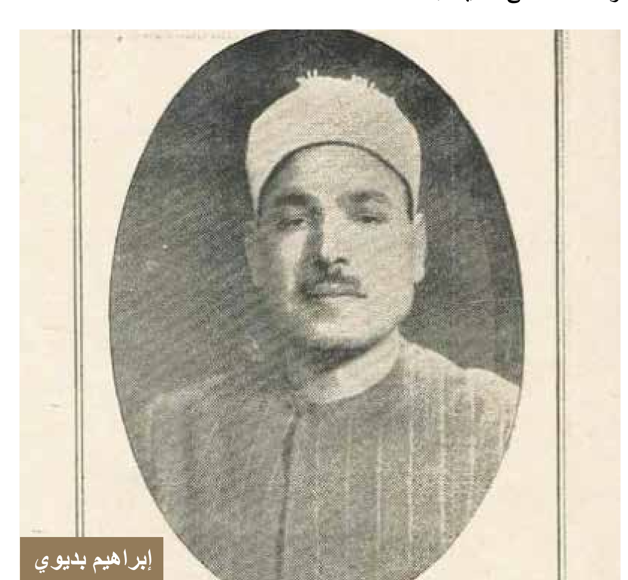


محمد إقبال

وأصعد موتي
فَضاءٌ سَرابٌ هو القُرب منكَ
فَخُذْني ولَوْ مَرّةً نَحْو صَحْوٍ
فإنَّ الضّبابَ يشوِّهُ حُبّي ويُغلقُ عَيْنيَّ عنكَ
ضَبابٌ وحَسْبُ
وخُذْني فُراتاً أفيضُ انْتِشاراً
وكُلُّ الجِهاتِ لِمَنْ ضَلَّ دَرْبُ

وبالطبع فهذا ليس كل شيء، ولا يمكن اختصار هذا الجانب من الشعر العربي عبر تاريخه ومحطاته الطويلة في مقالة واحدة، وما هي إلّا إضاءة يمكن عبرها الولوج والبحث المركّز في فضاء هذه القصيدة التي تأخذنا إلى بُعد عميق من أبعاد نفس الشاعر، وهي النفس المؤمنة بقدرة خالقها واطّلاعه على خفاياها.





إبراهيم بديوي



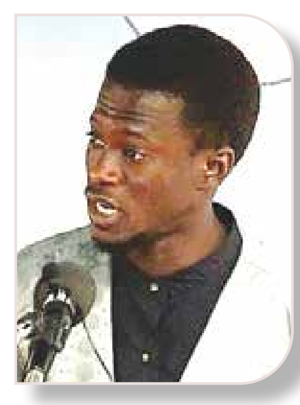
محمود حسن
مصر

مُتَّسعٌ للبَوْح

علي خجلٍ حطَّتْ لديكَ القوافلُ
وفي هَيْبَةٍ خُطَّتْ إليكَ الرَّسائِلُ
فحين اعترتني من ذنوبيَ رِعدةٌ
ولم يستَقِمْ ظَهْري ولا قامَ كاهلُ
أتَيْتُ ولَمْ أفْقِدْ رجاءَ مُعَذَّبٍ
ففي حَضْرةِ الغُفْرانِ ثمَّ مَنازلُ
يَحطُّ السَّماوِيُّونَ عندكَ راحةً
ويَرْقى التُّرابيُّونَ والقلبُ زاجلُ
فَروحٌ ورَيْحانٌ وصُحبةُ أحمدٍ
وبَيْنَهُما قدْ عَزَّ راءٍ وناقلُ
ومَغْفرةٌ في كُلِّ أرضٍ ورَوْضَةٌ
وراحةُ نَفْسٍ لَيْسَ ثمَّ قَلاقِلُ
وتنْشَقُّ أرضٌ كيْ تقومَ إمَامَها
وَلَمَّا تَزَلْ تَحْتَ التُّرابِ الهياكِلُ
وعرشٌ عليهِ اللهُ مُسْتَوياً وقدْ
وقفتَ على حَدِّ الصِّراطِ تناولُ
على كُلِّ نجمٍ مِنْ سَناكَ بَريقُهُ
وفي كُلِّ عَصْرٍ تَصْطفيكَ الشَّمائِلُ

وتُلْقي على وَجْهِ الظَّلام نيازكاً
فَلَمْ يبْقَ خُفَّاشٌ ولاعزَّ باطلُ
تَشيدُ على هَدْيٍ حَضارةَ أمَّةٍ
ولَمْ تَفْتئت والرّاشدونَ دلائلُ
يخافونَ يوماً مُستطيراً بِشَرِّهِ
وقدْ خاض في تيهِ التَّخَبُّطِ كاحلُ
فَلَوْ قيلَ عَقْلٌ كُنْتَ سَيِّدَ أهْلِهِ
إذا أنْصَفوا والمُنْصِفاتُ قلائِلُ
ولو قيلَ فِقْهٌ لَيْسَ يَخْفِرُ ذِمَّةً
فأنت الذي تَقْضي وإنَّك عادلُ
فلا عَنْ هوَى عِرْقِيَّةٍ وَ تَعَصُّبٍ
ولا غضبٍ أعمى ولستَ تُجاملُ
تجودُ ولمْ يسْألكَ مُعْدَمٌ قُوتِهِ
عرفتَ ولَمْ يَفْطِنْ لِمَنْ عَفَّ جاهلُ
فلمْ تُبْقِ في بَيْتِ النُّبُوَّةِ خُبْزَةً
تجوعُ ويَمْضي في طعامكِ سائلُ
إمامٌ يقولُ اللهُ فيكَ بيانَه
جَحَافلُ نورٍ تَرْتَديها جَحافلُ
إذا ما ارْتَقَى حَرْفي إليكَ ووَجْدُهُ
فقلْبي الذي يُملى وإنِّيَ قائِلُ

على الغيم


شيخنا أحمد تجاني
امبودج - السنغال

كَكُلّ الذيــن اسْتكشــفوا الضّــوْءَ مُــذْ هلّا
وخَاضُــوا الضَّبابَ/الْبَدْءَ وافتَرَشُــوا الظِّلّا
وكانــوا لفــرطِ اللّهْفَــةِ احْتضنــوا الرُّؤى
لظَــىً.. وتَفانَــوْا فــي مَقام الهــوى رَمْلا
علــى الْغَيْــمِ روحيّونَ، كــيْ يَعْبُــرَ النّدى
إلى الــوَرْدةِ امتَــدّوا ومَــدَّ المَــدى حَبْلا
وفــي الكَهْــفِ أيقــاظٌ، وخوفاً مِــنَ الأذى
علــى كَلْبِهــمْ لَــمْ يَســكبُوا حُزْنَهــم لَيْلا
مَجــازاً مَجازاً فــي الخَيــالِ تأوّلــوا
لأمِّيّــةِ الحَــرْفِ التُّرابــيّ فانْسَــلّا
علــى حَجَــرٍ لَــمْ تَصْقــلِ الرّيــحُ جِلــدَهُ
تنــامُ، وإنْ غامُــوا هُنــاك، هُنــا ابْتَــلّا
وقَبلَ انْســكابِ الحَرْبِ في الحَرْبِ أشــرَقُوا
وَمَــا أرَّخُــوا لَيْــلَ الحَضــاراتِ بالقَتْلــى
تبــدّتْ لــكَ الأسْــماءُ، وانْتفــضَ البَياضُ
كُــنْ كالّذي فــي حَضْــرَةِ اللَّوْنِ مــا ضَلّا
وكالْمــاءِ شَــفّافــا، يَمُــرُّ بِعَيْنِــه
مَلاكٌ فَيصْحــو كَــي يُجـاذِبَــهُ شَــكْلا
سُــيوحي لــكَ الصَّمْـت الرَّمــاديُّ حِكْمَةً:
بِغَيْــرِك هــذي الآيــةُ البِكْــرُ لَــنْ تُتْلــى

سَــيُزْهِرُ نَخْــلُ اللهِ لَــوْ قالَ عاشِــقٌ:
تَصوَّفَ جوعــي مُنْذُ لَــمْ أخْتَبِــرْ حَقْلا
بَكَيْــتُ بقلــبٍ أخْضَــرِ الدَّمْــعِ مــرةً
عَلى الأرْضِ فاشــتاقتْ لأن تُسيل الْوَبْلا
لأنّــكَ إنْ لَــمْ تَحْتَضِــنْ نَارَهــا بَكَــتْ
تَــذوبُ كثيــراً فــي حَرَائقِها كَــيْ لا..
فَكَيْــفَ إذنْ لا تَصْطَفيــكَ رَســولَها
إلى العُشْــبِ غيماً، أو إلى صَخْرةٍ سَيْلا
أقَــلَّ مِنَ الفوضــى تَخِــفُّ، تَجِفُّ حين
تُجْــري بِــك الأشْــياء حكمتَهــا الأولى
ومــا ألْطــفَ المِشْــكاةُ، تَبْكي فَراشَــةٌ
فَتَلبسُ باســمِ الضّــوْءِ غُرْبتــك الطّفلا
تمثلــك السّــاعي إلــى اللــه جُبّــةً
مــن الماءِ، تَمْتــصُّ الفناءَ، ولَــنْ تَبْلى
توقعــتُ أنْ لــن يُنكــرَ البَحْــرُ مِلحَــهُ
فأبْحــرتَ..كانَ الْبَحْــرُ قَبْلَــك قَــدْ مَلّا
ولَوَّحْــتَ للْغَرْقــى/ الدّراويــش كلّهــمْ
فَجاؤوا فُرَادَى اسْتَوْطنوا الرُّوحَ والعَقْلا
عبــوراً إلى أعْــلاك، والوَقْــتُ بَرْزخٌ،
تَشَــظيتَ ظِــلّاً يحتَســي طِينَــهُ الأعْلَى

لولاه



طلال الجنيبي
الإمارات

لَوْلاهُ ما رَشفَ المَلْهوفُ أحْلاهُ
ولا اسْتغاثَ وهَلْ لِلْغوثِ إلّاهُ
لَوْلاهُ ما عَرفَ المَهْمومُ مِنْحته
حتى يُلامسَ ما مَوْلاه أولاهُ
لَوْلاهُ ما ارْتعشتْ رُوحٌ فيلّلها
دِفءٌ يُهامِسُ بالإيمانِ سَلْواهُ
ولاتَحرّكَ نَبْضٌ في الضّميرِ إلى
ما يَسْتفيقُ لِكيْ يَحْياهُ أغْلاهُ
ولا تَسلّلَ ضَوْءٌ خَلْفَ خافيةٍ
لَمْ تَكْشفِ السِّرَّ إلّا حينَ أجْلاهُ
ولا تَوضَّأ نُورُ الفَجْرِ مَغفرةً
بِلا حَديثٍ حَديثُ الحقِّ أمْلاهُ
بلا اغْترابٍ وهَلْ للرّوحِ مَنزلةٌ
تأوي إليهَا سِوى إنْ سَاقها اللهُ
الله يَعْلَمُ أنّ القَلْبَ جَالَ به
عشقٌ تجاوزَ قَيساً شاقَ لَيْلاهُ
شَوْقٌ تكادُ تذيبُ الرّوحَ لَهْفَتُهُ
شَوْقٌ نَكادُ نَسوقُ اليومَ قَتْلاهُ
شَوْقٌ تَرجَّلَ مِنْ أحْداقِ رَغْبَتِه
مُذْ كادَ يَفْطرُ قَلباً حينَ أخْلاهُ
لَوْلاهُ ربّي لَمَا هَزّ الشّعورَ هوىً
قَلْبُ المُنَاجي ومَا أحْياهُ لَوْلاهُ
الذِّكْرُ يَصْعَدُ بالأرْواحِ مُمْتَطياً
ظَهْرَ الوُصولِ إلى رِضْوان مَوْلاهُ

بكائية الأنوار

ضهيب نبهان
مصر

زَرَعْتُ الوَرْدَ فِي جَنْبَيَّ شَوْكا
فَأمْعَنَتِ الجِرَاحُ هُنَاكَ فَتْكا
تَلَوَّنَ نَزْفُنَا ضَعْفاً وَدَمْعاً
وَدَكَّتْ رُوحَنَا الآلامُ دَكَّا
تَسِيلُ الذِّكْرَيَاتُ عَلَى سُطُورٍ
فَيُتْقِنُها الأَسَى نَظْماً وَسَبْكا
رَأَيْتُ الرَّاحِلِينَ نُجُومَ لَيْلٍ
يَزِيدُونَ المَدَى نُوراً وَمِسْكا
يَفُوحُ الصُّبْحُ عِطْراً مِنْ سَنَاهُمْ
وَتُزْهِرُ شَمْسُهُمْ أَنْدَى وَأَزْكى
وَإِنْ جَنَّ المَسَاءُ تَرَى عُيُوناً
أَقَامَتْ مِنْ لَظَى الأَشْوَاقِ مَبْكى
بِرَبِّكِ يَا شُطُوطَ الفَقْدِ رِفْقاً
فَهَلْ حَمَلَ البُكَاءُ إِلَيْكِ فُلْكا؟
طَوَتْهُمْ فِيكِ أَشْرِعَةُ المَنَايَا
وَأَرْهَقَتْنَا النَّوَى دَمْعاً وَهَتْكا
تَشَرَّدَ فِي مَدَى الأَزْمَانِ طِفْلٌ
وَأَطْبَقَ ضَيْغَمُ الأَحْزَانِ فَكّا
وَأَنْشَبَ حَامِلُ الغُيَّابِ ظُفْراً
فَزَادَ رِوَايَةَ التَّحْنَانِ حَبْكا
هُنَا كَانُوا.. وَكَانَ الحِضْنُ كَوْناً
هُنَاكَ مَضَوْا.. وَضَاقَ القَلْبُ ضَنْكا
أَقَمْنَا فَوْقَ ذِكْرَاهُمْ حَيَاةً
وَأَنْبَتْنَا عُرُوقَ النَّبْضِ أَيْكا

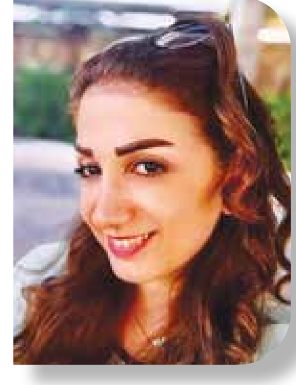
من جانب الطور



تهاني الصبيح
السعودية

تَطْـوِي خُطـاهُ على رَمـلِ الهَـوى دَرْبَا
لأنّ نَـهْرَ حنيــنٍ فــي الحشَـــا دَبّـا
تَطْـوِي خُطـاهُ مَفـازاتِ السُّـرى لَهِفـاً
لَعـلَّ بَعْـضَ الخُطـى يَسْـتوقِفُ الرَّكْبـا
يَحْتـاجُ لَـوْ ضاقَـتِ الصَّحْـرا إلـى رئةٍ
مِــنَ الرّيــاحِ لِيَــزْدادَ الْهَـــوا قُرْبـا
ويَجْتلينـــي سَـــراباً كـــانَ يَحْسَـــبُهُ
مــاءً مِنَ الشّـوْقِ فــي عيْنِ الثّرى شـبّا
حَيْـــرانُ تَفْضحُـــهُ الأَنْفـــاسُ لاهثةً
وتَكْشِـفُ الأرْضُ أسْـراراً بمـا خَبّـا
يُســـبِّحُ الشِّـــعْرُ والمَعْنـــى بأحْرُفِـهِ
أو بالتجلّـــي الـــذي يَسْـمو بِـهِ رَبّـا
مِنْ جانـبِ الطُّـورِ كانَ الحُـبُّ مُفْرَدةً
مِــنَ السّــماءِ ونَجْمــاً ثاقِباً هَبّـا
وكانَ فــي يُوسُــفٍ وَجْــهٌ لَطافَتُـهُ
كــادتْ بِخفَّتِهــا أنْ تُوقِــدَ الجُبّـا
وكـــانَ غَيْبـــاً لإسـماعيلَ مُـخْتَزَلاً
بالأمْنِيـاتِ ونَحْـراً يَنْتشـي حُبّـا
كانَ الثّبـاتَ الـذي فـي السَّـعْيِ جَذّرَهُ
يقيـنُ هاجـرَ لَمّـا قلبُهـا لبّـى
كانَ النّقـاوةَ لَمّـا زَمْـزمٌ نَضَحَـتْ
مـاءً طَهـوراً علـى أوْجاعِنـا صُبّـا
وفـي التَّكَهُّـنِ عـرّافٌ لـهُ انْكشَـفَت
كلُّ الْجِهـاتِ وعَـرّى حَدْسُـهُ الغَيْبـا
ودَمْـعُ غيْـمٍ هُنـا مـازالَ مُنْسَـكباً
فَـوْقَ الحَنايـا وحِسّـاً يَمْـلأُ القَلْبـا
فَمِـن مَرايـاهُ شُـقّتْ كُلُّ أجْنحَتـي
حَـدَّ انْعِتاقـي إلى أفْـقِ المَدى سِـرْبا

هاجر



حنان فرفور
لبنان

كَمْ كذبْنا حين قُلْنا قَدْ نَسينا
كفُّها المَطْوِيَّ مثلَ الياءِ
في هَمْسِ الدّعاءْ
يَستردُّ الشمسَ صُبْحاً،
لَوْ بَرِدْنا
يقطفُ الصَّيْفَ مليّاً..
مِنْ نُذورِ الأنْبياءْ
كَمْ صَرَخْنا: أرْجِعيهِ
أرْجِعيهِ كفَّكِ المُمْتدَّ شَمْعاً
في طوابيرِ التَّجَلّي..
أرْجِعيهِ (ذاكَ أُمي) بعضَكِ
الممتدَّ دمعاً
في قنوطِ الأولياءْ..
أنتِ كلٌّ في حَنايانا..
وهَلْ يَرْضى المُريدونَ
بِبَعْضٍ
نامَ طَوْعاً في سُجودِ الأتْقياءْ؟
تَحْمِلينَ الماءَ سَبْعاً ..
في طَوافٍ
رَاحَ يَسْتَسْقي الرَّجاءْ..
كَيْفَ يا هَاجَرُ نَبْكي
عُمْرَنا الْمَثْقوبَ رَمْلاً،
ولإسماعيلَ زَمْزَمْتِ البُكاءْ؟
فاقْرئي وَجْهَ الصَّفا..
في سُورةِ السَّعْيِ سَراباً..
كَيْ يَؤوبَ الْقَحْطُ بئرٌ
نامَ في عَيْنِ الشَّقاءْ
كمْ كَذَبْنا حين قلْنا
قَدْ كبِرْنا
أوْ نَسينا
صَوْتَها الْمَغْزولَ مِثْلَ النّايِ..
مِثْلَ الْوَحْيِ في بالِ السَّماءْ..
يَسْتعيدُ اللَّوْنَ لَوْ شَابَ بِرَأسي
يَمْزِجُ الشَّيْبَ يُغنّي:
هَاكِ عُمري..
لَوْ رآكِ الموتُ أو حُمَّ القضاءْ

أمي

بدرية البدري
عُمان

عامانِ ما ضرَّ لو أنّي تركتُهُما   ورحتُ للغيمِ عن أمي أحدِّثُهُ
كانت تُقيمُ ليَ الدنيا وتُقْعِدُها   ولي من الموتِ ما أبغيهِ تبعثُهُ
حولي تحومُ كمن تخشى مفارقتي   سبعاً من البعدِ ترقيني وتنفُثُهُ
عامانِ أمي على زهرٍ تؤرجحني   بما اشتهتْ عمري الغالي تُؤَثِّثُهُ
عامانِ من يخبرُ النسيانَ خطفهما   بعد الحصادِ يجيءُ الحقلَ يحرثُهُ
من يبدأ العدَّ من صفرٍ ويرجعُني   صمتَ الجدارِ على الآذانِ أبْثُثُهُ
من يخبرُ اليمَّ عن أمي وحرقتِها   عن نارها، كلِّ ما بالروحِ يحدثُهُ
لعل ضحكتَها يوماً تعاوِدها   صدى البكاءِ لعلي الآن أحنثُهُ
أو علني حين أغدو نجمةً أفلت   أطمئنُ الجبَّ، بعضَ النورِ أورثُهُ



إلى أمّي



عبد العزيز الهمّامي
تونس

ثَقِيلٌ هُوَ الظِلُّ مِنْ بَعْدِهَا
وَثَقِيلٌ عَلى البَابِ
هَذَا الهَوَاءْ
وَمَازَالَ شَوْكُ المَسَافَةِ
يَجْرَحُنِي
وَاللَّيَالِي هَبَاءْ
أَزَاهِرَ ذُبْلَى عَلَى شَفَتِي
ظَلَّ قَلْبِيَ طِفْلاً
يَحِنُّ إليها
وَيَشْتَاقُ ضَحْكَتَهَا
وَحكَايَاتِهَا فِي المَسَاءْ
وَعِطْرُ المَجَالِسِ يَنْفَضُّ
لَمْ يَبْقَ خَيْطٌ مِنَ الأَمْسِ
لَمْ يَبْقَ فِي البَيْتِ
حُبٌّ يُظَلِّلُنِي
وَلا شَيْئَ مِنْ وَهَجِ البَحْرِ
يَعْزِفُنِي
وَعَيْنُ الغمَامَةِ تَخْضَلُّ بالدَّمْعِ
مِنْ شَجَنِي
وَالدُّرُوبُ ضَبَاب
فَمَا ضَحِكَتْ لِلنَّوَافِذِ رِيحٌ
وَمَا اخْضَرَّ فِي الأَرْضِ
رِيشُ السَّحَاب
وَلاَ مَنْ يَمُدُّ إِلَى العُمْرِ
لُؤْلُؤَةً
أَوْ يُكَحِّلُ بِالوَشْيِ
صَدْرَ التُّرَاب
وَأُمِّي عَلَى ضِفَّةِ الصَّمْتِ
تَرحَل عَنِّي بَعِيداً بَعِيدَا
وَرَاءَ التِّلاَلْ
مُخْضَّبَةً بِبَيَاضِ الثُّلُوج
وَمَغْسُولَةً بِدُمُوعِ الجِبَالْ
وَيُصْبِحُ هَذَا الغُرُوبُ شَرِيدَا
وَأَبْقَى عَلَى حَافَةِ الذِّكْرَيَاتِ
وَحِيدَا
وَأَحلُمُ أَنْ يَرْجِعَ العُمْرُ
أَنْ تَسْتَرِدَّ الطَّبِيعَةُ
أَعْشَابَهَا وَعَنَادِلَهَا
وَأَنَامُ سَعِيدَا
وَأَحْلُمُ أَنَّ الغُيُومَ
سَتُشْفِقُ يَومًا عَلَيَّ
وَأَنَّ الرِّيَاح
سَتَحْمِلُ أُمِّي إليَّ
وَتُرْسِلُهَا فِي خُيُوطِ المَطَرْ
عَلَى شُرْفَةِ العَيْنِ كَانَتْ مَلاَكا
وَأَيْقُونَةً وَقَمَرْ
وَكَانَتْ بِرغْمِ المَتَاعِبِ
صابِرَةً فِي العَوَاصِفِ
شَامِخَةً كَالنَّخِيلْ
وَرَائِعَةً فِي السَّمَرْ
وَلَمْ أَتَفَطَّنْ إلى الدِّفْءِ
كَيْفَ تَبَخَّرَ قَبْلَ الأَوَانْ
وَكَيْفَ تَوَارَى الحَنَانْ
وَمَا عَادَ فِي شَجَرِ الدَّارِ
طَيْرٌ
وَلاَ مَطَرٌ فِي الطَّرِيقْ
وَلَيْسَ مَعِي غَيْرُ حُزْنِي
رَفِيقْ
وَأُمِّي بِذَاكِرَتِي اَخِر الوَرْدِ
بِالحَقْلِ
طَارَتْ مِنَ الكَفِّ
حِينَ البَهَاءُ مِنَ الشَّمْسِ
ضَاع
وَفَرَ الرَّبِيعُ مِنَ النَّافِذَةْ
وَكَانَتْ كَأُسْطُورَةِ الحُبِّ
تَأتِي
تُعِدّ طَعَامَ الغَدَاءْ
وَتَحْرُسُ وَقْتَ ذَهَابِي الَى
المَدْرَسَة
وَتَحْزِمُ أَمْرِي
وَتَكْتُمُ سِرِّي
وَعِنْدَ الصَّبَاح
تُمَشِّطُ شَعْرِي
وَتُمْطِرُنِي بِلَذِيذِ الدُّعَاءْ
وَكُنْتُ أُخَبِّئُ فِي صَدْرِهَا
وَجَعِي وَهُمُومِي
وَهَذِي ابْتِسَامَتُهَا مِنْ قُدُومِي
كَحَفْنَةِ نُورِ
مِنَ الغَيْبِ تَأْتِي
وَأُمِّي عَلَى عَهْدِها
أَوْقَدَتْ شَمْعَةَ العِزِّ منذ الصِّغَرْ
وَجَنَّتُنَا تَحْتَ أَقْدَامِهَا
أَشْرَقَتْ فَوْقَ بَابِي
وَأَيْنَعَ مِنْهَا تُرَابِي
وَكُنْتُ أَرَاهَا بِنَومِي
بِأَثْوَابِهَا السُّنْدُسِيَّةِ وَالبِيضِ
عَابِقَةً بِطُيُوبِ السَّمَاءْ
وَمَحْفُوفَةً بِالضِّيَاءْ
فَيَسْبِقُنِي شَوْقُ قَلْبِي إِلَيْهَا
وَأُسْنِدُ رَأْسِي عَلَيْهَا
أَضُمُّ الحَبِيبَةَ
أَبْكِي عَلَى يَدِهَا
فَيَطِيرُ المَنَامْ
وَأَفْتَحُ عَيْنَيَّ فِي غُرْفَتِي
لَمْ أَجِدْ في فِرَاشِي
إِلاَّ الظَّلاَمْ

ثلاثون كتاباً في مسيرته الإبداعية

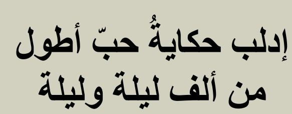
نجيب كيّالي

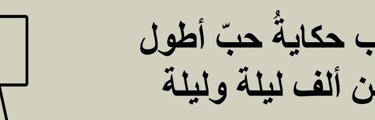
الأدب صديق أهمس له بأحزاني



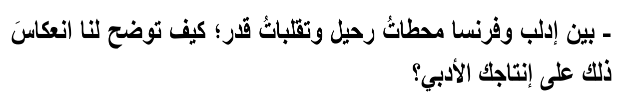
الأديب نجيب كيّالي، من مواليد مدينة إدلب السورية، عام 1953، يكتب الشعر والقصة، ومن روّاد أدب الطفل؛ مجبول بالتلقائية والصدق، ومؤمن بقوة الشراكة الروحية مع الأدب. يحمل إجازةً في اللغة العربية، في جعبته أكثر من ثلاثين كتاباً، منها ما هو منشور، ومنها ما لم يتح له ذلك بعد. ومع عنقود كتبه حصل على كثير من الجوائز في أدب الأطفال، منها جائزة الطيب صالح 2016 وجائزة عبد الحميد شومان 2016 ومحمد عزوز 2021 وغيرها، نَضِرٌ متفتحٌ رغمَ اقترابه من السبعين، عاشقٌ للجمال وللكلمة الراقية.

إباء الخطيب
سوريا





إدلب حكايةُ حبّ أطول من ألف ليلة وليلة



- بين إدلب وفرنسا محطاتُ رحيل وتقلباتُ قدر؛ كيف توضح لنا انعكاسَ ذلك على إنتاجك الأدبي؟

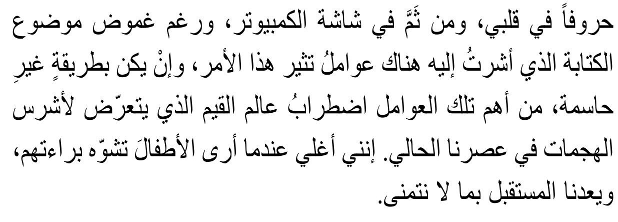
الأدب بالنسبة لي صديقُ روح أهمس له بأحزاني الخَفِيَّة، وأحلامي المجنونة التي لم تهدأ، وهو أول مَنْ يدري بتلك الحواف النائتة لجراحي، فيلتقط لها صورةً بـ «الإيكو» الأدبي. أما بالنسبة لسؤالك عن التقلبات بين إدلب وفرنسا، فقد جاء الأدب ليترجم سجلّ الوجع الكبير في قلبي، فإدلب مدينتي الجميلة التي تشبه فتاةً ريفية ثيابها البساطةُ، والنقاءُ، والخير، جرى لها ما جرى في السنوات العشر المنصرمة، تأتيني تلك الفتاة لتبكي بين يديَّ، وتشكو القسوة المنصبَّة عليها من كل الأطراف، فأجفّف دموعَها، وألخّص مأساتها فيما أكتبه.

وصلتُ إلى فرنسا قبل شهور، وهنا يجد القلب المضطرب شاطئاً للأمن والسلامة، لكنَّ الغربة كوحش أسطوري تفتح فكيها، وتعضُّني بين حين وآخر.. حتى إنها تُدميني، فيأتي الأدب الذي وصفتُه بأنه صديقُ روحي ليضمّد جراحي المتوارية، ويشفيها بالكتابة عنها.



آثار بيزنطية في إدلب



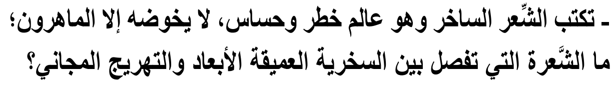


- هل يضرب فيك الحنين إلى مسقط رأسك جذوره؟

طبعاً أحنُّ إلى مسقط الرأس، أحنُّ كثيراً، أحنُّ بجنون.. أنا من جيل تربَّى على الشفافية، والوفاء، على القصائد النقيّة، والأغاني الزرقاء؛ إدلب مسقط رأسي حكايةُ حب أطولُ عندي من ألف ليلة وليلة.. تأتي شهرزاد لتروي لي تفاصيلَ الجمال والبساطة فيها.. تُحدِّثني عن الحي المسيحي الذي عشتُ فيه ستةً وثلاثين سنة، لا فرقَ بين جورج وإسبر وأحمد وعبد الفتاح، أجراسُ الكنيسة تختلط بهديل الأذان الساحر، فتتشكل منهما سمفونيةُ وئام، تُحدِّثني عن عطر الكروم، كرومِ العنب والتين التي تلفُّ المدينة بذراع خضراء كما تلفُّ الأمُّ طفلَها بذراعها.. عن شجر الزيتون الضارب في التاريخ، وهو يُؤرِّخ لألعابنا الطفولية تحته، ويسجِّل في دفتره الأخضر أغاني الفلاحين، وسهراتِ الأحبّة تحت أغصانه، تُحدِّثني عن زيته الذي أكلناه مع الخبز والزعتر وحبَّات البندورة، فتحوَّل فينا إلى نور وشموس.

- أصدرتَ ثلاث مجموعات شعرية للأطفال، منها: قمرٌ فوقَ دفتري، ولديك مجموعتان للكبار جاهزتان للطباعة، حدِّثنا عن الشاعر نجيب كيَّالي، متى تتأجّج عواطفه وينبض قلمه شعراً؟

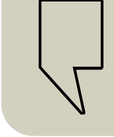
لا نعرف بالضبط متى نكتب، ولماذا مرَّت بنا أحداث جِسام لم يتحرَّك لها قلمنا بينما تحرَّك برشاقة مع أحداثٍ أخرى! أنا – عموماً - تختارني ساعةُ الكتابة، كأنها قَدَرٌ من الأقدار، تتلبَّد سمائي الداخليةُ بالغيوم، وينهمر المطر حروفاً في قلبي، ومن ثَمَّ في شاشة الكمبيوتر، ورغم غموض موضوع الكتابة الذي أشرتُ إليه هناك عواملُ تثير هذا الأمر، وإنْ يكن بطريقةٍ غيرِ حاسمة، من أهم تلك العوامل اضطرابُ عالم القيم الذي يتعرّض لأشرس الهجمات في عصرنا الحالي. إنني أغلي عندما أرى الأطفال تشوّه براءتهم، ويعدنا المستقبل بما لا نتمنى.

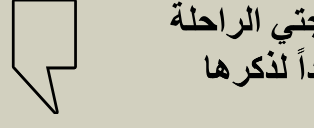


- تكتب الشِّعر الساخر وهو عالم خطر وحساس، لا يخوضه إلا الماهرون؛ ما الشَّعرة التي تفصل بين السخرية العميقة الأبعاد والتهريج المجاني؟

الشَّعرةُ تتمثل في أمرين: الأول، أن تُوجِّه القصيدة الساخرة سهامَ نقدها إلى موضوع مهم أو ظاهرة يعاني المجتمع وطأتها، فتأتي القصيدةُ كالدواء أو تُطلق من كنانتها مزيداً من نبال الكره نحو الظاهرة المشار إليها.

الأمر الثاني، أن تمتلكَ القصيدةُ الساخرة مقوّماتِ الفن الكوميدي، وأهمُّها رسمُ المَشاهد الخفيفةِ الظلّ عبرَ الصور البيانية التي تنتمي إلى عالم الكاريكاتير أو تكون قريبةً منه.



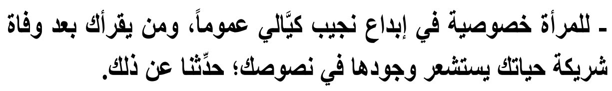


وضعتُ لزوجتي الراحلة كتاباً تخليداً لذكرها



فرنسا





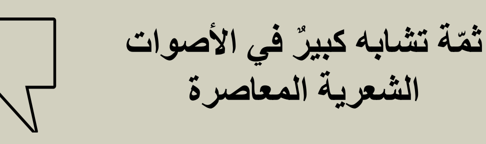
- للمرأة خصوصية في إبداع نجيب كيَّالي عموماً، ومن يقرأك بعد وفاة شريكة حياتك يستشعر وجودها في نصوصك؛ حدِّثنا عن ذلك.

المرأة - في رأيي - هي الجانبُ الجميل في وجودنا. الدنيا رملٌ وجبال وصحراء، والأنوثة هي الخضرةُ والماءُ والشكل الحسن، وحين يفتقدها الرجل تحاصره العُقد النفسية والجفاف، ويشعر بلا جدوى حياته، فهي إذن.. معنى المعنى، وخشَبَةُ المِغزل التي يدور حولها العمر. دخلت المرأةُ إلى حياتي حبيبةً أيام الجامعة، ولم يتح لي الزواج منها، لكنها منحتني نمواً لشجرة الأحلام، وأضافت إلى قلبي الصغير حجماً جديداً، وجعلتْني أميل إلى فهم فلسفة القرب والبُعد، ثم دخلت المرأةُ حياتي مرةً أخرى، دخلتها في هذه المرة حبيبةً وزوجةً معاً. دام الحب أكثرَ من ثلاثة وثلاثين عاماً دون أن يخسر درجةً واحدة من حرارته العالية أو بهائه الاستثنائي الفريد. أقول: فريد، لأنَّ لدى الناس عقيدةً بأنَّ الزواج مقبرةُ الحب، بينما أنا أقول كلاماً آخر: الزواج مُختَبَر الحب، يبقى إذا كان حباً حقيقياً، ويتلاشى إذا كان مجرَّدَ فقاعاتٍ عاطفية. أنا ورفيقة عمري كنا عصفورين في سماء الصدق والصداقة، حبُّنا كان شجرةَ سنديان جذورها في القلبين، ورغم موتها بالسرطان، لم يتوقف قلبي عن حبها قط. وقد وضعتُ من أجلها كتاباً كاملاً اسمه: زهرةٌ بيضاءُ في العينين، جمعتُ فيه كلَّ ما كتبتُه لها من نصوص قبلَ المرض وبعده، وأسعى لنشره في القريب العاجل.









ثمّة تشابه كبيرٌ في الأصوات الشعرية المعاصرة

- بين الهواية والخبرة مسافة على الشاعر والمبدع عموماً أن يقطعَها؛ كيف اكتشف نجيب كيَّالي بذور موهبته الأم؟ وكيف وصل بها إلى مرحلة الإثمار؟

اكتشافي لموهبتي - إذا صحَّ أنني صاحبُ موهبة - بدأ في سن مبكرة، وبالتحديد في الصف العاشر، فقد كنتُ مغرماً بالقراءة منذ المرحلة الإعدادية، وللكتب مغناطيسٌ لطيف يجذبني إليها أو عطرٌ ساحر يقودني نحوها. في الصف العاشر أخذنا أبياتاً من معلقة امرئ القيس: وليلٍ كموج البحر أرخى سدولَهُ.

في تلك السنة الدراسيَّة كان عندنا مدرِّس للجغرافيا، يتفوق على محمد علي كلاي في لكماته التي يوجهها إلينا لمجرد التمتّع بالضرب، وإثباتِ «المَرجلة»! ويضيف إليها شدَّ الأذنين والشَّعر، فكتبتُ فيه أبياتاً ساخرةً لاذعة أعارض بها نصَّ امرئ القيس، فانسجم معها كلُّ مَنْ سمعها، والتصقت أنغامُ الضحكات بأبياتها.

بعد البداية وجدتُني أزداد شغفاً بمناهل الثقافة.. الكتب، والأمسيات الأدبية في حلب، حيث درستُ أدبنا العربي في جامعة الشهباء ومرةً وجدنا أنفسَنا أمام عيدٍ ثقافي إذ حضرَ إلينا في جامعة حلب الشاعر محمود درويش، وألقى باقة من قصائده، منها يومئذ قصيدته الشهيرة: أحمد الزعتر، فاستفدنا من حضوره شِعراً ونقداً وتوجهاً واعياً نحو الحداثة. باختصار.. المسافة بين الهواية والإثمار الأدبي يقطعها المبدع بالاشتغال على نفسه بأناة وصبر، ولا بدّ من الغَرف من تجارب الآخرين، والتوجه نحو تراثنا الزاخر بروائعه من جهة، ونحو الأدب العالمي الذي يغرينا بالتجريب والابتكار وغيرِ المألوف من جهة أخرى، ويجعلنا هذا الأدبُ نعيد النظرَ في تجاربنا في ضوء شمسه المختلفةِ الأفق والضياء.

- خصصتَ دراسةً نقدية نظرية وتطبيقية نُشرت في دائرة الثقافة بالشارقة 2021 وحملت عنوان: للنهوض بقصة الطفل العربي؛ ماذا عن شِعر الطفل العربي؟ كيف يمكن النهوضُ به؟

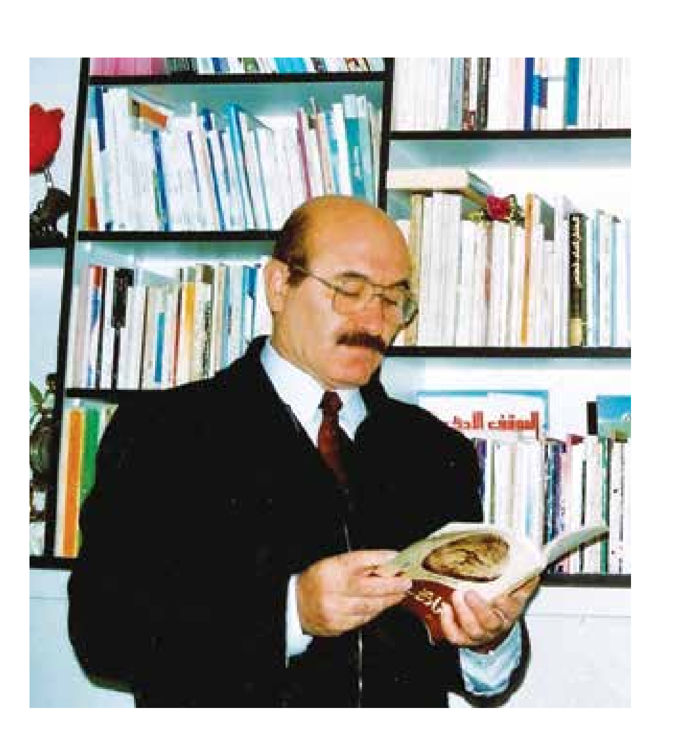
يحتاج النهوض بشعر الطفل إلى ضفيرةٍ من العوامل:

أولاً- أن يكفَّ غير الموهوبين عن إقحام أنفسهم في هذا المجال، وقد يكون شخص ما موهوباً في الكتابة للكبار، لكنَّ ذلك لا يعني أنه قادر على تقديم قصيدةٍ جيدة للكائن الصغير.

ثانياً- التوقف عن الكتابة للصغار من موقع المعلِّم والواعظ، بدلاً من إيقاظ الشاعر لطفولته عند الكتابة، وتعبئةِ النصوص ببراءتها، وياسمينها، وعفويتها.



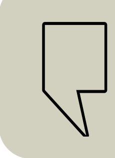
مزارع الزيتون في إدلب



ثالثاً- الاهتمام الفائق بالجانب الموسيقي في القصيدة الطفلية، لأنَّ الصغير مغرمٌ بالغناء منذ أغاني المهد التي تصبُّها الأم في أذنيه، ومن المأساوي أن كثيراً ممن شمَّروا أقلامَهم في هذا المجال، ليس لديهم أيُّ فكرة عن أوزان الشعر ومجزوءاتها التي تناسب الأطفال.

رابعاً- التفكير في الموضوعات التي يحتاج إليها أطفالنا في زمن العولمة، واجتياحِ التقنيات الالكترونية لحياتهم.

خامساً- الإفادة من التجارب الشعرية السابقة التي نجحت في مخاطبة صغارنا، ولا سيما تجربةُ الشاعر الكبير: سليمان العيسى.

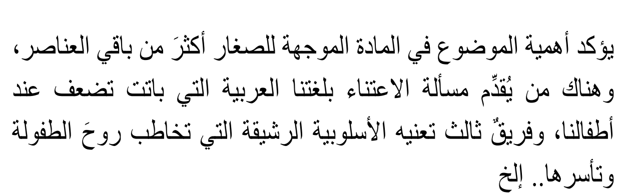


الكثير من التجارب الشعرية الجديدة ضعيفة

- نجيب كيَّالي اسم لامع في عالم أدب الطفل؛ هل كان هذا المجال خياراً أم أنه اقتنصك مصادفةً؟

قد يبدو الأمر مصادفةً لأول وهلة، فأنا كنتُ أكتب الشعرَ والقصةَ للكبار حتى عام 1978، وذاتَ يوم انعطف قلمي فكتبتُ قصةً للصغار عنوانها: القناع، ورغم أنها النص الأول لهذه الفئة العمرية فقد جاءت متكاملةً بشهادة ذوي الاختصاص يومئذ، لكنَّ وراءَ المصادفة المشارِ إليها عواملُ دقيقة كامنة، فأنا مولع مثلاً بمطالعة مجلات الأطفال، وحفظِ قصائدهم، ولديَّ غَرارةُ، طفلٍ في التعامل مع الحياة، وثمَّةَ شأنٌ شخصي هو خسارتي لأمي وأنا في عمر السابعة بسبب الطلاق الزوجي، فكأنني بالكتابة أسلِّي ذلك الطفلَ الكسيرَ القابعَ في أعماقي.





أرى الشعر اليوم صناعة رقميّة

- نحن اليوم أمام أزمة تلقٍّ، في عصر السرعة والتكنولوجيا إلى أي مدى تؤمن بنوعية القارئ وبحسن قراءته لنصوصك؟

أنا أكتب بأسلوب سهل سواءٌ للكبار أو للصغار، والقارئ المتوسط المستوى يستطيع أن يعي ما أريد، لكنَّ القارئَ اليوم عموماً هو دون ما نأمل، إنه صناعةٌ «فيسبوكية» يغلب على ذائقته الاستعجال، وقلة الصبر، وهو مطالَب بأن يُعِدَّ للنصوص الثرية عُدَّتها من عمق النظرة، والثقافةِ المحيطة بالموروث الثقافي العربي والعالمي، فالأدب لم يعد وصفاً كما كان، وإنما دخلَتْه بُنَى جديدة تحتاج إلى فهم جديد.

- هل هناك قوانين أو منظومات معتمدة يُحتكَم إليها وتُتَّبع في أدب الطفل، لتمييز الجيد من الرديء أو الاعتباطي؟

ثمة قوانين، لكنها تختلف بين هذه اللجنة وتلك من لجان القراءة، وبين هذا الناقد وذاك من النقاد المتخصصين بمتابعة أدب الطفل، هناك من يؤكد أهمية الموضوع في المادة الموجهة للصغار أكثرَ من باقي العناصر، وهناك من يُقدِّم مسألة الاعتناء بلغتنا العربية التي باتت تضعف عند أطفالنا، وفريقٌ ثالث تعنيه الأسلوبية الرشيقة التي تخاطب روحَ الطفولة وتأسرها.. إلخ

أرى أنَّ كلَّ ما سبق مهم، يجب الالتفاتُ، ويجب الإفادةُ من مَعين الآداب العالمية التي سبقتنا بأشواط في هذا المجال.

- بعد ثمانية وستين عاماً - أمدّ الله في عمرك - منها سنوات تكللت بالإبداع والنجاح والجوائز، ما الذي يطمح اليه اليوم نجيب كيَّالي؟ وما مصادر تغذيتك للأمل؟

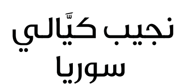
طموحاتي كثيرة كالأسماك في بحيرةٍ فسيحة.. أطمح أولاً إلى نشر ما كتبتُه، أطمح لو أنني أحمل مكنسةً، أدخل بها إلى عقول الجيل الجديد، فأنظف منها السفاسف التي باتت شغلاً شاغلاً، أطمح إلى أن يختلط الحب بهوائنا وأنسامنا، فنتوقفَ عن الكراهية والتباغض والحقد، ونعيشَ كالحمام في سلام فوق أغصان العمر. أما مصدر تغذيتي للأمل فهو جاف أو غير موجود في معظم الأحيان، حيث يأتي القنوط كصخرة، ويسقط على قلبي، لكنني أصحو من يأسي على أغنية شحرور.. على تسبيحةِ نقاء تعبر عينين ودودتين.. على سماءٍ تهمس لي بشفافيتها: الأزرقُ النقيُّ قادمٌ.. قادم.



إدلب



نغمةٌ ورباب



نجيب كيَّالي
سوريا

غنّي، فعمري نغمةٌ وربابُ
أنسابُ حيث قصيدةٌ تنسابُ
تتنهَّدُ الألحانُ حولي عذبةً
وأنا بهمسِ العاشقينَ جوابُ
فيروزُ تفتحُ لي سماواتِ الهوى
فيطيبُ لي فرحٌ بها وعذابُ
وتطيبُ لي من قهوتي رشفاتُها
ومنَ السعادةِ ترقصُ الأكوابُ
شيخوختي أنسى، فأسبحُ جائباً
أفْقاً، وأفْقاً، إنّني جَوَّابُ
حتى الشموسُ أمسُّها بأصابعي
وعلى الأقاصي تُطبِقُ الأهدابُ
إنْ لمْ تُغنِّ فلا صباحَ لحيِّنا
لا نشوةٌ فيهِ، ولا أطيابُ
فيروزُ لؤلؤةُ القلوبِ، حمامةٌ
لمجيئِها تتفتّحُ الأبوابُ
كلُّ المغنينَ انطوَوْا في صوتِها
وأتى ليطلبَ رشفةً زريابُ



عبّرت عن تجاربهم الجماليّة على مر العصور

القِيَم في القصيدة العربية تَصوغُ إنسانية الشعراء

لطالما كان الشعر راوي الأحداث وحامل الجمال وترجمان المشاعر، بل ولسان روح الشاعر. وقد تنوّعت أغراض الشعر منذ القديم وتطوّرت أساليبه، فمنه ما كان يأتي بالدهشة من خيال الشاعر، ومنه ما كان يعبّر عن القيم الإنسانيّة والمجتمعيّة أو حتى عن تجارب شخصية للشعراء. ولكن، كيف يوظّف الشاعر القيم والمبادئ الحياتية في نصّه؟ وإلى أي مدى تنعكس تجربته الشخصية في هذا التوظيف؟ وهل النصّ الشعري هروب من الواقع إلى المثالية المطلقة؟ استطلعنا آراء مجموعة من الشعراء العرب في هذا العدد من «القوافي».



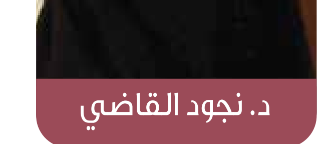


أحمد الصويري
سوريا / السويد



د. سلطان الشبهان





د. نجود القاضي







محمد المامي





هزبر محمود

د. سلطان السّبهان: يجب أن يتمتع الشاعر بمنسوب إنساني عالٍ

الشاعر – كما أقول دائماً – إنسان خاص، فهو كما ينبغي أن يتمتع بمنسوب إنساني عالٍ يجعله لسانَ القيَم والمتحدث الرسمي باسم المبادئ، يعيد صياغتها ويبرزها ويحييها، ولولا خصال سنّها الشعر، كما يقول أبو تمام، ما درى العامّة من أين تؤتى المكارم.

وعليه، فالمؤمن بهذه الوظيفة الكبرى للشاعر، سيجد نفسه مهتماً بغرس بذور القيم في أرض نصه الخصبة، ويكسوها بحلة الكلمات القشيبة، ويسقيها بضروب عالية من جميل المجازات والأساليب.

وهذا كلّه لا ينفي نزوع بعض الشعراء إلى التهويم، بعيداً عن تقصّد القيم؛ فلا يرى نفسه مسؤولاً أصلاً عن تلك المهمة، فيكتب للجمال وللجمال فقط، حتى لو لم يكن ملموساً أو مرتبطاً بقيمة إنسانية مباشرة.. لكنه في الوقت نفسه، ومن حيث لا يقصد، سقى القيم بماء صافٍ ومنعش، وهو ماء الجمال ذاته الذي هو قيمة روحية عُليا أيضاً.

أستطيع القول إن ما يجب أن يكون عليه الشاعر، قد يختلف عما هو عليه فعلاً اليوم، لكنه في النهاية يجب أن يكون في الحالين إنساناً مشغولاً ببيع الزهور ورعي البلابل وترقية نفسه وما حوله.

د. نجود القاضي: لا يمكن أن يخلو نصّ من قيم جمالية

للشعر أن يكون عشبةَ النمّام، ولمثل هكذا شعر أن يُعَمَّر، إذ لا يمكن أن يخلو نصّ يتصف بالشعرية من قيم الجمال التي تشده إلى الأرض ولا تتركه عائماً في الهواء.

وهذه القيم مرجعيات تتنازع النصّ، وتشكل أنساقه السرّية، فيظهر أثرها فيه، وكلٌّ يُحَمِّلُ شِعرَهُ من مرجعياته وخلفياته الثقافية ما يسَعَه، إلّا أن هناك أدباء يحاولون التفلُّت من هذه الأنساق التي تعبّر عن واقع النصّ، لينتجوا واقعاً بديلاً.



محمد المامي: الشعر تجسيد للواقع أو محاولة للهروب

الشعر الحقيقي لا يمكن أن ينفصل عن واقع الحياة، وتوظيف الشاعر للقيم والمبادئ الحياتية في النصّ يمثّل الهواء الذي تتنفسه القصيدة، وإن كان لا بدّ لذلك التوظيف أن يحافظ على طبيعته الإبداعية، بحيث تكون الحالة الشعرية هي المسيطرة في النص، ويكون ابتكار الصورة الشعرية منسجماً مع الواقع؛ فكل القصائد الخالدة والملاحم التاريخية، منذ الإلياذة وحتى قصائد محمود درويش، مروراً بالشعر الجاهلي وغيره، إنما كانت تعبيراً عن حالة مَعيشةٍ فعلاً؛ يقول الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه «إن الشعراء حين يريدون أن يلطّفوا حياة الناس، فإنهم إمّا أن يحولوا الأنظار عن الحاضر المعذّب، وإما أن يضفوا على هذا الحاضر ألواناً جديدة تشعّ بالضياء». ولذلك - بحسب رأيه - يولد الفن العظيم من رحم الأهوال العظيمة والوحدة الشديدة، ومن ثمّ فالنصّ إما أن يكون تجسيداً لواقع، أو محاولة للهروب منه، كما هي الحال عند الرومانسيين. وفي كل الأحوال يتجلّى حضور القيم والمبادئ الحياتية في النصّ الجيد، ولا يمكن للنصّ أن يصل إلى المتلقي، ما لم يسكب الشاعر فيه شيئاً من روحه وذاته.

هزبر محمود: الإبداع يأتي من التعامل مع موضوع القصيدة

إن واحداً من أهم أسباب اختلاف الشاعرية بين شاعر وآخر، هو منهل الشاعر - سبب الكتابة - دون تجاهل لعناصر أخرى لها أهميتها. وحتماً ليس هناك شاعر له منهل واحد وإلّا لنضب الشاعر كما حصل مع كُثُر. وإذا اختصرنا المناهل بما ورد في السؤال هنا، فجعلناها منهلين فقط، هما التجارب الحقيقية أولاً، والخيالية ثانياً، وباعتقادي ومما في رأسي من تجارب شعراء، فقد تفوقت النصوص التي أخذها الشاعر من حياته وتجاربه اليومية، تفوقاً كبيراً على النصوص التي تخيّل تجربته بها أو نسخها من تجارب آخرين. ونجد عندها أن النصوص التي علقت في الذاكرة، كانت التي تحدث بها الشاعر عن تجربة شخصية، أو كانت شرارتها من واقعة حدثت بالفعل، فانطلق بها إلى نصّه العبقري. أما النصوص الكبيرة التي تفوقت لشعراء، رغم عدم وجود تجارب حقيقية بها، فهي نابعة من عبقرية استثنائية لشاعر عاش الخيال، وكأنه حقيقة. وهذا بالطبع يحتاج إلى جهد كبير وانشطار ذهني أعلى بكثير. ختاماً لا بدّ أن أشير إلى أن أحد أسباب التهمة التي تُطلق على الشعراء المعاصرين، بالتشابه، هو سلوكهم الخيال شعرياً، وعدم معرفة تسخير تجاربهم الحقيقية، لاعتقادهم أنها تقود إلى المباشرة في القصيدة، وعدم المجيء بالمختلف، وما ذاك إلّا ضرب من الوهم، لأن الحقيقة، هي أن الإبداع لا يأتي من الموضوع، بل من طريقة التعامل معه.


د. عائشة الشامسي


د. حازم مبروك


سمية اليعقوبي


د. أحمد محجوب



د. عائشة الشامسي: من الحكمة الحكم على النصّ بعيداً من قائله

إن النصّ بالنسبة للشاعر، هو فضاؤه الذي يحلق فيه، هو الأرض التي يزرع نفسه فيها، العالم الذي يرسمه بكلماته كيفما يشاء؛ لذلك حين نتساءل عن تمثُّل قيم الشاعر ومبادئه الحياتية في نصّه، فنحن نقف محمّلين بالدهشة أمام سؤال له إجابات متفرّعة؛ فهنالك من الشعراء من يعدّ الشعر رسالة كغيره من الفنون، فيحاول بقصائده أن يقدم نموذجاً أخلاقياً، وكأنهم يترجمون مقولة الشاعر الألماني هولدرين «ما يبقى يؤسّسه الشعراء»، فتستحق المبادئ والقيم أن تبقى.

وآخرون يرون الشعر تحرراً وعالماً آخر يلجأ إليه الشاعر، لا قيود فيه ولا مقصلة، فيكتب ما يشاء ويعبّر عما يشاء، لذلك نجد بأنه من الحكمة والعدل مقاضاة النصّ والحكم عليه، بعيداً من قائله؛ فما يحمله النصّ من قيم ليس شرطاً أن يمثل كاتبه.

وفي مجمل الأمر يبقى النصّ وسيلة الشاعر الأولى للتعبير، يوظف فيها القيم التي يتمنّاها ويريدها في واقعه.

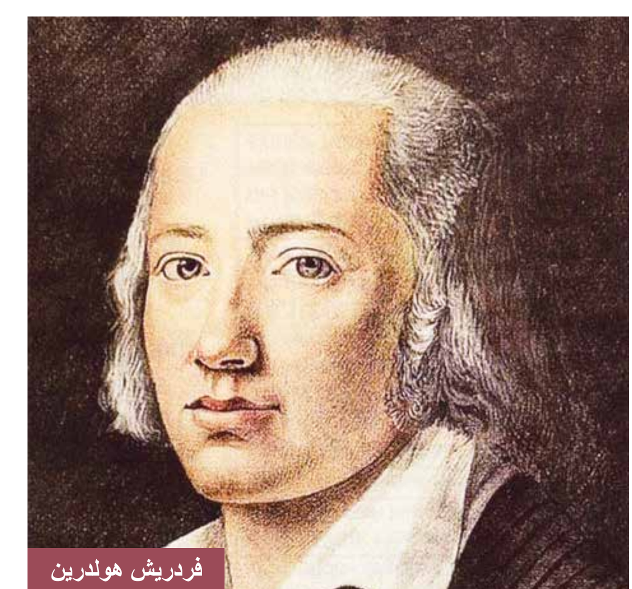
د. حازم مبروك: أنا مع مقولة أعذب الشعر أصدقه

التجربة الشعرية متأصلة في ذات الشاعر، ولعلّ من قال «إن أعذب الشعر أكذبه»، كان يقصد أنه كلما حلّقت في الخيال المحض، كنت مبدعاً. وهذه نظرية تحتاج إلى إعادة نظر؛ حيث إن تطور الشعر الحديث بتجاربه التي لا تنتهي، يرى أن أعذب الشعر أصدقه، فإننا نبلغ أقصى درجات الإعجاب بالشاعر، حين يسوق لنا شيئاً حقيقياً جداً، لكننا لم نلتفت إليه من قبل، فيمسّ بذلك أرواحنا، الخيال الحق في ذلك الخيط الرفيع الذي يربط بين التجارب الحياتية، لينشئ لنا واقعاً آخر نصبو إليه، وما من شاعر حقيقي إلّا له من تجارب. وفي رأيي أنّه كلما أمعنتَ في الحقيقة، استخرجت منها شعراً يعرف طريقه للقلوب.

سميّة اليعقوبي: على الشاعر ألّا يهرب إلى مثالية مطلقة

وجب على الشاعر في عصرنا الحالي أن لا يميل نحو المشاعرية على حساب المنطقية في كتاباته، وأن ينزل من برجه العاجي، لكي




فردريش هولدرين

يضيء على قضايا مجتمعه، لأنه يؤدي دور المثقف الواعي والموجِّه، في عصر غلبت عليه التكنولوجيا وغُيِّبت العلاقات الإنسانية المباشرة داخل المجتمع. وعليه وجب التركيز على القضايا الموضوعية والخروج قليلاً عن الذاتية، لأنه مهما كان شاعراً فذّاً، إذا لم يكن يحمل قضية وفكرة أو حلاً لتنوير المجتمع وتوجيهه نحو الأفضل، فلن يكون له ذلك الدور المؤثر والفاعل، وستبقى تجربته الشعرية هشّة ولا أسس لها. فحتى شعراء الجاهلية، عملوا على بثّ قيم العرب الأصيلة ومبادئهم في قصائدهم، كالكرم والعدل والفروسية، لذلك لا بدّ من حرص الشاعر في وقتنا الراهن، على نبذ العنف بكل أنواعه في شعره وبثّ روح الأمل، رغم صعوبات الحياة والرقيّ بالقارئ، وتهذيب ذوقه، والتذكير الدائم بمبادئنا العربية الأصيلة، ذات الرفعة والإنسانية العالية، كونه مرآة عصره، وعليه أن لا يهرب من واقعه، نحو مثالية مطلقة في نصّه؛ فهو بذلك ينسلخ عن مجتمعه وواقعه، ولن يتأثر أو يؤثر.

د. أحمد محجوب: الشعر في فلسفته محاولة يائسة للهروب

لا يستطيع الشاعر انفكاكاً بحال من محيطه وبيئته ومدخلاته الفكرية والتربوية، فلا مناص من انعكاس المزاج والتوجّه والكوامن والحاجات في جوهر النصّ بأشكال تكون أحياناً جلية، وأخرى خفية، تتدرج في سياق المعنى الذي يقولون عنه، إنه «في قلب الشاعر»؛ وفي الحقيقة هو على لسانه دون إرادته، بل أحياناً على كل لسان.

إن الشعر في فلسفته محاولة يائسة وفاشلة للهروب، وجمال النصّ الشعري في فشل هذه المحاولة كل مرة، كي يتحقق هذا المزيج بين خيالات الهروب والواقعية التي تفرض نفسها في القصيدة بقصد أو دون قصد. إن كل التجارب الماورائية التي خاضها الشعراء، منذ أكثر من ألف عام، تكشف بشكل أو بآخر حقيقتهم ماثلة بكل نصاعتها في القصيدة، لوناً وطعماً ورائحة.



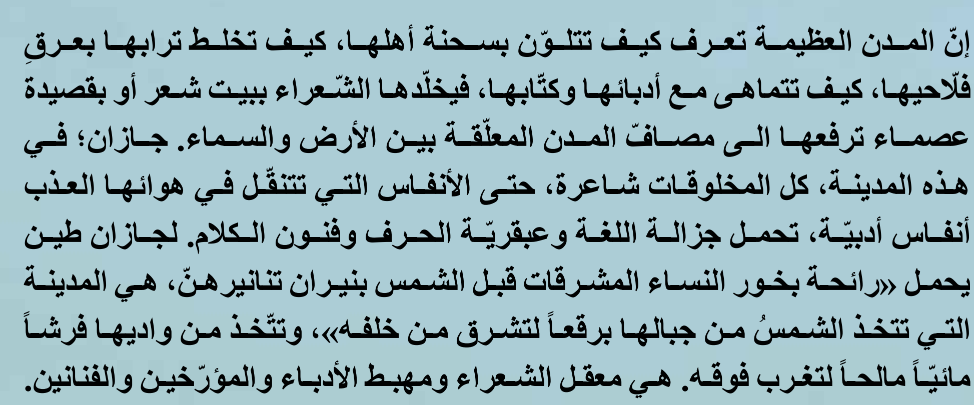
تكتنز بين وديانها جزالة اللغة وفنون الكلام

جــازان السعودية..

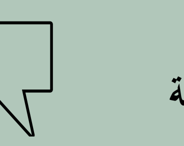
أصالة الماضي وإشراقة الحاضر



سارة الزين
لبنان



إنّ المـدن العظيمـة تعـرف كيـف تتلـوّن بسـحنة أهلهـا، كيـف تخلـط ترابهـا بعـرقِ فلّاحيهـا، كيف تتماهى مـعِ أدبائهـا وكتّابهـا، فيخلّدهـا الشّـعراء ببيـت شـعر أو بقصيدة عصمـاء ترفعهـا الـى مصـافّ المـدن المعلّقـة بيـن الأرض والسـماء. جـازان؛ فـي هذه المدينـة، كل المخلوقـات شـاعرة، حتـى الأنفـاس التـي تتنقّـل فـي هوائهـا العـذب أنفـاس أدبيّـة، تحمـل جزالـة اللغـة وعبقريّـة الحـرف وفنـون الـكلام. لجـازان طيـن يحمـل «رائحـة بخـور النسـاء المشـرقات قبـل الشـمس بنيـران تنانيرهـنّ، هـي المدينـة التـي تتخـذ الشـمسُ مـن جبالهـا برقعـاً لتشـرق مـن خلفـه»، وتتّخـذ مـن واديهـا فرشـاً مائيّـاً مالحـاً لتغـرب فوقـه. هـي معقـل الشـعراء ومهبـط الأدبـاء والمؤرّخيـن والفنانين.



تمتدّ بجذورها إلى الحضارات القديمة

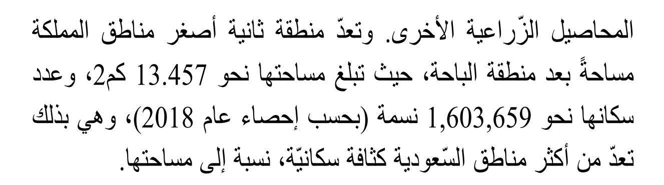
أسطورة الاسم

تأبى هذه المدينة إلّا أن تكون حكاية أسطورة من أساطير الأحلام؛ فقد قيل إن الأصل وراء تسميتها يعود الى أن الجنّ كانت تحبس في قديم الأزل في تلك المدينة، وكان اسمها بادئ ذي بدء «جزاء الجان»، ثم تغيّر فيما بعد وحرّف الى «جيزان» الى أن صار «جازان» كما نعرفها اليوم.

هذه المنطقة الأثريّة التي تضمّ معالم تعود إلى 8000 عام قبل الميلاد، أصبحت من أهم المدن السّعودية والعربيّة. هي إحدى المناطق الإدارية التي تقع في جنوب غربي المملكة العربية السّعودية وتطلّ مباشرة على البحر الأحمر، وتعدّ البوّابة الرّئيسة لجزر فرسان. وتضمّ الكثير من المحافظات والمراكز، وتتميّز بتنوّع البيئة والمناخ. وفيها ميناء جازان، وهو ثالث أكبر الموانئ سعةً، يقع على البحر الأحمر بالمملكة. كما تحدّها اليمن من الجنوب والجهة الجنوب الشرقية. وإنّ عاصمة المنطقة الإدارية هي مدينة «جيزان».

السكّان

تعدّ منطقة جازان واحدةً من أهمّ المناطق الزّراعيّة في المملكة، بسبب تنوّع محاصيلها، فهي تشتهر بزراعة المانجو، والبابايا وعدد من



المحاصيل الزّراعية الأخرى. وتعدّ منطقة ثانية أصغر مناطق المملكة مساحةً بعد منطقة الباحة، حيث تبلغ مساحتها نحو 13.457 كم2، وعدد سكانها نحو 1,603,659 نسمة (بحسب إحصاء عام 2018)، وهي بذلك تعدّ من أكثر مناطق السّعودية كثافة سكانيّة، نسبة إلى مساحتها.

حضارات قديمة

جازان المنطقة العريقة بتاريخها الضارب بجذوره بعيداً، ليكون جزءاً من الحضارات القديمة، تضمّ عدداً من المعالم، منها:

1- منطقة عثر: تقع غرب صبيا واحدة من بين المحافظات في المملكة، وعلى ساحل البحر الأحمر. كما يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع الميلادي، وهي واحدة من بين أفضل الأسواق العربية في المنطقة كلها خلال ذلك الوقت.

2- قلعة الدوسرية: شيّدت على الطريقة التركية.

3- جازان العليا: من المناطق القديمة أيضاً، وتقع على مقربة من حاكة أبي عريش، وتعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي.

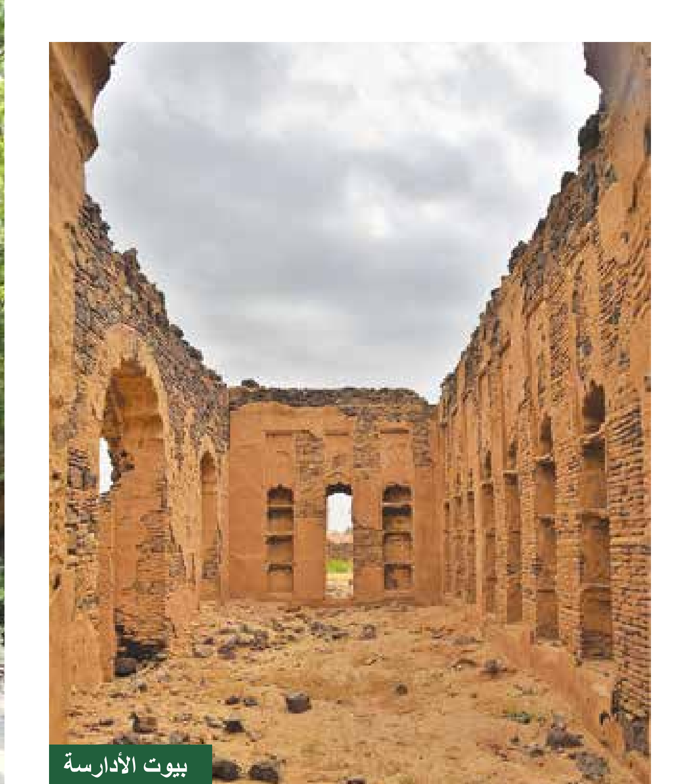
4- المنارة: تقع بين بلدتي الريان والكواملة بوادي جازان، وتعود إلى القرن السادس الهجري.

5- الخصوف: تقع في وادي خلب، وقد شيّدت على جبل صغير في المنطقة، وبنيت قبل دخول الدين الإسلامي، وتعرف داخل المنطقة اليوم تحت اسم «مهد الحصون».

6- الشرجة: من المدن الأثرية التي تطلّ على البحر الأحمر، وتاريخها يعود إلى القرن الرابع بعد الميلاد.



القلعة العثمانية

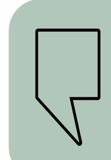


بيوت الأدارسة

7- السهي: تقع على ساحل البحر الأحمر، ويعود تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد.

8- وادي مصر: يضم الكثير من الآثار المدوّن عليها كتابات حميرية، ويقع في الجهة الجنوبية من جزر فرسان.

9- الكدمي: تضم الحجارة الكبيرة المتهدمة التي تشبه إلى حد كبير الأعمدة الرومانية القديمة.




منطقة أثريّة من أهم المدن السّعودية والعربية

امتيازات المدينة

تمتاز هذه المنطقة قبل أي شيء بموقعها الاستثنائي في المملكة، حيث إنّها تحمل خاصيّة كبرى تجعلها متفرّدة عن غيرها. ولجازان فرادة من نوع آخر نذكر هنا بعضها:

1- همزة وصل بين الحجاز والجمهورية اليمنية من الجنوب.

2- تضم ميناء جازان البوابة الرئيسة لواردات الجزء الجنوبي للمملكة.

3- تنشط فيها الكثير من التجارات والأعمال كالزراعة والصناعة والتجارة.



أصدر ناديها الأدبي الأعمال الكاملة للسنوسي عام 1983

أبرز شعراء جازان:

محمد بن علي السنوسي

يلقب «شاعر الجنوب»، ولد عام 1924 في منطقة جازان، وتوفي عام 1987 ودفن في المدينة نفسها. درس في كتاتيبها ومدارسها الأهليّة، ثم تابع علومه فدرس مبادئ النحو والصّرف والبلاغة على يد والده القاضي والشّاعر الشيخ علي بن محمد السنوسي.

أصدر النادي الأدبي في جازان الأعمال الكاملة للسنوسي عام 1983.

وقد ترجمت بعض قصائده إلى الإيطالية ونشر جزء منها في «مجلة الشعراء» بروما.

من دواوينه: القلائد، الأغاريد، الأزاهير، الينابيع، نفحات الجنوب.

ومن أشهر قصائده:

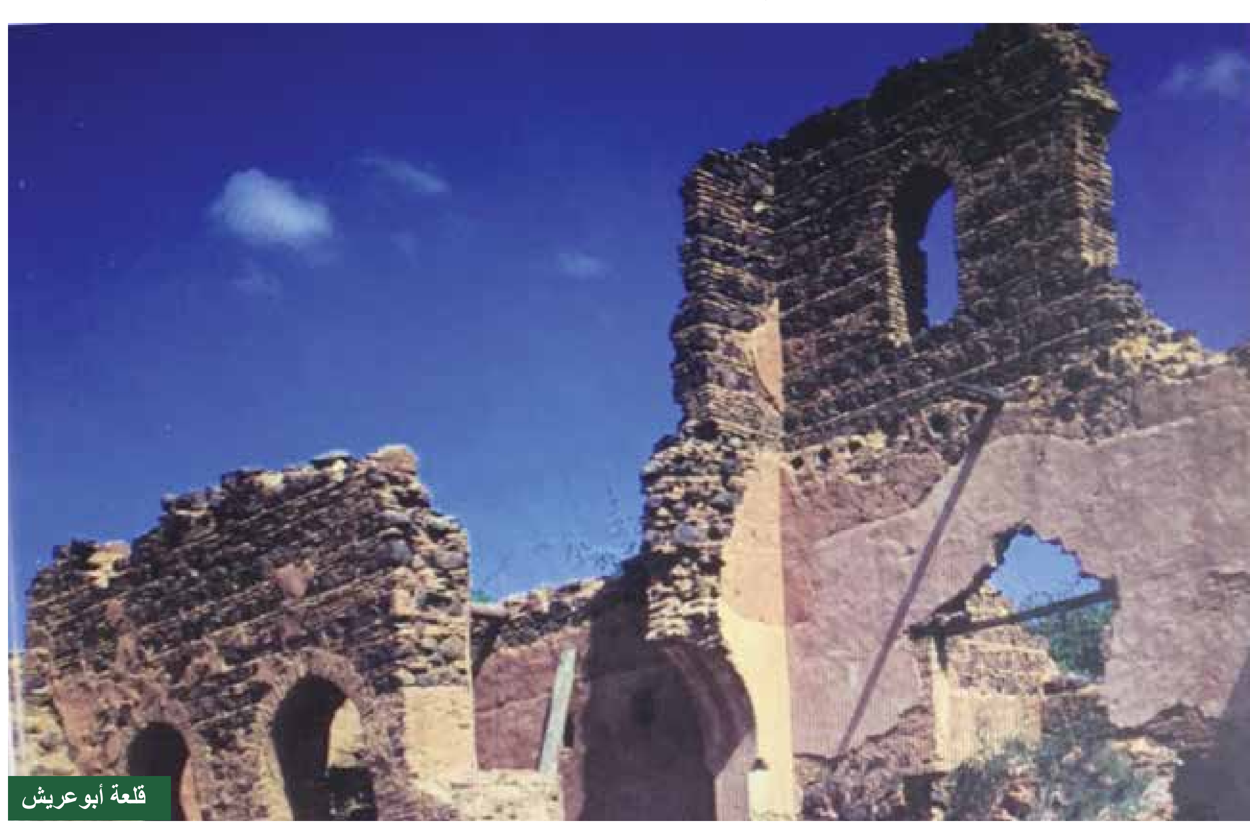
جـازان إنّي مِـنْ هَـواكِ لَشاكي
أَفَتَعْطِفيـنَ لِمُدْنَفٍ يَهْـواكِ
أَصْغي إلى هَمَسـاتِ قَلْبٍ طامِحٍ
مُتوثّـبِ الإلْهـامِ والإدْراكِ
مَشْبوبِ أرْجاءِ الشَّغافِ يَلوحُ مِنْ
خَلَلِ الأضالِعِ كالسِّراجِ الذّاكي
ولَقَدْ نَظَرْتُ إليْكِ نَظْرَةَ شاعِرٍ
سامي الخَيالِ مُدَلَّهٍ بِهَواكِ
يَرْعى شَواطِئَكِ الجميلةَ هاتِفاً
ومُغَرِّداً بِجمالِها ورُؤاكِ
يَجْلو المَساءُ على بِحارِكِ فِتْنةً
رَقَصَتْ لها الأمْواجُ تَحْتَ رُباكِ
وَهْجٌ مِنَ الشَّفَقِ المُذَهَّبِ قَدْ جَرى
تِبْراً يَشِعُّ على سَماءِ فَضاكِ

علي بن أحمد بن علي النعمي

ولد في ضمد بمنطقة جازان عام 1937، و توفي عام 2009 ودفن في مدينته. وهو من أوائل الدعاة إلى إقامة الأندية الأدبيّة، فقد دعا إلى إقامة ناد أدبي في ضمد، وكانت هذه الدعوة قبل إنشاء الأندية الأدبية في المملكة، ولكن هذا النادي لم يدم طويلاً. وأصبح في ما بعد أحد أعضاء نادي جازان الأدبي.

من دواوينه: «الرحيل الى الأعماق، الأرض والعشق، عن الحب ومنى الحلم، الأرض.. الوطن الحب الكبير، جراح قلب، لعيني لؤلؤة الخليج»، وغيرها.

من قصائده:



قلعة أبو عريش



ابراهيم حلوش من مهرجان الشارقة للشعر العربي 2020

مِنْ خِلالِ الصَّمْتِ ناجى هاتِفٌ
خاطِرَ الشاعِرِ في اللّيْلِ البهيمْ
يَمْتطي البَحْرَ، وفي أضْلاعِهِ
خفقةٌ حَرَّى، وشوقٌ وجَحيمْ
أعمَلَ المِجْدافَ في المَوْجِ لِكَيْ
يَبلُغَ الزَّوْرَقُ للشَّطِّ سَليمْ

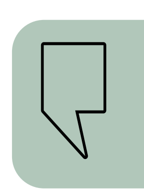
****

أيّها الماخِرُ في زَوْرَقِهِ
لُجَّةَ البَحْرِ.. وفي البَحْرِ خُطورَةْ
حاذِرِ الأمْواجَ إنْ هاجَتْ فما
تَهْتدي لِلدَّرْبِ في الرّيحِ الجَسورَةْ
وامْضِ لِلشَّطِّ بقلبٍ ثابتٍ
عابِراً ما كُنْتَ تَسْتَعْصي عُبورَهْ

****

أيُّها الماخِرُ كَمْ في البَحْرِ مِنْ
عَجَبٍ بادٍ يميناً وشِمالا
اليدُ الفُضلى التي ما تَرَكَتْ
دَفَّةَ المِجْدافِ مَهْما الدَّرْبُ طَالا
فامْضِ لِلشطِّ بقلبٍ ثابتٍ
تاركاً في اليَمِّ لِلْموْتِ الكسالى





**علي بن أحمد بن علي النعمي
ولد في ضمد بجازان**

أحمد بن إبراهيم الحربي

ولد عام 1957 في بلدة القرفي من وادي جازان، وتوفي عام 2021 ودفن في أرضه التي ولدته. درس في بلدته، ثم في جيزان وبعدها في أبها حيث تخرّج في كليّتها المتوسطة معلّماً. وعمل في بلدته. حصل على دبلوم في اللغة الإنجليزية من معهد سانز للغويات بالولايات المتحدة الأمريكية. عيّن رئيساً لنادي جازان الأدبي منذ 2007. كتب القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة، وله دواوين عدّة وروايات وقصص منها: «رحلة الأمس، الصوت والصدى، وقفات على عقارب الزوال، الخروج من بوابة الفل، قادم كلّي اليك»، وغيرها.

من قصائده عن جازان:

جـازانُ وانتفضَـتْ بقايـا أحْرُفـي
تَحْكــي جَمـــالَ الأرْضِ والإنْســانِ
الطيّبــونَ علـــى الثّــرى وقلوبُهـم
بَيْضــاءُ، سِــرُّ جَمالِهـــا الفتــانِ
الصابــرونَ علــى الأذى وصُدورُهــم
مفتوحــةٌ للْحُـــبِّ والإحْســـانِ
المؤمنـــونَ وكلُّ شــيءٍ حَوْلَهُــمْ
فــي الحَـدِّ مَقْذوفــاً مــع النّيــرانِ

علي الأمير

ولد في قرية المنجارة في جازان عام 1964، صدرت له مؤلفات أدبية، وشعرية كثيرة. عدّه الباحث والمؤرّخ محمد بن أحمد العقيلي، واحداً من شعراء جازانَ البارزين. وأشاد الدكتور عبد العزيز المقالح بتجربته الشعرية.

من أبرز منشوراته: ديوانا «بوصلة واحدة لا تكفي» و«أرح جوادك»، و«أسارير البلاد» (دراسة نقدية)، و«صنعاء» (أدب الرحلات)، و«غصون» (رواية)، وغيرها.

من قصائده القديمة جداً في جازان:

لَـمْ يَـبْـقَ إلّا تَحيّـاتي وأشْـواقي
أمّـا وقَـدْ بَعثَـرتْ جـازانُ أوْراقي
هَـلْ لِلْحَرائِـقِ في جـازانَ أوْسِـمةٌ
أمْ فـي عُيونيَ مـا يُغْـري بإحْراقي؟
لي في رُبوعِـكِ يـا جـازانُ مَلْحَمَةٌ
لِمَنْ يُفتِّشُ عَـنْ أصْلـي وأعْراقي

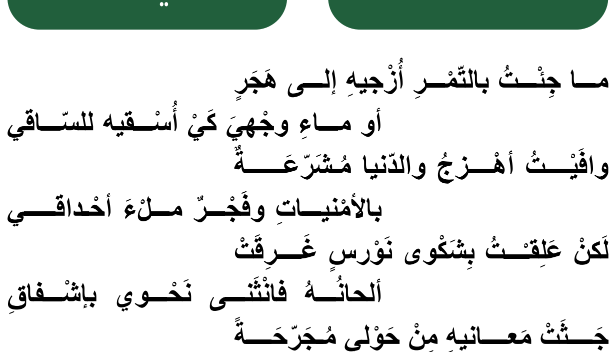


الراحل أحمد الحربي ومجموعة من المشاركين في مهرجان الشارقة للشعر العربي 2015




عيسى جرابا

علي الأمير

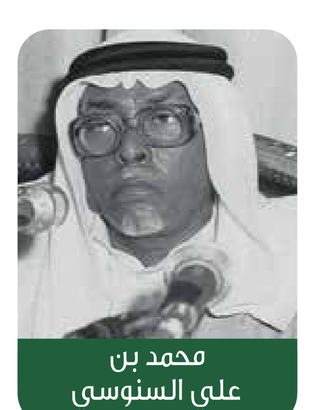


مـا جئـتُ بالتّمْـرِ أُزْجيهِ إلـى هَجَرٍ
أو مـاءِ وجْهيَ كَيْ أُسْـقيه للسّـاقي
وافَيْـتُ أهْـزجُ والدّنيا مُشرّعَـةٌ
بالأمْنيـاتِ وفَجْـرٌ مـلْءَ أحْداقـي
لَكِنْ عَلِقْـتُ بِشَكْوى نَوْرسٍ غَـرِقَتْ
ألحانُـهُ فانْثَنـى نَحْـوي بإشْـفاقِ
جَـثّتْ مَعـانيهِ مِنْ حَوْلي مُجَرّحَـةً
تكـادُ تَصْـرُخُ فـي أذْني بأبْـواقِ
نَزَفْتُ مِنْ مُقْلتـي مثلَ المِـدادِ أسَىً
يلـوذُ بالصَّمْـتِ يَسْتَشْـري بأعْماقي
مِنْ سَـطْوَةِ المِلْحِ يا جَـازانُ مِنْ أرَقي
أكادُ أخْـرجُ مِـنْ صَـدْري وأخْلاقي

عيسى جرابا

ولد عام 1969، في قرية الخضراء الشمالية التابعة لمحافظة ضمد من منطقة جازان. أحيا الكثير من الأمسيات داخل السعودية وخارجها، وصدر له عدد من الدواوين الشّعرية من بينها: «ويورق الخريف، لا تقولي وداعاً، وطني والفجر الباسم، على أغصان تويتر: تغريدات شعرية»، وغيرها. وهو حاصل على جائزة شاعر عكاظ في موسم عكاظ السابع عام 2013.

ومن قصائده قصيدة قديمة له كتبها في جازان وتغنّى بها يقول:



محمد بن علي السنوسي



علي بن أحمد بن علي النعمي

بَعْضُ الهَـوَى نَبْضُ الحَيَـاةِ... وإِنَّهُ
فِي القَلْــبِ بَعْـضٌ مِنْ هَـوَى جَازَانِ
جَــازَانُ وَارْتَبَكَتْ حُرُوْفِــي... رَفْرَفَتْ
رُوحــاً... تَتُـوْقُ لِدَافِـئِ الأَحْضَـانِ
جَــازَانُ وَانْسَــابَتْ مَشَــاعِرُ عَاشِـقٍ
نَهْرَيْــنِ... مِــنْ وَلَــهٍ وَمِــنْ تَحْنَــانِ
فِــي قَلْبِــهِ لِلحُــبِّ... رَوْضٌ زَاهِــرٌ
تَهْفُــو إِلَيْــهِ... بَلابِـلُ الأَلْحَــانِ
اللــهَ يَــا جَــازَانُ... مَــا أَنْـدَاكِ قَــا
فِيَــةً... تُمَوْسِـقُ رِعْشَـةَ الهَيْمَــانِ
أَرْضٌ... حَبَاهَــا اللــهُ أَبْهَــى حُلَّــةٍ
فَتَفَـــرَّدَتْ... بِجَمَالِهَـــا الفَتَّــانِ!

****

جَــازَانُ فَاتِنَــةُ الجَنُــوْبِ وَحَسْـبُهَا
طِيْــبُ التُّـــرَابِ وَطِيْبَــةُ الإِنْسَــانِ
لِلفِكْـــرِ لِلشِّـــعْرِ الأَصِيــلِ مَــآذِنٌ
تَعْلُــو بِهَـــا كَمَـــآذِنِ الإِيمَـــانِ!
نُــوْرٌ عَلَــى نُــوْرٍ هَمَــى فَــإِذَا الجَنَى
وَعْــيُ العُقُــوْلِ وَرِفْعَــةُ الأَكْــوَانِ
كَــمْ فِيْــكِ يَــا جَــازَانُ مِمَّــا لَــمْ تُحِطْ
بِسَــنَاهُ أَسْــفَارٌ مِـــنَ التِّبْيَـــانِ
لَوْ لَــمْ تَكُوْنِي مِــنْ ثَرَىً لَصَعَـدْتِ فَوْ
قَ البَـدْرِ سَـــاطِعَةً... كَبَـــدْرٍ ثَــانِ

إبراهيم حلوش

ولد في عام 1979، حائز البكالوريس في اللغة والنّحو والصّرف من جامعة أمّ القرى. وهو عضو الجمعيّة العموميّة بنادي أبها الأدبي. وقد شارك في الكثير من الأمسيات الشّعرية داخل المملكة وخارجها، وفي الكثير من البرامج الثّقافيّة في التّلفزيون والإذاعة والصّحافة المكتوبة. له مجموعة من المسرحيات الغنائية، من أهمّها «أوبريت» حفل افتتاح سوق عكاظ الثامن 1436هـ، بعنوان «نبض الأرض»، وله ديوان مطبوع بعنوان «أُنثى تُحرِّرُ الوجع».

من قصائده:

بَعِـيداً عَنِ الأَضْـوَاءِ.. يَـنْـحَـتُ حُـلْـمَـهُ
ويَـنْـسُـجُ فِي قَـلْـبِ الـقَـنَـادِيلِ وَهْـمَــهُ
وحـيـداً..يَـصُـبُّ الـشَّـمْـسَ فَـوْقَ ظَلامِـهِ
ويَـقْـطِـفُ مِـنْ أُفْـقِ الـمَـجَـازَاتِ نَـجْـمَـهُ
تَـمُـرُّ عَـلَـيْـهِ الأَرْضُ.. ثَـكْـلـى كَـفِـيْـفَـةً
فَـتُـبْـصِرِ فِي أَفْـيَــاءِ عَـيْـنَـيْـهِ ضَـيْـمَـهُ
عَلى ظِلِّـهِ ظَــلَّ الـيَـقِـيْـنُ مُـرَفْـرِفـاً
وفَـوقَ جَـحـيــمِ الـشَّـكِّ أطْـفَـأَ غَـيْـمَـهُ


حصن الشريف أو حصن صامتة


الباحث والمؤرّخ محمد بن أحمد العقيلي

وله أيضاً:

فِــي رُوحِــهِ حُلُــمٌ لَــمْ يَفْقِــدِ البَصَرا
رَغْــمَ الضَّياء الذي عَنْ عَيْنِهِ اسْــتَتَرا
يَمْضــي وتَحْمِلُــهُ لِلنُّــورِ بَوْصلَــةٌ
مِــنَ اليَقيــن الّذي فــي قَلْبِهِ اسْــتَعَرا
يَجْتــازُ أَوْدِيَــةَ الْمَعْنــى ويُرْشِــدُهُ
سَــرْبٌ مِنَ اللهِ فــي أعْماقِهِ انْتَشــرا
يُطِلُّ مِــنْ شُــرْفَةِ الآمالِ وَجْــهُ غَدي
وفــي تَقاســيمهِ أسْــتَعْذِبُ الصُّــورا

«جازان قصيدة مطلعها الغزل وواسط عقدها الوصف وآخر قوافيها الفخر»... هي منطقة مسكونة بالشّعر والجمال والحياة، ونكهة الأرض والتّراب والحبّ والكرم. مدينة تعرف كيف تجذب إليها عشّاق الفكر، وكيف تتخم وجدانهم بالنّشوة والأصالة والمروءة، مدينة تحكي من دون كلام، وتقرأ من دون سطور.







لا وَجْهَ لي في المَرايا



محمد السامرائي
العراق

مُضيئـاً، مِثْلَمـا فـي اللَّيْـلِ تَبْدو
دُمــوعٌ فَــوْقَ أحْـداقِ النّدامَـى
خفيفـاً، مِثْلما في الصُّبْـحِ تَمْضي
فَراشــاتٌ إلــى حَقْـلِ الخُزامَـى
رَحَلْـتُ يَراعـةً للنَّجْـمِ وَحْـدي
لأنَّ النَّجْـمَ أصْحابـي القدَامَـى
وعُـدْتُ مُلبَّـداً بالضَّـوْءِ، أُلْقـي
علــى أيّامــي السُّــودِ السـلامَا
علـى طِفْلٍ تَسـلّقَ غُصْـنَ روحي
ومَـدّ يَـداً فلَـمْ يَلْـقَ اهْتمامَـا
علـى قَلْــبٍ إذا أبْــكاه لَيْـــلٌ
توسَّـــدَ خَوْفَــهُ جَمْــراً ونَامَــا
أفتّــشُ فــي بِداياتــي ولكـنْ
أفتّــشُ فــي بِدايَاتــي عَلــى مَــا؟
فلَيْــسَ لَــدَيَّ وَجْــهٌ فــي المَرايــا
أعانِقُـــهُ إذا ذُقْـــتُ انْهِزامَـــا
ولَيْــسَ لَــديَّ فَــوْقَ الرَّمْـلِ ظِـلٌّ
يُصاحِبُنــي إذا مــا القَلْــبُ هَامَـا
رأيْـتُ على ضِفافِ الْخَوْفِ شَـكْلي
وكانَ الْمَـوْتُ يُشْـبِهُني تَمامَـا
ومُنْـذُ رَحَلْتُ فـي المَعْنـى غَريقاً
وهـذا الأفـقُ يَرْسُـمُني يَمامَـا
كَثيفـاً رُبّمـا يَوْمـاً سـأبدو
وأزْرَعُ وَجْنـــةَ الدُّنْيـــا غَمامَـــا
سَــأحْلُمُ مَــنْ سَــيَدْري ذاتَ يَــوْمٍ
بِحُلْـمٍ مَـرَّ فـي بـالِ اليَتامَـى؟

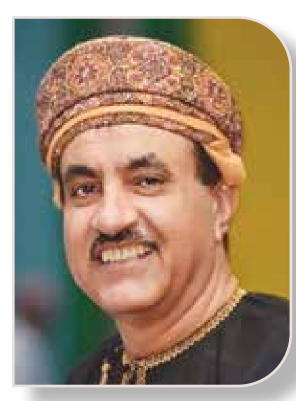
خفيفاً كظلِّ الغيم



حمزة اليوسف
سوريا

حَـرِيٌّ بهـذا الصَمــتِ أنْ يَتَكَسَّـرا
وأنْ يَقطُـرَ المَـوَّالُ لَـوْزَاً وَسُـكَّرا
حَـرِيٌّ بأوْراقـي إذا عُـدْتُ عَاكِفَـاً
علـى الشِّـعْرِ أنْ تَنـدَاحَ سَـهْلاً وأبْحُرا
حَـرِيٌّ بأجْفَانِـي إذا كُنتُ ضَاحِـكَاً
بـأنْ تَكتُـمَ التَّنْهِيـدَ لـو كانَ مُبْصِـرا
فَمَـنْ مُـدركٌ قَلبيْ عَلـى سَـيْلِ أحْرُفِيْ
ومَـنْ خَاضِـنٌ رُوحِـيْ إذا لاحَ أو قَـرا
تَجَـرَدْتُ مِنِّـي الآنَ أمْشـي علـى دَمِي
خَفِيفَـاً كَظِـلِّ الغَيْمِ يَسْـبَحُ فِـي الثَّرَى
مَعـي نَكْهَـةُ التَّأويْـلِ مَـا ضَـلَّ ظَامِئٌ
سُـلافتها - إنْ ذاقَ - عَقْـلاً ومِحْجَـرا
فَيَـا مُمْسَـكاً بَوْحِـيْ على ذَرْفِهَـا ضِياً
سَـألتُكَ بالإيمـانِ أنْ مُـرَّ أخْضَـرا
تَرَفَّـقْ اذا مـا لاحَ فِـي البَـالِ شَـاعِرٌ
وحـاولَ أنْ يُمسِـيْ بِعَيْنَيْـكَ مُقْمِـرا
فَكَـمْ قَطَّـفَ الأزهَارَ مِـنْ عِـزِّ نَوْمِهَا
وأهـداكَ إيَّاهـا صَبَاحَـاً مُبَكِّـرَا
وكَـمْ لمْلَـمَ الأحْـداقَ مِـنْ كُلِّ صُورةٍ
وأقْـراكَ مَـا فِيْهـا كِتَابـاً مُصَـوَّرَا
فَغَطِّيْـهِ بالأنْفَـاسِ، كَـمْ طُفتُمَـا مَعَـاً
وكمْ صَادَفَ الإحْسَـاسُ مَا فِيكُمَا سَـرَى
عَلـى هامِـشٍ تَبْـدو الحيـاةُ رهِيفَـةً
ورُبَّ خَيَـالٍ يُتقِـنُ الحُـبَّ مُمْطِـرا
وَرُبَّ عَناقِيـدٍ تَأنَّـى نَبيذُهُـا
غَـداةَ عُـروقُ الكَـرْمِ تُنْشِـيهِ سُـكَّرَا
علـى هَامِـشٍ يَفْتَـرُّ ثَغـرٌ وَمَوعِـدٌ
وَينسـابُ وحْـيٌ مَـا وتَحْسَـبُهُ.. كَرى

وداع



عبدالرزاق الربيعي
عُمان

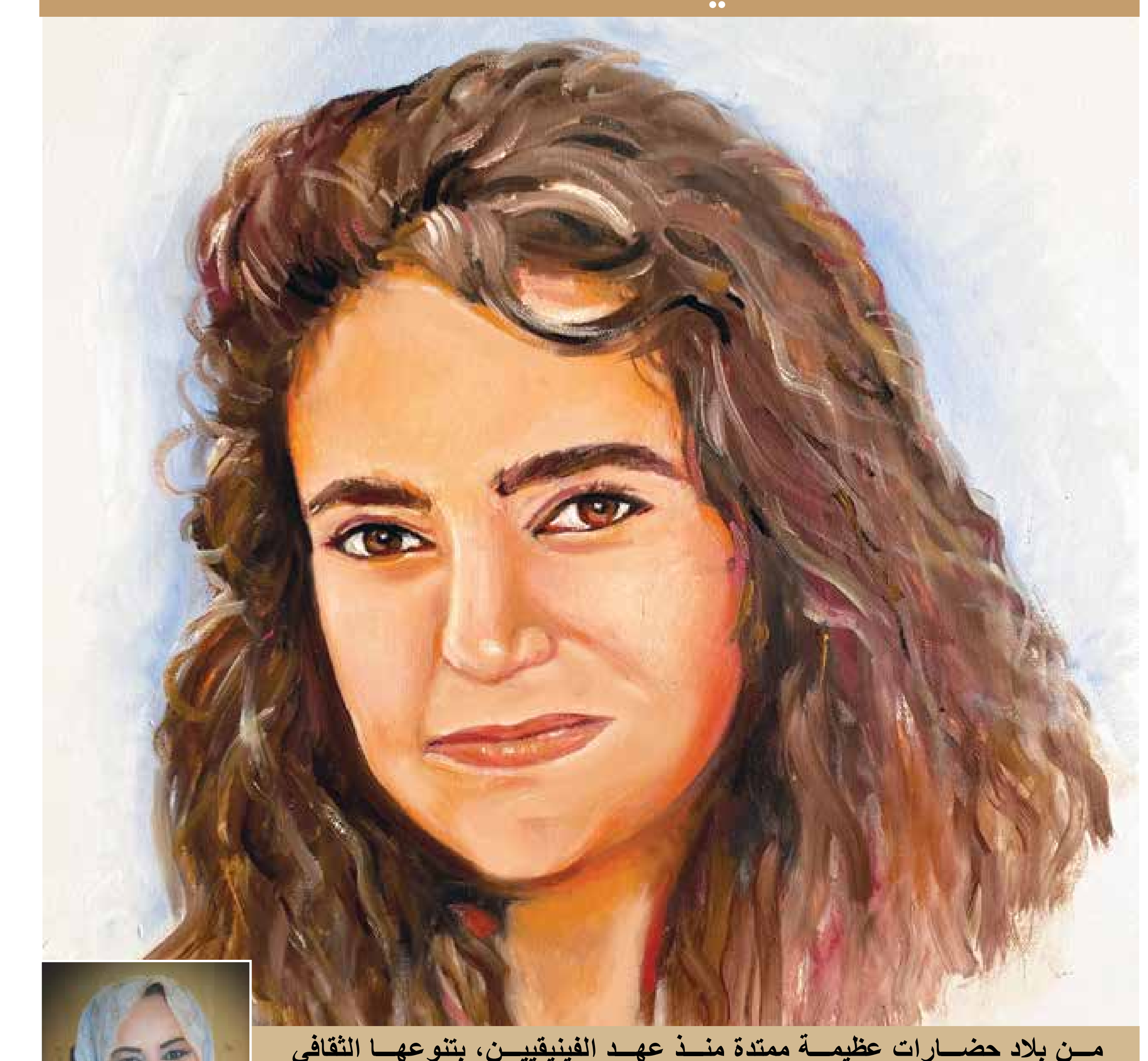
«وداعاً» قلتُها ومَضى قِطاري
على سِكَكٍ تَسيرُ بلا مَسارِ
ومِنْ شُبّاكِهِ ألْقَيْتُ قَلْبي
مَخافةَ أنْ يُماطلَ في قَراري!
ووَدّعتُ النُّجومَ وسُهْدَ لَيلي
وَداعَ العائدينَ إلى الدّيارِ
فَلا مَرْآكِ حالَ ولا المَرايا
ولا الصَّوْتِ الذي مَلأ انْتِظاري
كَسَرْتُ الكَأسَ حتى سالَ أمْسٌ
عَلَيْهِ تراكَمتْ سُحُبُ الغُبارِ
بهِ علّقتُ مِنْ عَيْنَيْكِ شَمْساً
يرمّمُ ضَوؤها جَسَدَ النّهارِ

حَسِبْتُكِ «عَذْبَةً» فَغَدتْ «عَذاباً»
وخَيْباتٍ بها امْتَلأتْ جِراري
فَغادَرْتُ المَحَطّةَ حَيْثُ كُنّا
ورُحْتُ أزيلُ رَسْمكِ مِنْ جِداري
وسِرْتُ مُودّعاً عَيْنَيْكِ أخْفي
بكفِّ الوَقْتِ حُزْنيَ وانْكِساري
دَسَسْتُكِ في دَمي، حتّى تلاشَتْ
حُروفُكِ وارْتَمَيْتُ إلى جِواري
وأطْفأتُ السُّهادَ مِنَ اللّيالي
فَغَيْمُ الوَهْمِ أوْلى بانْحِسارِ
سأرْحَلُ عَنْكِ، نَحْوي، فاعْذُريني
إذا اسْتَرْجَعْتُ مائي واخْضِراري
أَعيدي لَهْفتي وخُذي شَراري
أذقْتكِ جَنّتي، فاشْقَيْ بناري

لبنانية تشكل بالخيال تجربتها الإبداعية

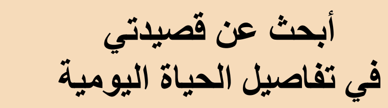
عُلا خضارو:

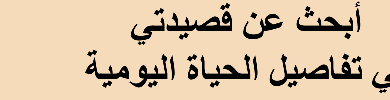
قصائدي أجنحة فوق بركان



منى حسن
السودان

من بلاد حضارات عظيمة ممتدة منذ عهد الفينيقيين، بتنوعها الثقافي والمجتمعي الغني والمتناغم.. هناك، حيث يطاول الأرز السماء شموخاً، ويولد الشعراء مفتونين بالجمال، قابضين على جمر الدهشة، تُطِلُّ الشاعرة اللبنانية عُلا خضارو، على صهوة القصيدة العربية الأصيلة، حاملة شعلة إبداع متميّز، يخطف سنا حرفه أنظار العابرين، ويروي ظمأ ذائقتهم..





أبحث عن قصيدتي
في تفاصيل الحياة اليومية

وخضارو شاعرة وباحثة قانونية، من مواليد قرية دارين، الغافية في حضن محافظة عكار بالشمال اللبناني، من جيل الشعراء الشباب المجددين للقصيدة العمودية والمتمسّكين بِعُرَى محبتها. وهي إلى جانب الشعر حاصلة على الدكتوراه في الحقوق، القانون الخاص، من الجامعة اللبنانية، في 2020. تحصلت في مسيرتها الشعرية التي بدأت مبكراً على جوائز وتكريمات عدة، أهمها جائزة وزارة الثقافة اللبنانية، المرتبة الأولى في الشعر في مسابقة ربيع الكلمات 2007، كما شاركت بفاعليات داخل لبنان وخارجه، كان من أبرزها تمثيل لبنان في مهرجان الشارقة للشعر العربي في دورته السابعة عشرة، كانون الثاني 2019 بحضور مميّز.

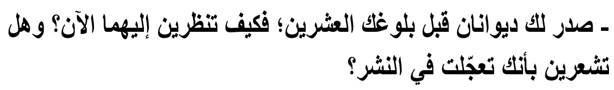
صدر لها ثلاثة دواوين: «كبر شعب»، «فارس العلا»، «شلال الحبق». كما نشرت لها قصائد ومقالات عدة، في كتب، ودوريات محلية وعربية.

التقتها «القوافي» للحديث عن تجربتها الشعرية، وآرائها في قضايا ثقافية ذات صلة فكان هذا الحوار:

ـ خلافا لأغلب شاعرات لبنان المجايلات لك، تنحازين إلى الشعر العمودي، فما أهم الروافد التي أسهمت في بدايات التشكل المعرفي لديك؟

يقول فان جوخ «الشعر يحيط بنا في كل مكان، لكن للأسف وضعه على الورق ليس بسهولة النظر إليه»؛ وهكذا انطلقت رحلتي مع الشعر، مذ بدأت تشدّني موسيقى الكون، ويؤرق خيالي الغضّ حديث ترابين الزعتر، رقص الياسمين، خفيف أوراق الزنزلخت تسابق الهواء لمصيرها المجهول، ارتحال العصافير المهاجرة وهي تنفض عن أجنحتها أغبرة الصيف، تراتيل الشجر وهي تعجن اليباس لتثمر... وحين أيقنت حاجتي الملحّة للتعبير عمّا يدور حولي، كانت بوصلتي الأولى مكتبة والدي الثرية بالمراجع العلمية والمجلدات الأدبية وكتب الفكر والشعر والفلسفة، حتى أتت قصيدتي مغمّسة بحبر الأرز، معجونة بتراب وطن جريح عصيّ على السقوط، مخبوزة على نار قلب ينفخ عن جمراته تهويم الرماد. ومذ عرفت الشعر فتنت بموسيقاه وبوسامة القصيدة العربية وهيبتها، وبوقع أوزانها وسحر إيقاعها؛ وكما يقول الشاعر بدوي الجبل «الأوزان أساور وعقود لا سلاسل وقيود»، فهي طرية كفم البراعم تنساب بسلاسة كانسكاب الضوء من عين الشمس، وتتّسع لكل تجليّات النفس وانثيالاتها.





ـ صدر لك ديوانان قبل بلوغك العشرين؛ فكيف تنظرين إليهما الآن؟ وهل تشعرين بأنك تعجّلت في النشر؟

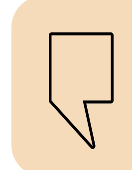
ممتنة لقصائدي الأولى التي وضعتني في مواجهة مباشرة مع الشعر، أرخت على كتفيّ مسؤولية الحرف والنغم والصورة، أسدلت أجنحتي فوق فوّهة بركان وأجبرتني على التحليق.. علمتني أن أحمل بريشتي من دائرة ألوان الطيف الأساسية لعالم المزج والخلط وحرفة اصطياد لون جديد، وأنّه كلما تهت في بحار المعرفة أكثر استطعت الوصول إلى نواة الألوان العميقة لتشكيل لوني الخاص. ونشر تلك القصائد بوقتها الحقيقي أخرج قصيدتي من دائرة التجارب العامة وكان حافزاً أساسياً لأخوض اليوم تجربتي الذاتية الوجودية الوجدانية الخاصة.

ـ بمَ تفسرين الانتقال نحو السرد في تجارب كثير من الشعراء العرب؟ وهل فكرت في مجازفاته؟

لأنّ الشاعر طير غرّيد يحمل بخفّة بذار الدهشة والجمال فأنّى بسط جناحيه، أزهر وأثمر إبداعاً شهياً، وأنّى وجد واحة رحيبة عذبة، استراح في فيئها ونهل منها حدّ الارتواء وأعطى العالم ما يدهش، لتحلّق به قصيدته من جديد محمّلة بأجنحة جديدة وبذار أخرى. فليس غريباً أن يستريح الشاعر في ظلّ فنّ من الفنون الإنسانية ويبدع به، أكان سرداً أم رسماً أم نقشاً أو عزفاً... فهنيئاً لمن وجد واحته الأخرى، وهنيئاً لقصيدته التي ستعود محمّلة بدهشة جديدة وتجربة أنضج. لعلّي أجد بدوري صفصافة وارفة أستظلّ بها لتتجدد بذاري.

ـ القصائد الرومانسية والوطنية، أيهما تشعرين بأنها تختزل الأخرى لديك؟ ولماذا؟

لكل قصيدة نزفها الخاص ووجعها المحتوم وتدفقها الحرّ، وفق انفعال عاطفي يمتزج بالكيف والكم الذي يعالج الشاعر به فكرته ويرتبط ارتباطاً وثيقاً ويتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، ويتفاعل بتلقائية مع قضاياها وشجونها. فالقصيدة الصادقة تأتي من مساقٍ عذبة وتشعّ بفعل اشتعال جمرات القلب، فكيف لواحدة أن تختزل الأخرى وهي كانصهار الكل في الكلّ – وحدة كليّة حارّة تشكّل النفس الشاعرة ـ فكأنك تسألينني أيهما يؤلم أكثر مرور سيف رهيف الحدّ في قلبك، أم استقرار غمد صلبة التكوين في رئتيك؟



قصائدي الأولى وضعتني في مواجهة الشعر


القبيات





ـ تتحدثين الفرنسية؛ فإلى أي مدى يثري تعدد اللغات التجربة الشعرية؟

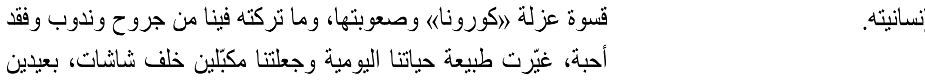
أن تقرأ أديباً أو شاعراً بلغته الأم، فأنت تتجرع إبداعه من معينه الأول، وتسمع نبضه الحقيقي وتتضح أمامك أسارير فنه وبراعة أسلوبه، ورهافة إنسانيته بصدق وشفافية وأمانة، ما يعدّ فرصة ثمينة لإغناء تجربة الشاعر وصقلها. وأصبحت الحاجة الى إجادة أكثر من لغة أمراً ملحاً لتسيير الحياة اليومية في مجتمعاتنا، ما سهل على الشاعر الولوج الى المحتوى التثاقفي الفكري لحضارات مختلفة وبلدان عدّة، للاستفادة من نتاجها الأدبي بدقّة. لذا يعدّ تعدد اللغات نافذة مشرعة لمشاريع أدبية ناجحة، تتيح للشاعر تصدير ابداعه للعالم واحتواء ما أمكنه من إبداعات أخرى، ما يسهم في تطوير أدواته الشعرية وتحفيز خياله وإغناء ذائقته.

فكما يقول الشاعر صفي الدين الحلي:

بِقَـــدرِ لُغـــاتِ المَـــرْءِ يَكثُـــرُ نَفعُـــهُ
فَتِلــكَ لَـــهُ عِنـــدَ المُلِمّـــاتِ أَعْـــوانُ
تَهافَـــتْ عَلـــى حِفــظِ اللُّغـــاتِ مُجاهِداً
فَـــكُلُّ لِســـانٍ فـــي الحَقيقَـــةِ إِنســـانُ

ـ كيف تصفين التفاعل بين مرجعياتك الثقافية والعلمية فيما تكتبين؟

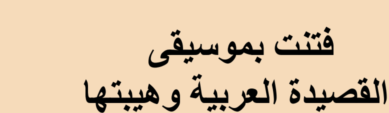
يتكئ الشاعر على مخزونه الفكري المعرفي التراكمي، لبناء قصيدته؛ فالتفاعل بين مرجعياته العلمية والثقافية أمر طبيعي أساسي مؤثر في حركة نصه، وأنا بوصفي باحثةً قانونيةً يفرض عليّ تخصّصي انتقاء المفردة بالذات، البحث عن المعنى الدقيق للعبارة والتقيّد بحرفية النص، بعيداً عن



التأويل والذاتية والخيال؛ أما كوني شاعرةً، فتأخذني القصيدة الى ما بعد الغيم وعلى بساط الريح، ومن ثم ما يجمع بين ممارسة العمل القانوني والشعر، هو السموّ بالإنسان والارتقاء بإنسانيته.

ـ كيف تقوّمين تأثير الفعاليات والمهرجانات في مسيرة المبدع؟

الفعاليات الأدبية والمهرجانات الشعرية محطة أساسية في مسيرة المبدع، فهي المنبر الأول الذي يسمح بالتفاعل الحسّي المباشر بين الشاعر والجمهور. فأن تقرأ قصيدتك في عيون من يصغي اليك امتحان أول لنصك الجديد، وهي منصة حقيقية للتعارف والتبادل الثقافي بين الشعوب، ناهيك بهوامش المهرجانات وتجهيزاتها، واللقاءات العفوية بين الشعراء التي تسمح بالتعرف إلى قصائدهم وأساليبهم الشعرية من قرب؛ وستبقى هذه المهرجانات تنسج للدنيا قمصاناً من الشعر ملونة بأزهار الربيع.

فتنت بموسيقى القصيدة العربية وهيبتها

ـ عزلة «كورونا».. هل كانت إثراء لمشروعك الشعري أم خصماً له؟

الشعر يؤقلمنا مع كل حالات الحياة، رغم مرارتها، فعلى الرغم من قسوة عزلة «كورونا» وصعوبتها، وما تركته فينا من جروح وندوب وفقد أحبة، غيّرت طبيعة حياتنا اليومية وجعلتنا مكبّلين خلف شاشات، بعيدين كل البعد عن التواصل الحسي والمباشر مع الحياة، إلا أنها كانت متّسعاً للقراءة والتقرب من الكتاب، وإعادة ترتيب أوراقي الداخلية ورسم مخطط لمرحلة شعرية جديدة، فضلاً عن أنها كرّست حاجة الشعوب إلى الشعر الذي فرض حضوره بالندوات والملتقيات الرقمية، ومنصات التواصل، ما جعلني مؤمنة تماماً بأن الشعر خلاصنا الوحيد، وعلى رأي الشاعر نزار قباني.. «فإما أن تكون متورطاً حتى آخر نقطة من دمك وإما أن تخرج من اللعبة».

ـ كنت ضمن ضيوف مهرجان الشارقة للشعر العربي في دورته السابعة عشرة؛ فكيف تقرئين المشروع الثقافي الشارقي؟

المشروع الثقافي الشارقي، ظاهرة حضارية متقدمة طليعية، جامعة للطاقات الابداعية العربية بمختلف مجالاتها وتنوع فنونها وآدابها، وداعم أساسي لرفد الثقافة العربية والحفاظ على أرثها وتنوعها، والمساهمة في نشرها للعالم أجمع؛ فالشارقة اليوم منارة تنير درب العارفين بحكمة


قضاء عكار



وشجاعة، وكأن حروفها مسكوبة من ضوء، معبأة بالخير، تفوح من زوايا بيوتها رائحة البخور ويعبق في أرجائها جمال الشعر، فصاحة القول وعظمة الكلمة.

تعدّد اللغات نافذة مشرعة لمشاريع أدبية ناجحة

ـ ماذا بعد شلّال الحبق؟

أبحث اليوم عن قصيدتي في تفاصيل الحياة اليومية، في قسمات الوجوه الكالحة، في العيون الناعسات، في ضحكات الأطفال الهاربة من الحلم، وأتحسّس أطرافها مع كلّ دمعة أم، وبكاء لاجئ ولوعة مظلوم، حتى كدت أشعر بأنني كلّما اقربت من الشعر، ابتعدت أكثر وتهت في عوالمه العميقة، وكلما هممت بالوصول إليه أيقنت أن الطريق ما زال في بدايته، وأنه قدري المحتوم؛ ففي حضرته ترقّ على أوراق قلبي مسارب الغمام.

وكما يقول شيمبورسكا «إن الشعر غاية إنسانية بالدرجة الأولى، ويكفيني فرحاً أن أستمرّ في كتابة الشعر حتى مماتي».. وأنا وجدت به سعادتي. وها أنا اليوم بعد «شلّال الحبق»، أضع لمسات أخيرة على مجموعتي الجديدة التي باتت قاب قوسين أو أدنى من الطباعة. وفي الختام شكراً، شكراً لـ«القوافي» على هذه الدورية الأدبية الموسوعية الرائدة، التي باتت محطة مشعة في رحلة الشعراء العرب و ملاذاً لكل أديب ومثقف عربي.



في غربة التيه



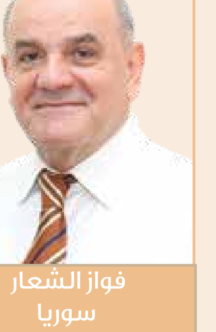
غَلا خضارو
لبنان

تَزْهو التجاعيدُ إن شاختْ قوافلُهم
والأرضُ تُعشِبُ في ظلّ التجاعيدِ
والرّيحُ تُنبِئُهم أنّ الحياةَ لهُم
أنّ ارْتحالَ النّدى بَوْحُ التّناهيدِ
واللّيْلُ هيّأ للأمْواجِ سكرتَها
يَربو بها الحُلمُ مِنْ جَمْرٍ وتَسهيدِ
كَمْ جَلْجلَ البُعْدُ أحْلاماً وأرّقَها
ومَرْمَرَ الشّهْدَ في دَمْعِ العَناقيدِ
كَمْ واربَ الشّمْسَ حتّى كادَ يُطفِئُها
فأبْرَقَ الضّوْءُ خُلْخالَ المَقاييدِ
وعافَ في البِئْرِ نَجْماً نامَ مُتّكئاً
على جِراحٍ بِنَبْضٍ غَيْرِ مَصْفودِ
يُحدّثُ البَحْرَ عَلَّ البَحْرَ يُنجِدُهُ
حتّى طغا بالْهوى ماءُ التّغاريدِ

هذي البِلادُ نُدوبي، وَجْهُ خارطَتي
تُرابُ سُمْرتها طَيْفٌ لِتَشْريدي
يَدُ الرّحيلِ تَبَنّتْ نَحْتَ خاصِرَتي
في مَوْطئِ اللّحْظِ مِنْ بيدٍ إلى بيدِ
كالْعابرينَ على أوْجاعِهِمْ فِرَقاً
يخاتلونَ الصّدى، صَوْتَ الأناشيدِ
بيادرُ الأملِ المَوْعودِ تُنبئُنا
بالْخَيْرِ يَنْبُتُ في تِلكَ الجلاميدِ
لكنّ جَذوَتَنا في الطّينِ غارِقَةٌ
يقودُنا للرّدى طَوْقُ التّقاليدِ
يَقْسو بِنا الدَّهْرُ والأقْدارُ تَجْلِدُنا
في غُرْبةِ التّيهِ في تيهِ البَواريدِ
ونَعْبُرُ المَوْتَ أحْياءً بلا كَفَنٍ
وفي حَقائبِنا شَوْقُ المَواعيدِ
لَمْ يَبْقَ في العُمْرِ إلّا الغَيْمُ مُنْتَظِراً
عودي إلى الْغَيْمِ يا أحْلامَنا عُودي

حدث وقصيدة

وَأطْلَسَ عَسّالٍ «للفرزدق»


فواز الشعار
سوريا

هَمّامُ بنُ غالبٍ بنُ صَعْصَعَةَ التّميميّ، الملقّب «الفَرَزْدق»، لضخامةٍ في وجهِه، مِنْ أشْهرِ شُعراءِ العَصْرِ الأمويّ. روى صاحبُ «الأغاني» أنّ جَدّ الفَرَزْدق كانَ عظيمَ الشّأنِ في الجاهليّةِ، وقَدْ أحيا نحوَ ثلاثمئةِ مَوْؤودةٍ مِنْ مالِه، وأبوهُ غالبٌ سَيّدُ باديةِ تميمٍ، وهوَ مِنَ الأجوادِ الأشْراف.

كانتْ لهُ ابنةُ عمٍّ تُدْعى النَّوار، وقدْ خطبَها رجلٌ من قَبيلتِها، ولكنّها لا تُريدُه، فطلبتْ منَ الفَرَزْدق أنْ يكونَ وليَّها، فطلبَ منها: أن تُشْهدَ النّاسَ، فَفَعلتْ.

فقالَ: أيّها النّاسُ، أُشْهِدُكم أنّني زَوّجتُ النَّوارَ مِنْ نَفْسي، فَغضبتْ مِنْهُ وهَرَبتْ إلى والي الحِجازِ والعِراقِ، الزُّبَيْر، واسْتَنْجدتْ بِهِ. لكنّ الفَرَزْدق احتالَ عَلَيْها حتّى أعادَها وتزوَّجَها..لكنّه لَمْ يَسْتطعْ إسْعادها، وحَصَلَ خِلافٌ بَينهما فطلَّقها..

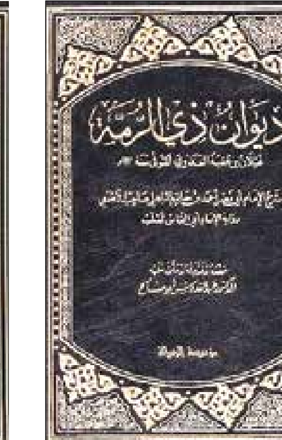
وخَرجَ منَ الكوفةِ هوَ وبعْضُ أصْحابِه، ولَمّا طالَ بهمُ المَسيرُ، أناخوا رِكابَهمْ، مُنتصفَ اللّيْلِ، وهَيّؤوا لِلْعَشاءِ شاةً وسَلخوها وعلّقوها على جَملٍ لهم، ولكنّ النّوم غَلبَهم. وبَيْنما هُم في نَوْمِهم، هَجمَ ذِئبٌ على تلكَ الشّاةِ، وأخَذ يَنْهَشُها، فاسْتَيْقظَ الفَرَزْدقُ، وأناخَ الجملَ، وقطعَ رجْلَ الشّاةِ ورماها للذّئبِ.. فأخَذها وتنحّى جانباً وأكلها، ثمّ عادَ، مهاجماً الفَرَزْدق، فقطعَ يَدَ الشّاةَ، فأخذها الذّئبُ وذهَبَ لسبيلِه.

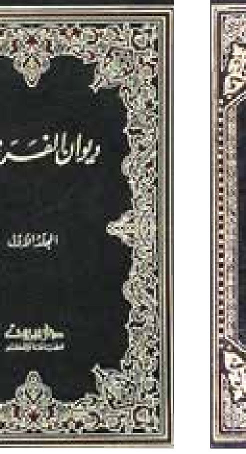
فصوّر الفَرَزْدق قصّتهُ مع الذّئبِ الجائعِ الذي زاره في الليل، وأرادَ مُشاركته الطّعامَ، ثمّ حاول غَدْرهُ بَعْدَ أنْ أطعمه. وربطَ بَيْنَه وبَيْنَ النَّوار في هذهِ القَصيدةِ التي نَلْمَسُ في طيّاتها ما أرادَ أنْ يقولهُ،عن أنّ كِلَيْهما مِنْ أهْلِ الغَدْر.

القصيدةُ طويلة، أقتطعُ منها هذه الأبيات:

وَأطْلَسَ عَسّالٍ، وَما كانَ صَاحباً
دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِناً فَأتَاني
فَلَمّا دَنَا قُلْتُ: ادْنُ دونَكَ، إنّني
وَإيّاكَ في زَادي لَمُشْتَرِكَانِ
فَبِتُّ أقُدُّ الزّادَ بَيْني وبَيْنَهُ
على ضَوْءِ نَارٍ، مَرّةً، وَدُخَانِ
فَقُلْتُ لَهُ لمّا تَكَشّرَ ضَاحِكاً
وَقَائِمُ سَيْفي مِنْ يَدِي بمَكَانِ
تَعَشَّ فَإنْ وَاثَقْتَني لا تَخُونُني
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يا ذِئْبُ يَصْطَحبانِ
وَأنتَ امرُؤٌ، يا ذِئْبُ، وَالغَدْرُ كُنتُما
أُخَيَّيْنِ، كَانَا أُرْضِعَا بِلِبَانِ
وَلَوْ غَيْرَنا نَبّهتَ تَلْتَمِسُ القِرَى
أتَاكَ بِسَهْمٍ أوْ شَبَاةِ سِنَانِ
وَكُلُّ رَفيقَيْ كلِّ رَحْلٍ، وَإن هُما
تَعاطَى القَنَا قَوْماهُما، أخَوَانِ
فَهَلْ يَرْجِعَنّ الله نَفْساً تَشَعّبَتْ
على أثَرِ الغادِينَ كُلَّ مَكَانِ
فأصْبَحْتُ لا أدرِي أأتْبَعُ ظَاعِناً
أمِ الشَّوْقُ مِنّي للمُقِيمِ دَعَاني
ولَوْ سُئِلَتْ عَني النَّوَارُ وَقَوْمُهَا
إذنْ لَمْ تُوَارِ النّاجِذَ الشّفَتَانِ
لَعَمْرِي لَقَدْ رَقّقْتِني قَبْلَ رِقّتي
وَأشْعَلْتِ فيّ الشّيبَ قَبْلَ زَمَاني
وَأمْضَحْتِ عِرْضِي في الحَياةِ وَشِنتهِ
وأوْقَدْتِ لي نَاراً بِكُلّ مَكَانِ
وَإنّا لَتَرْعَى الوَحْشُ آمِنَةً بِنَا
وَيَرْهَبُنا، إنْ نَغْضَبِ، الثّقَلانِ
فَضَلْنَا بِثِنْتَينِ المَعَاشِرَ كُلَّهُمْ
بِأعْظَمِ أحْلامٍ لَنَا وَجِفَانِ

وهذه ليستِ القصيدةَ الأولى التي يذكرُ فيها الذِّئبَ، فقد صوّره في مقطوعتين قبلها، سينيّة وعَيْنية، وقَدّمَ مشاهدَ واقعيّةً.







قصيدتنا منَ الشّعرِ القَصصيّ، وتصفُ لنا حبكةً مترابطةً، جعلتنا نحلّق معها بواقعيّةِ الحَدثِ البديع، فقدْ اسْتخدمَ لغةً حواريةً شاعريةً رقيقةً.. وانتظامُ أفكارِها، أكسبَها تآلفاً واضحاً. وجاء أسلوبُها سَهْلاً، خالياً من الغُموضِ، إلّا ما نَدر.

لقد عبّرَ عمّا يَعْتملُ في صَدْرِهِ، فوجدَ في الذّئب الذي اشتُهرَ بَيْنَ النّاس بصفاتٍ يُبْغضونَها، منها الخيانةُ، والشّراسةُ، واللُّؤمُ.. متّكأً لإسْقاطِ ما يَخْتلجُ في نفسه. وقد اسْتخدمَ حِكايتَهُ استخداماً موفّقاً، فهوَ منذُ أن تزوّجَ نَوار، مرّ في مَراحلَ منَ المُعاناةِ والبؤسِ، فقدْ تعاملتْ معه بِقسوةٍ.

واستخدمَ في مُعظم أبياتهِ الجملَ الاسميّةَ التي تَدُلّ على الثّبات، بلغةٍ مُكثّفة. وتسنّم بحرَ «الطويل»، فوصلَ إلى مُراده مُرْتاحاً.

قالوا في الشِّتاء

الشِّتاء: أَحَدُ أَرْباعِ السّنةِ، وهي الشَّتْوةُ، وقيل: الشِّتاءُ جَمْعُ شَتْوةٍ. وقال الجوهري: جَمْعُ الشِّتاء أَشْتْيِة.

النِّمِر بنُ تَولب:

صَرَمَتْكَ جَمْرَةُ وَاستَبَدَّ بِدارِها
وَعَدَتْ عَوادي الحَرْبِ دُونَ مَزارِها
عَزَبَتْ وباكَرَها الشَّتِيُّ بديمَةٍ
وَطْفاءَ تَمْلَؤُها إلى أَصْبارِها

ذو الرمة (يصفُ رَوضةً):

سَقِيَّةُ أَعْدادٍ يَبيتُ ضَجيعُها
وَيُصبِحُ مَحْبوراً وَخَيْراً مِنَ الحَبْرِ
تُعاطيهِ بَرّاقَ الثَّنايا كَأَنَّهُ
أَقاحِيُّ وَسمِيٍّ بِسائِفَةٍ قَفْرِ
كَأَنَّ النَّدى الشَّتْوِيَّ يَرفَضُّ ماؤُهُ
عَلى أَشْنَبِ الأَنْيابِ مُتَّسِقِ الثَّغْرِ

أبو القاسم الشابّي:

وقالَ ليَ الْغابُ في رِقَّةٍ مُحَبَّبَةٍ
مِثْلَ خَفْقِ الوَتَرْ
يَجيءُ الشِّتاءُ، شِتاءُ الضَّبابِ،
شِتاءُ الثُّلوجِ، شِتاءُ المَطَرْ
فَيَنْطفئُ السِّحْرُ، سِحْرُ الغُصونِ
وسِحْرُ الزُّهورِ، وسِحْرُ الثَّمرْ
وسِحْرُ السَّماءِ، الشَّجيُّ الوديعُ،
وسِحْرُ المُرُوجِ، الشَّهِيُّ، العَطِرْ

نزار قباني :

إذا أتى الشِّتاءْ
وانْقطَعتْ عَنْدلَةُ العَنادلِ
وأصْبحَتْ كُلُّ العَصافيرِ بلا مَنازلِ
يَبْتَدئ النّزيفُ في قَلْبي، وفي أنامِلي
كأنَّما الأَمْطارُ في السَّماءْ
تَهْطُلُ يا صَديقَتي في داخِلي

دعابات الشعراء

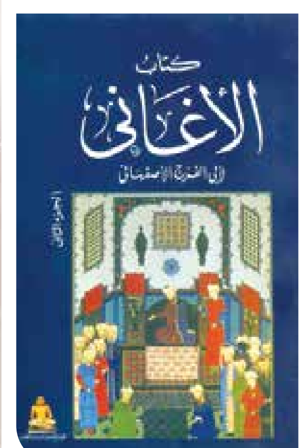
الشاعران الأندلسيّان أبو الحَسن الحُصريّ، وابنُ حمديس، ضاقَ بهما بَعوضُ بَلَنْسيّة، وبراغيثُها، على جَمال المَدينةِ وكثْرَةِ ما أنشدهُ الشّعراءُ إعجاباً بها؛ فقال أبو الحسن:

ضَاقَتْ بَلَنْسِيَّةُ بي
وذادَ عَنّي غُموضِي
رَقْصُ البَراغيثِ فيها
على غِنَاءِ البَعُوضِ

وقال ابن حمديس:

نَوْمي على ظَهْرِ الفِراشِ مُنَغَّصُ
واللَّيْلُ فيهِ زيادةٌ لا تَنْقُصُ
مِنْ عَادياتٍ كالذِّئابِ تَذاءبَتْ
وَسَرَتْ على عَجَلٍ فَما تتربّصُ
فتَرى البَعوضَ مغنّياً بربابِهِ
والبَقُّ تَشْربُ والبَراغِثُ تَرْقُصُ



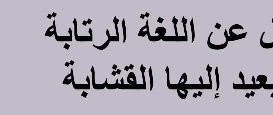


أواصراهما مشتركة في التمثيل الدّلالي والمجاز

الشعر واللغة..
واحات خصبة من الخيال


مبروك المناعي
تونس

من المعلوم أنّ الشعر عمل فنّي باللّغة، يحدث في اللّغة، ويتمّ على حساب اللّغة بمعنىً مّا: أي أنّه لغة معدول بها عن وظيفتها الأصليّة التي فرضتها الحاجة الأولى أي التواصل، وأنّه عدول متعدّد المظاهر: تركيبي يحدث على حساب نحويّة الكلام، وتنغيمي يحدث على حساب عفويّة النظم الصوتي، وتمثيليّ يحدث على حساب دلالة الحقيقة ويقوم على التفكير بالصور.


**يزيل عن اللغة الرتابة
ويعيد إليها القشابة**

ومن هنا فإنّ ضرورة الشعر بالنسبة إلى اللّغة تتمّ في اتّجاه تمكينها من أن تتجمّل وتتأنّق - فيما هي تنقل العالم - بحيث تُحدث في نفسها مناطق وأحيازاً من الكلام السامي الناشز إبداعيّاً تكون كالجُزر الغنّاء في المحيط الممتدّ، وكالواحات الخصبة في اتّساع الصحاري وجدبها...

الشعر يزيل عن اللّغة الرتابة ويعيد إلى ما انجرد منها القشابة، بأن يُزهر كانون الكلام فيحوّل فحمها جمراً وبأن يعركها عركاً مستأنفاً يُجدّد عهدها ويُحدث فيها للمعنى معنى جديداً، بل معاني يتناسل بعضها من بعض ويوحي بعضها ببعض بحيث يحوّلها من لغة «تُتكلَّمُ» إلى لغة «تَتَكَلَّمُ» ويستعملها استعمالاً يتجدّد مع كلّ نصّ تلفت فيه العلامات الانتباه إلى مظهرها المادّي وتتجدّد بواسطته العبارة ... بل إنّ الشعر قد عُدّ مشغلاً (بمعنى اسم المكان) أو «ورشة لصناعة اللّغة».

قوافٍ إذا سِرْن عن مِقْوَلي
وثبنَ الجبال وخُضن البحارا

على أنّ تجديد الشعر للّغة درجات: منها اشتقاق الألفاظ والعبارات من صيغ موجودة في المعجم يولّد الشاعر المبدع منها كلاماً جديداً لا عهد لمتكلّمي اللّغة به: ومن أمثلة ذلك اشتقاق المتنبّي اسم الآلة (مِقْوَلْ) من الفعل (قال) وذلك في قوله متحدّثاً عن فمه:




الدكتور مبروك المناعي في محاضرة الحماسة في الشعر العربي القديم

واشتقاقه صيغة المبني للمجهول من فعل (سار) اللازم في قوله :

يقـولُ بِشِـعْبِ بـوّانٍ حِصانـي
أعَـن هـذا يُسـارُ إلـى الطعـانِ

واشتقاقه المفرد (بنت الدهر) من الجمع الجامد المكرّس في الاستعمال (بنات الدهر) – بمعنى المصائب – وهو قوله مخاطباً الحمّى :

أَبِنْـتَ الدَّهْـرِ عِنْـدي كلُّ بِنْـتٍ
فكيـفَ وصلـتِ أنـتِ مـنَ الزِّحامِ؟

ومن تجديد الشعر اللّغة إزالته العلَميّة على أسماء الأعلام، وإعادته إدماجها ضمن الدورة التعبيريّة الأصليّة العاديّة للّغة: ومن أمثلة ذلك ما فعله المتنبّي أيضاً باسم سيف الدولة، وهو عنده كثير:

إذا كانَ بَعـضُ النّـاسِ سَـيفاً لدَوْلَـةٍ
فَفـي النّـاسِ بُوقـاتٌ لهَـا وطُبُـولُ

وقوله:

إذا نحـن سـمّيناك خلنـا سـيوفنا
مـن التيـهِ فـي أغمادهـا تتبسّـمُ

وكذلك ما فعله باسم عضد الدولة في قوله :

بعَضـدِ الدَولَـةِ اِمتَنَعَـت وَعَـزَّت
وَلَيـسَ لِغَيـرِ ذي عَضُـدٍ يَـدانِ
وَلا قَبـضٌ عَلـى البيـضِ المَواضـي
وَلا حَـظٌّ مِـنَ السُـمرِ اللِـدانِ

ومثلما يزيل الشعر العلَميّة عن الأسماء ويعيدها إلى وضع الكلمات الغفل، فهو يسبغ العلميّة أو يمنحها لألفاظ غير أعلام في الأصل ويحدثها فيها إحداثاً: ومن أمثلة هذا الإجراء قول أبي نواس عن الخمرة وقد شخّصها وسمّاها:

لِتِلْـك أبْكـي ولا أبْكـي لِمَنْزِلَـةٍ
كانَـتْ تَحُـلُّ بهـا هنـدٌ وأسـماءُ
حاشـى لِـدُرَّةَ أنْ تُبْنـى الخيـامُ لها
وأنْ تُـراحَ عَلَيْهـا الإبْـلُ والشـاءُ

وقول مظفّر النوّاب في قصيدته «السكاكين» عن الإنسان العربي وقد صنع له تسميةً جديدة استخدم فيها منطق التسمية القديمة:

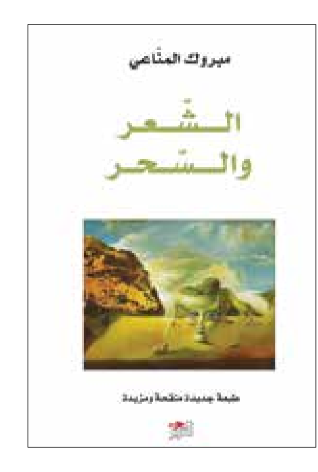
يا موجعاً رئةً بما أسْندت ظَهْرك لِلبنَادِقِ والبَراري
خَوّضْ فقبْلكَ خَوّضَ الأجدادُ في دمِهم لِتسلمَ رمْلةٌ
عجْفاءُ يابِسةُ اللّهاةُ تسحُ في غَبْشِ الصّحاري
واقحمْ، فإن لم تقتحمْ سيخيفكَ المتخوّفون
بأشباحٍ هنالك في الضباب وفي الغُبارِ ...

يعلّم اللّغة الانضباط
في مشاهد ولوحات

والشعر يعلّم اللّغة الانضباط وينظّمها في مشاهد ولوحات - كحدائق القصور - وذلك بعقد أواصر بينها وإنشاء حقول دلاليّة من عناصرها تمكّنه من أن يجمّع أُسرَ الكلام بإنشاء كوْن تمثيلي ذي موادّ معجميّة – دلاليّة متجانسة، يسودها مناخ تنغيمي أو تمثيلي مشترك قائم على الانسجام: ومثال ذلك عالم (العيد) الذي أنشأه المتنبّي أيضاً ضمن قصيدته (لكلّ امرئ من دهره ما تعوّدا) ومادّته (العيد والتعوّد والعادة والسعادة والهدي والفداء والتضحية والتعييد والتهنئة بالعيد...) وذلك في أبياته:

لِكُلِّ اِمـرِئٍ مِـن دَهـرِهِ مـا تَعَـوَّدا
وَعـادَةُ سَـيفِ الدَولَةِ الطَعـنُ في العِدا
وَأَن يُكـذِبَ الإِرجـافَ عَنـهُ بِضِـدِّهِ
وَيُمسـي بِمـا تَنـوي أَعاديهِ أَسـعَدا
وَرُبَّ مُريـدٍ ضَـرَّهُ ضَـرَّ نَفسَـهُ
وَهـادٍ إِلَيـهِ الجَيشَ أَهـدى وَما هَدى
وَمُسـتَكبِرٍ لَـم يَعـرِفِ اللَـهَ سـاعَةً
رَأى سَـيفَهُ فـي كَفِّـهِ فَتَشَـهَّدا







ثمّ في قوله عن ملك الرّوم لمّا انهزم وتراجع وترك ابنه للأسر:

فَوَلّـــى وَأَعطـــاكَ اِبنَـــهُ وَجُيوشَـــهُ
جَميعـــاً وَلَـــم يُعـــطِ الجَميـــعَ لِيُحمَـــدا
عَرَضـــتَ لَـــهُ دونَ الحَيـــاةِ وَطَرفِـــهِ
وَأَبصَـــرَ سَـــيفَ اللَـــهِ مِنـــكَ مُجَـــرَّدا
وَمـــا طَلَبَـــت زُرقُ الأَسِـــنَّةِ غَيـــرَهُ
وَلَكِـــنَّ قُسـطَنطينَ كانَ لَـــهُ الفِـــدا

ثمّ قوله آخر القصيدة:

هَنيئـــاً لَـــكَ العيـــدُ الَّـــذي أَنـــتَ عيدُهُ
وَعيـــدٌ لِمَـــن سَـــمّى وَضَحّـــى وَعَيَّدا
وَلا زالَـــتِ الأَعيـــادُ لُبسَـــكَ بَعـــدَهُ
تُسَـــلِّمُ مَخروقـــاً وَتُعطـــى مُجَـــدَّدا



تجديد الشعر للّغة باشتقاق الألفاظ والعبارات

والشعر يغنّي اللّغة، ويضيف إليها ما لم يكن فيها عن طريق الخلق المطلق والابتكار الفعلي: وهو قول بشّار على لسان حمار له مات وترك وصيّة غزليّة في أتان كان يحبّها، ممّا هو من اختلاق الشاعر طبعاً:

سَيِّدي خُذ بي أَتاناً
عِندَ بابِ الأَصبَهاني
تَيَّمَتني بِبَنانٍ
وَبِدَلٍّ قَد شَجاني
تَيَّمَتني يَومَ رُحنا
بِثَناياها الحِسانِ
وَبِغُنجٍ وَدَلالٍ
سَلَّ جِسمي وَبَراني
وَلَها خَدٌّ أَسيلٌ
مِثلُ خَدِّ الشَيفَراني

« قال محمد بن الحجّاج: فقلت له : ما الشيفران؟ قال : ما يدريني ! هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاسأله...».

فالشّعر حينئذٍ من أهمّ عوامل تطوير اللّغة وتفجير طاقاتها المدّخرة وإغنائها وإقدارها على أن تقول ما لم تتعوّد قوله...

ثمّ إنّه ضروري لتوليد الجديد؛ فيقدح بعضه بعضاً ويلقّح بعضه بعضاً ويتولّد بعضه من بعض وذلك عبر مختلف أشكال التناصّ - ولاسيما المعارضة والموارِدة - بحيث ينشأ الشكل من الشكل والمعنى من المعنى، من ذلك تأثير قول الفَرَزْدق في هجاء بعض الأقوام:

بنـــــو أمّ عيـــــلان كأنّ لحاهـــــمُ
مخالـــي شـــعيرٍ عُلّقـــتْ فـــوق أَبغُـــلِ

مخطوط لديوان أبي نواس

في قول ابن الرّومي :

إن تطـــلْ لِحيَـــةٌ عليْـــكَ وتعْـــرُضْ
فالمخالـــي معروفـــةٌ للحميـــرِ
علّـــق اللـــه فـــي عِذارَيْـــكَ مِخْـــلا
ةً ولكنَّهـــا بغيْـــرِ شـــعيرِ

وهو تأثير قول المتنبّي:

يدفّـــنُ بَعْضُنـــا بَعْضـــاً وتمْشـــي
أواخرُنـــا علـــى هـــامِ الأوالي

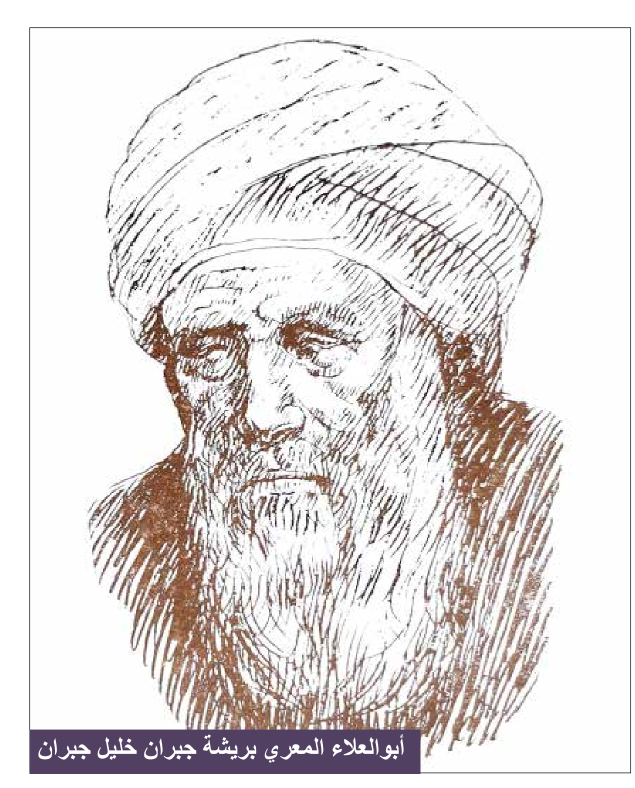
في قول أبي العلاء المعرّي:

خَفّـــفِ الـــوَطْءَ مـــا أظـــنُّ أديـــ
ـــمَ الأرْضِ إلّا مِـــنْ هـــذه الأجْســـادِ

وقد ذهب المتنبّي بمعنى ما نسمّيه «أثر الشعر في الشعر» أو «ضرورة الشعر للشعر» مذهباً بعيداً إذ زعم أنّ الشعر - على يديه - يتولّد من ذاته وينجم من نفسه، وهو قوله:

ومـــا أنـــا وحْدي قُلـــتُ ذا الشّـــعْرَ كلَّهُ
ولكنْ لِشِـــعْري فيكَ مِنْ نَفْسِـــهِ شِـــعْرُ

ولعلّ أبرز درجة في إغناء الشعر للّغة وإغنائه للأدب تتمثّل في أنّه يمكّن الإنسان – عن طريق المجاز – من إرباك المنطق المشترك الكامن



أبوالعلاء المعري بريشة جبران خليل جبران

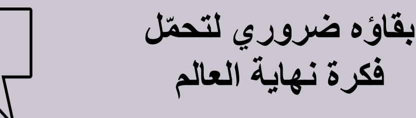
في الاستخدام السائر للّغة وفي التعبير العاديّ بوساطتها ومن ركوب المحال فيُقبل منه ذلك، لا بل ويُستحسن ويُمتدح: ذلك أنّه يُقبل في الشعر – وفي الشعر فحسب - أن نخاطب الجماد: (يا دار ميّة - يا طللَ الحيّ بذات الصمد - يا دارُ ما فعلت بك الأيّام ؟...) وأن نخاطب الحيوان أو يخاطبنا الحيوان (فقلت له: إنَّ الفِرار خزايةٌ وأنت حصانٌ ماجد العرق فاصبر... تقول وقد درأت لها وضيني: أهذا دينه أبدا وديني؟ – وقلت لها أين أرض العراق؟ فقالت ونحن بتربان: ها ... وقالت لِيَ الأرض لمّا سألتُ: أيا أمُّ هل تكرهين البشرْ : أبارك في الناس أهلَ الطموح ومَنْ يستلذّ ركوب الخطرْ).

وكذلك يُقبل في الشعر، بل ويستحسن، أن نخبر بما لا أساس له وأن نرجف بما لا يكون أصلاً وأن نربك منطق الأشياء... ذلك قول بشّار يستحضر حبيبته:

تَدْنـــو مـعَ الذّكْــــرِ كُلّمـــا ابْتعدتْ
حتّـــى أرى شَـخْصها ومــا اقْتَربــا

وقول المتنبّي يصف الثمار في أغصان الشجر:

وأغْصـــان تُشـــيرُ إليـــكَ مِنْهــا
بأشْـــربةٍ وقَفْــنَ بـــلا أوانـــي



بقاؤه ضروري لتحمل فكرة نهاية العالم



وإنّ الشعر لئن لم يكن قادراً على تغيير الدنيا، فإنّه ضروري لدعم قدرة الإنسان على تحمّل العيش فيها: على هذا تتأسّس مشروعيّة دعوة رولان بارت إلى «النضال من أجل الشعر» وإلى عدّه، ممّا يجدر أن يدخل ضمن «حقوق الإنسان»...

والذي نحن على يقين منه أنّ نهاية الشعر، كنهاية العالم، فكرة رومانسيّة، وأنّ بقاءه ضروري لتحمّل فكرة نهاية العالم، تماماً مثلما أنّ العزم الشعري ضروريّ لامتلاك أسرار الحقائق وأسماء الذوات والظواهر وتحريض الكلمات على الأشياء، وحمل الدّوال على إثارة محتوى مدلولاتها...

مخطوط نادر للمتنبي

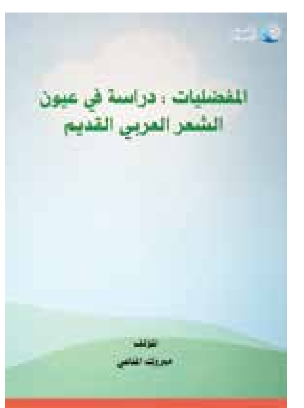
العزم الشعري ضروريّ لامتلاك أسرار الحقائق

ولعلّ الضامن الأزلي لاستمرار الشعر والمبرّر الطبيعي لاتّصال ضرورته هو أنّ «الحياة لا تكفي» كما قال فرناندو باسّوا عن عموم الفنّ، وهو تعويل الإنسان على «الكلمة» في تحقيق «الصبوة» وإيمانه بقدرة العلامات على إنجاز الرغبات... ذلك قول صديقنا الشاعر العراقي خزعل الماجدي:

عِنْدما تَلْدغُ شَمْسُ الفَجْرِ ظَهْرَ البَحرِ
تَنْداحُ مَيامي البَشَرِ الفانينَ في الوُدْيان والنّهرِ
وتَبْقى الكَلِمة
أوّلَ الأشياءِ في الأرْضِ
وتَبْقى الصّبواتُ
أوّلَ الأفْعال في العُمْرِ
وتَبْقى حَيْثُ أنتَ
شاغلاً ... منشغلاً بالنُّطَفِ الأولى وبالشّعرِ،
وتَبْقى حَيْث أنتَ ... وارثاً روحَ الذين ارتفعوا فوق الأوانْ..

لم ينته الشعر حينئذ - ولن ينتهي - لأنّه شكل كلّيّ أساسيّ ضروريّ من أشكال الحضور في العالم، وكثافة لازمة من كثافات الإنسان، وحاجة لا غنىً عنها من حاجاته ووظيفة حاسمة من وظائف الكلام ...

ولكنّ مهمّته صعبت، والتجاوز والإبداع فيه باتا عندنا أمراً مؤكّداً، وإن كان عسيراً لعلّة في المقول وعلّة في القول: علّة المقول هي أنّ حجم الخيبة في واقعنا العربي بلغ من الفداحة ما لا حدود له، فأضحى اتّساع الخرق يربك الراتق، وعلّة القول هي طفرة الزعم الشعري وكثرة التشاعر وقلّة الشعر.





مقال

نال مكانة عظيمة في الشعر والأدب

رمضان..

قصيدة الروح وتأمّلاتها

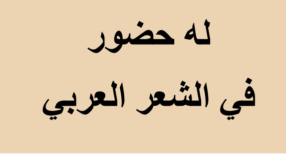
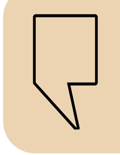




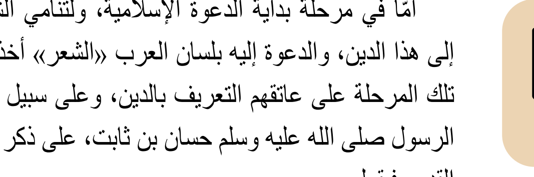
حسين الضاهر
سوريا

حمل الصيام أهمية كبيرة في جميع الشرائع، فلم يقتصر على ديانة معيّنة، أو نقطة جغرافية بذاتها، وقد وُجد في تاريخ الشعوب منذ القدم، كما في قوله تعالى: {يا أيُّها الّذينَ آمَنوا كُتبَ عليكُمُ الصّيامُ كَما كُتِبَ على الّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} (البقرة 183). وهذا دليل من كتاب الله على وجود الصيام قبل الإسلام. فكان عند قدماء المصريين فريضة للتقرّب من الموتى، بالامتناع عن المأكل والمشرب، كون الأموات لا يأكلون ولا يشربون. كما تعدّدت واختلفت ممارسة الصَّوْم من شريعة إلى أخرى، فكان تعبيراً عن مجاهدة النفس، بالامتناع عن الملذات وإظهار الإيمان تارةً، وتقرّباً من الخالق بالالتزام بما نزّل من عقائد، تارة أخرى.



له حضور في الشعر العربي




وفي حين ظهر الصَّوْم بشكله الحالي مع الرسالة الإسلامية، كان في الجاهلية مرتبطاً بالأشهر الحرم التي التزم فيها الناس حينذاك، بالامتناع عن القتال، وإهدار الدم، ويعدّ هذا الامتناع من ناحية أخرى صوماً عن فعل، كان يعدّ وقتها شبه عادي. فضلاً عن صوم يوم عاشوراء الذي استمر حتى بعد مجيء الإسلام.

ومثله مثل معظم الممارسات الدينية الأخرى، أَوجد الصَّوْم له مساحةً كبيرة في النفس البشرية، ودخل في سير الحياة بما له من تأثير، حتى في الفنون والشعر، فقد نُظمت الأبيات بشهر رمضان، وعبّر المحبّ عن استعداده الصَّوْم دهراً للتقرّب من محبوبته، حتى ذهب بعضهم إلى تقديس هذا الفعل «الصَّوْم»، وإلى أبعد من ذلك.

وفي هذا الشأن، نرى حضوراً نادراً للصوم ضمن الشعر العربي في العصر الجاهلي، فقد أتى ذكره في قصائد قليلة، سنذكر من بينها قصيدة الشاعر الأسود النهشلي التميمي:

ألا مَــــنْ مُبْلِـــغُ الرّحْمـــنَ عَنّـــي
بأنّـــي تـــاركٌ شَـــهْرَ الصِّيـامِ

أمّا في مرحلة بداية الدعوة الإسلامية، ولتنامي الشعور في الانتماء إلى هذا الدين، والدعوة إليه بلسان العرب «الشعر» أخذ المخضرمون في تلك المرحلة على عاتقهم التعريف بالدين، وعلى سبيل المثال يأتي شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت، على ذكر شهر الصَّوْم وليلة القدر، فيقول:

أُصيبـوا وَفـي شَـهْرِ الصِّيـامِ بَقِيَّةٌ
لِسَـبْعِ لَيـالٍ تِلكُـمُ لَيلَـةُ القَـدرِ

وكما رأينا في الأمثلة السابقة أنّ حضور فكرة الصَّوْم، كان مباشراً دون معالجة بأدوات الشعر، كالمجاز والرمزية، جاء كذلك، فيما بعد إشارةً إلى الوقت، وقت الإفطار، كما في قول الشاعر العجاج:

وَلِلشَــآمينَ طَريـــقُ المَشـــأمِ
وَلِلْعــراقِ فـــي ثَنايـــا عَيهَـمِ
حَتّـــى إِذا مـــا حـانَ فَطـرُ الصَـوَّمِ
أَجــازَ مِنّـــا جائِـــزٌ لَـــم يُوَقَّمِ

وفي المجتمع العربي الإسلامي لاحقاً، حضر الصَّوْم فكرةً تحمل رمزية تدلّ على ما يؤول إليه جسد الصائم، بعد مدة من الصيام، وبتعبير شعري تفوّق فيه الشاعر فروة الأشجعي:

هُـمُ نَصَبـوا الأَجسـادَ لِلنُبـلِ وَالقَنا
فَلَـم يَبْـقَ مِنهـا اليَـومَ إِلّا رَميمُهـا



تَظَـلُّ عِتـاقُ الطَيـرِ تَحْجَـلُ حَولَهُم
يُعَلِّلْـنَ أَجسـاداً قَليـلاً نَعيمُهـا
لِطافـاً بَراهـا الصَّـوْم حَتّـى كَأَنَّهـا
سُـيوفٌ إِذا ما الخَيلُ تَدمـى كُلومُها

فيما سبق يستفيض الشاعر بوصف الأجساد التي براها الصَّوْم، فأصبحت شبيهة بالسيوف في ساحة المعركة. ومن أفصح من الشعر لساناً للتعبير؟!

وقد يختلف فهم الممارسات الدينية من إنسان إلى آخر ومن عصر إلى عصر، فها هو الشاعر الأموي يحيى ابن نوفل، يتّخذ الصَّوْم هجاءً حين حل ضيفاً على أحدهم:

كُنـتُ ضَيفـاً بِبَـرّ مَنايـا لِعَبْـدِ الله
والضَّيـفُ حَقُّـهُ مَعلُـومُ
فَانبـرَىَ يَمْـدَحُ الصِّيـامَ إِلـى أَنْ
صُمْـتُ يَومـاً مَـا كُنْـتُ فِيـه أَصُومُ

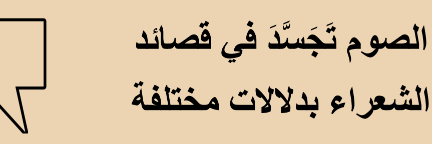
وفي الحقبة ذاتها وعلى لسان الشاعر زياد الأعسم، يحضرنا هذا الشاهد:

وَقَـدْ كانَ ذا أَهـلٍ وَمـالٍ وَغِبطَـةٍ
وَكانَ لِمـا يفنـي مِـنَ العَيـشِ قالِيا
كَأَنَّ الفَتـى داوُدَ لَـم يَـكُ فيكُـمُ
وَلَـم نَـرَهُ يَومـاً مِـنَ الصَّـوْم بالِيا




حنان فرفور





الصوم تَجَسَّدَ في قصائد الشعراء بدلالات مختلفة

وهكذا نلاحظ تعدّد استخدامات مفردة الصَّوْم في العصور التي جاءت بعد الدعوة الإسلامية، ومعالجتها بأدوات الشعر بطريقة فنية أكثر، بعيدة عن المباشرة. واستمرت هذه المعالجة الفنية فيما بعد، ليأخذ الصَّوْم منحىً شعرياً آخر مع المتنبّي:

الصَّـــوْم وَالفِطْــرُ وَالأَعيــادُ وَالعَصْرُ
مُنيــرَةٌ بِــكَ حَتّــى الشَّــمْسُ وَالقَمَرُ
تُـــري الأَهِلَّــةَ وَجهــاً عَــمَّ نائِلُــهُ
فَمــا يُخَــصُّ بِـــهِ مِــن دونِها البَشَــرُ

وبالوقوف عند الأبيات السابقة، نرى المتنبّي، يشبه الصَّوْم والفطر على أنها منيرة مضيئة في نفس المخاطب، وكأنها نور الشمس والقمر اللذين هما مصدر النور في الحياة.

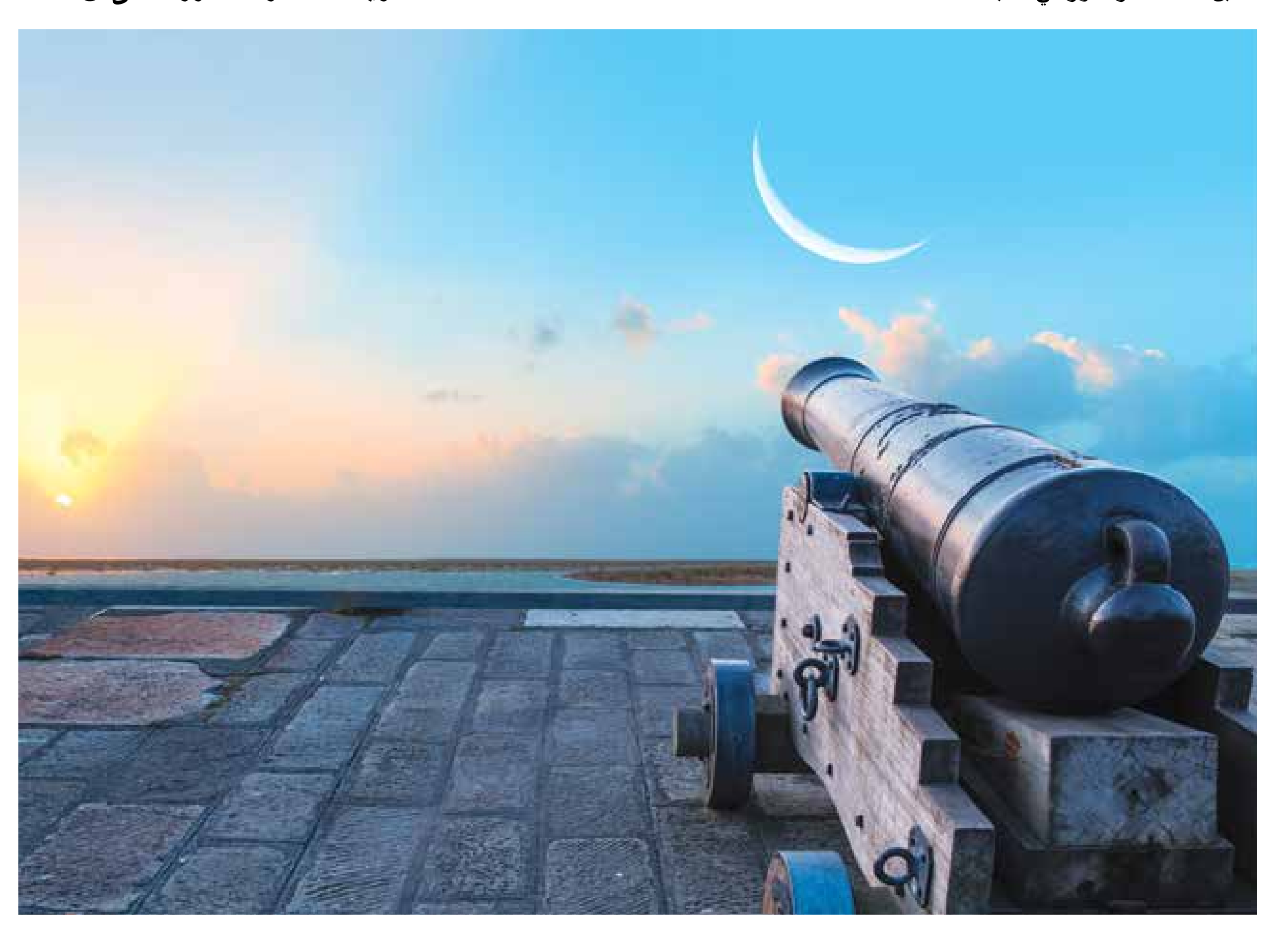
وليس ببعيد عن هذه الحقبة، نرى ابن بسام البغدادي، يثني على شهر الصَّوْم، بما فيه من مفازة، وأخلاق طيّبة تكسو الصائم:

سَــقْياً لِشَــهْرِ الصَّــوْم مِــنْ شَــهْرِ
عِنْــدي لَــهُ مــا شــاءَ مِــنْ شُــكْرِ
كَــمْ مِـــنْ عَزيـــزٍ فيــهِ فُزْنــا بِــهِ
أنْهَضَـــهُ اللّيْـــلُ مِـــنَ الوَكْـــرِ

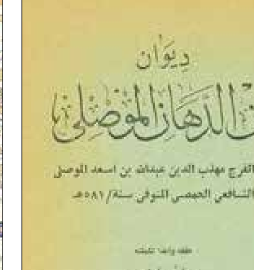
كثيرة هي القصائد التي تناولت مفردة الصَّوْم، وخصوصاً في العصور اللاحقة، الأندلسي، المملوكي، الفاطمي، الأيوبي، العثماني، وصولًا إلى العصر الحديث. وقد يحتاج المرور عليها بحثاً أطول وأعمق، ومن الممكن أن نورد شواهد سريعة عن كل عصر دون الإطالة في شرحها:

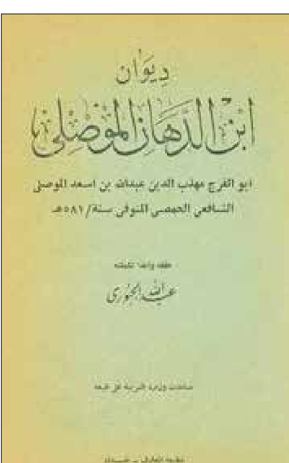
فها هو الشاعر الأندلسي ابن الجنان يودّع شهر رمضان، بعاطفة شاعرية متقدة، وكأنه يودّع حبيباً، مضى على وجوده بالقرب دهوراً:

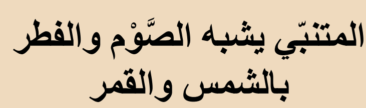
مَضــى رَمَضــانُ أو كَأنّــي بــهِ مَضَى
وغــابَ سَــناهُ بَعْدَمــا كانَ أوْمَضــا
فيــا عَهْـدَهُ مــا كانَ أكْــرمَ مَعْهــدا
ويــا عَصْــرَهُ أعْــزز علــى أنْ أنْقُضا











المتنبّي يشبه الصَّوْم والفطر بالشمس والقمر

وكما اعتُصر القلب شعراً بوداع ابن الجنان لشهر الصَّوْم، يبتهج الشاعر ابن أبي حديد باستقبال الشهر ومن بعده الفطر، فيقول:

قــدْ شــرّفَ الصَّــوْم الجليــلُ بِمــا
أوْلَيْتَــــهُ وتَجَمّـــــلَ الفِطْــــرُ
والعيـــدُ عَصْـــرٌ أنْـــتَ سائسُــهُ
لا زالَ عنّـــا ذلـــكَ العَصْــــرُ

وفي ذكر رمضان وهلاله، وحنين المؤمنين إلى التماسه، يقول الشاعر ابن حمديس:

قُلْـــتُ والنّـــاسُ يَرْقُبــونَ هِــلالاً
يُشْــبِهُ الصَّــبَّ مِــنْ نَحافــةِ جِسْــمِهِ
مَــنْ يَكُــنْ صائمــاً فــذا رَمَضــانٌ
خَــطّ بالنّـــور للْــوَرى أوّلَ اسْــمِهِ

وفي سياق آخر ينظم ناذراً الشاعر ابن الدهان، ويقول:

نَــذَرتُ الصَّــوْم دَهْــري يَــومَ تأتــي
صَحيــحَ الجِسْــمِ لِلَّــهِ الحَميــدِ
وإنّـــي إنْ رأَيتُـــكَ حَــلَّ نَــذْري
وحُــقَّ الصَّـــوْم لِلَّـــهِ المَجيــدِ
وَأَعجــبُ مــا يُقــالُ وُجــوبُ صَــوْمٍ
عَلَـــيَّ وَقَـــدْ رأَيــت هِــلالَ عيــدِ

ابن الجنان يودّع رمضان بعاطفة شعرية متقدة

وهنا حل الصَّوْم نذراً يبذل في سبيل تحقيق المطالب، وعلى حُسبان أن الشعر والفنون جميعها، مرآة الواقع الذي نعيشه، وقد لا يقف أمر النذر عند عامة الناس فقط، بل ها هو يُنظم شعراً أيضاً.

الغشري:

مَرْحبـــاً مَرْحبـــاً بِشَــهْرِ الصّيام
خَيْـــرِ شَـــهْرٍ وسَـــيِّدِ الأعْـــوامِ
مَرْحبـــاً مَرْحَبـــاً وأهْـــلاً وســهْلاً
جامِــــعُ شَـــملنا وخَيْــــرُ نظــامِ

وبين مُرحّبٍ ومودع، نُظمت الأبيات في الصَّوْم، مباركاً وجليلاً من بين العبادات. وحتى في العصر الحديث، نال الصَّوْم مكانة عظيمة في الشعر والأدب، فقد تناوله عدد من الأدباء في كتاباتهم، إلى جانب باقي العبادات والشعائر الدينية. فقد قال أمير الشعراء أحمد شوقي، في الصَّوْم «الصَّوْم حرمان مشروع، وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع». وبفنّية ملتقطة ذهب إلى مدح هلال رمضان مرحّباً بقدومه، فما أن يأتي رمضان حتى تشتعل نار الحنين في قلوب المحبّين المؤمنين، يرحّبون بقدومه، ويبشّرون الناس:

أحمد شوقي:

يا هِـلالِ الصّيــامِ مِثْلُك في السّــامينَ
للْعِـــزِّ مَـــنْ طــــوى الأفْلـــاكا
مَرْحَبــاً بالثَّــوابِ مِنْــكَ وأهْــلاً
بليـــالِ جَمــالُهــــا لُقْيـــاكَا

وقد اختلف تناول فكرة الصّيام اختلافاً جذرياً في الشعرية العربية، خصوصاً في الحقبة الحالية، فلم يعد ذاك الاستخدام المباشر لها موجوداً بكثرة، وبات المجاز والرمزية في تناول الموضوع هما السمة الأبرز لهذه المرحلة، (ما بعد الحداثة)، ويحضر عن هذه المرحلة نص للشاعرة اللبنانية حنان فرفور تقول فيه:

الآنَ...
تُهديكَ الحَقيقةُ شالَها
فاسألْ إذا نُودِيتَ فرداً: ما لَها؟
لا حَسْرةٌ تُنجيكَ مِنْ هَجْرِ اليَمامِ
فَكُفَّ صَوْمَكَ كَيْ... تَحُطَّ رِحالَها
يا أيُّها المَنْسيُّ، إنْ صَدئَتْ يداكَ
فمَنْ أدارَ الأرضَ ثمَّ أمَالَها؟!

الإتقال في الرمزية الفنية، أظهر تناول الشاعرة لمفردة الصَّوْم، على أنها امتناع عن الانخراط في الحياة، أو صوم عنها، ويبرز هذا التناول في استخدام ثنائيات، «صومك – أيها المنسي». كما تستخدم أسلوبها الفني في تناول المفردة في نص آخر تقول فيه:


متحف أحمد شوقي


أحمد شوقي وحافظ إبراهيم

أنــا مَـــنْ ذا أنـــا حتّـــى أراكَ؟
أنـــا صَـوْمُ الـرّوَى تبْكـي جَفـاكَ
تُقطّرنـــي علـــى مَـــدِّ الخَطايـــا
دُمــــوعٌ لَــــمْ يجفّفهـــا ســـناكَ

بينما يستعيد الشاعر محمد بن سالم في نصه «معراج الشمعة» الاستخدام الأول للمفردة حين يقدّمها بصيغتها المباشرة حين يقول:

خُذْني إلى الغَيْمِ
فالصَّحْراء قاسِيةٌ
والبَحْرُ مُذْ مَرَّ موسى
لَمْ يَزِلْ رَهْوا
خُذْني إلى الله
يا مَنْ في ضيافَتِهِ تصومُ
أو تُفْطِرَ الأيتامَ بالحَلْوى

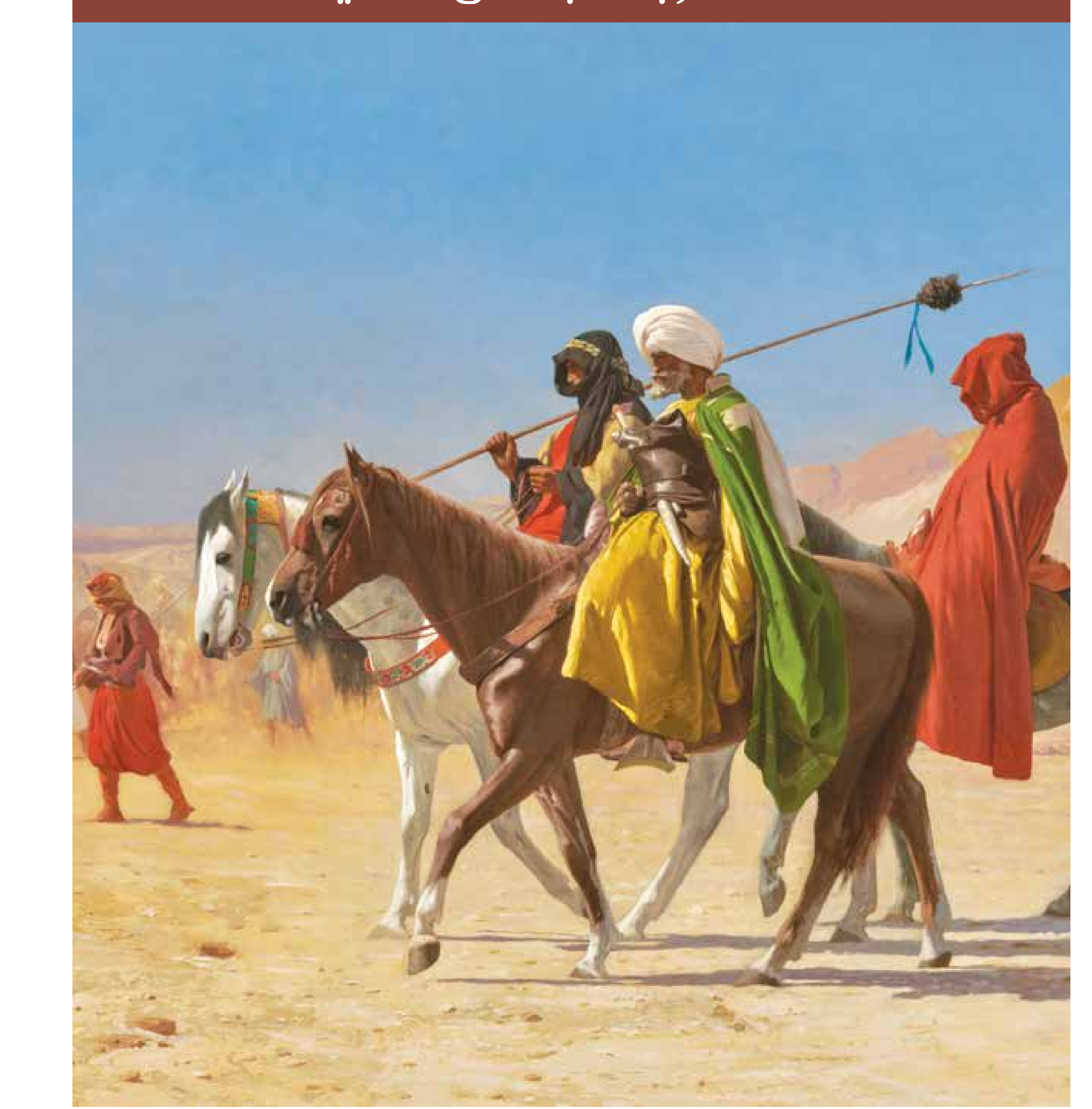
في النهاية نلاحظ انحياز الشعر والشعراء، نحو إدراج العبادات والشعائر في الشعر العربي بكثرة ومنذ القدم. وما زال هذا الاستخدام مرافقاً للشعر حتى يومنا هذا، بطرق فنية مختلفة وتمتاز بالفرادة من قصيدة إلى أخرى. فالصَّوْم هو العبادة، والامتناع، والتقرّب. هو السكينة التي تغشى الصائم، والصبر الذي يتملّكه. هو التحلي بالأخلاق الطيبة، والابتعاد عن السوء.



شعره شاهد على أسمى حكايات الهوى وأصفاها

جميـــل بثينـــــة..

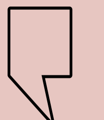
المنتصر بالحب حتى النهاية





أسيل سقلاوي
لبنان

حيثُ رفّت أجنحةُ الطيرِ بالعشقِ والهوى باسطاتٍ ويقبضنَ، فوق وادي القرى بالعلا بين الشام والمدينة، ولدَ الشاعرُ الأموي جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، أبو عمرو، عام 659 للميلاد. راوية لشعر هدبة بن خشرم، وأحد عشاق العرب، فاجتمعت له الرواية والشعر مسلسلةً من أساتذة فحول. وقد قيل إنه أشعرُ أهل الإسلام والجاهلية.



اشتهر بإخلاصه الشديد في حبه لبثينة

افتُتن ببثينة بنت حيان العُذرية، وهو صغير في غلامته، وخطبها كبيراً من أبيها وهو من قومه، فردَّه ثم زوّجها بغيره، فازداد غراماً واحتقن هياماً، ولم ينقطع عنها ولم يمتنع منها، ذلك أنه كان يزورها سرّاً، وكانت تبادله حبه الصافي وتلتقي به في مواعيد بريئةٍ نقيةٍ طاهرةٍ، فسارت أخبارهما بين الناس، وكانت قبيلتها عُذرة قد اشتُهرت بالعشق، حتى قيل لأحد العُذريين: ما بال قلوبكم كأنها قلوب الطير تنماث كما ينماث الملحُ في الماء؟ ألا تجلدون؟ قال: إننا لننظر إلى محاجرِ أعينٍ لا تنظرون إليها.

أو كما قيل لأحدهم: من أنت؟ فقال: من قومٍ إذا أحبّوا ماتوا، فقيلَ عُذريٌّ ورب الكعبة، وخيرُ شاهد على هذا ما جاء في شعر جميل:

يقولونَ جاهِدْ يا جميلُ بغزوةٍ
وأيّ جِهادٍ غَيْرِهِنّ أريدُ
لكلّ حَديثٍ بَيْنهنّ بَشاشةٌ
وكُلُّ قتيلٍ عِنْدهُنَّ شَهيدُ

تعلَّقَ ذلك العاشق بالشعر كأنَّ لسانَه فُطِرَ عليه، فاستعمله قلبه في عشق بثينة وهجاء قومها، حين جمعوا له ليأخذوه إذا أتاها، خلافاً لكثير من شعراء الغزل العُذري الذين بلغوا حدّ الجنون، بعد إقصائهم عن الحبيب وتذوقهم مرارة العشق والحرمان، كما هي الحال عند مجنون ليلى قيس بن الملوح، ومجنون لبنى قيس بن ذريح، وهكذا بعد أن حذّرته بثينة منهم قالَ:



ولو أنّ ألفاً دونَ بَثْنَةَ كُلّهم
غَيارى وكُلٌّ حاربٌ مُزْمِعٌ قَتْلي
لَحاولْتُها إمّا نهاراً مُجاهِراً
وإمّا سُرى لَيْلٍ ولَوْ قُطّعتْ رِجْلي

لم يكتفِ قوم بثينة برفض جميل زوجاً لها وحسب، بل توعدوه بالانتقام، فقد اعتاد العرب سابقاً، على منع تزويج العشاق خوفاً من كلام الناس، وبعد كل محاولاتهم التي باءت بالفشل في إبعاده عن بثينة، لجأوا إلى مروان بن الحكم الذي توعّد جميلاً بقطع لسانه كي يكفّ شعره عنها، وقد عبّر جميل عن هذا بالقول:

أتانيَ عنْ مَرْوانَ بالغَيْبِ أنّهُ
مُقيدٌ دمي أو قاطعٌ مِنْ لِسانيا
فَفي العِيسِ مَنْجاةٌ وفي الأرْض مَذْهَبٌ
إذا نَحْنُ رفَّعْنَا لهُنَّ المَثانيا

البعد والإخلاص

اضطر جميل إلى أن يغيب عن البلاد، فكان يبتعد حيناً، ويعيدُه الحنين إلى الديار حيناً آخر، ولكن لم يقف البُعد عائقاً بين حبه وإخلاصه لبثينة، بل كان رغم المسافات التي تفصلهما يتعلق بها أكثر، ويزداد هياماً واشتياقاً للقياها:

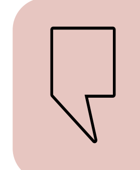
تَذكّرْتُ لَيلى فالفؤادُ عَميدُ
وشطّتْ نَواها فالمَزارُ بَعيدُ

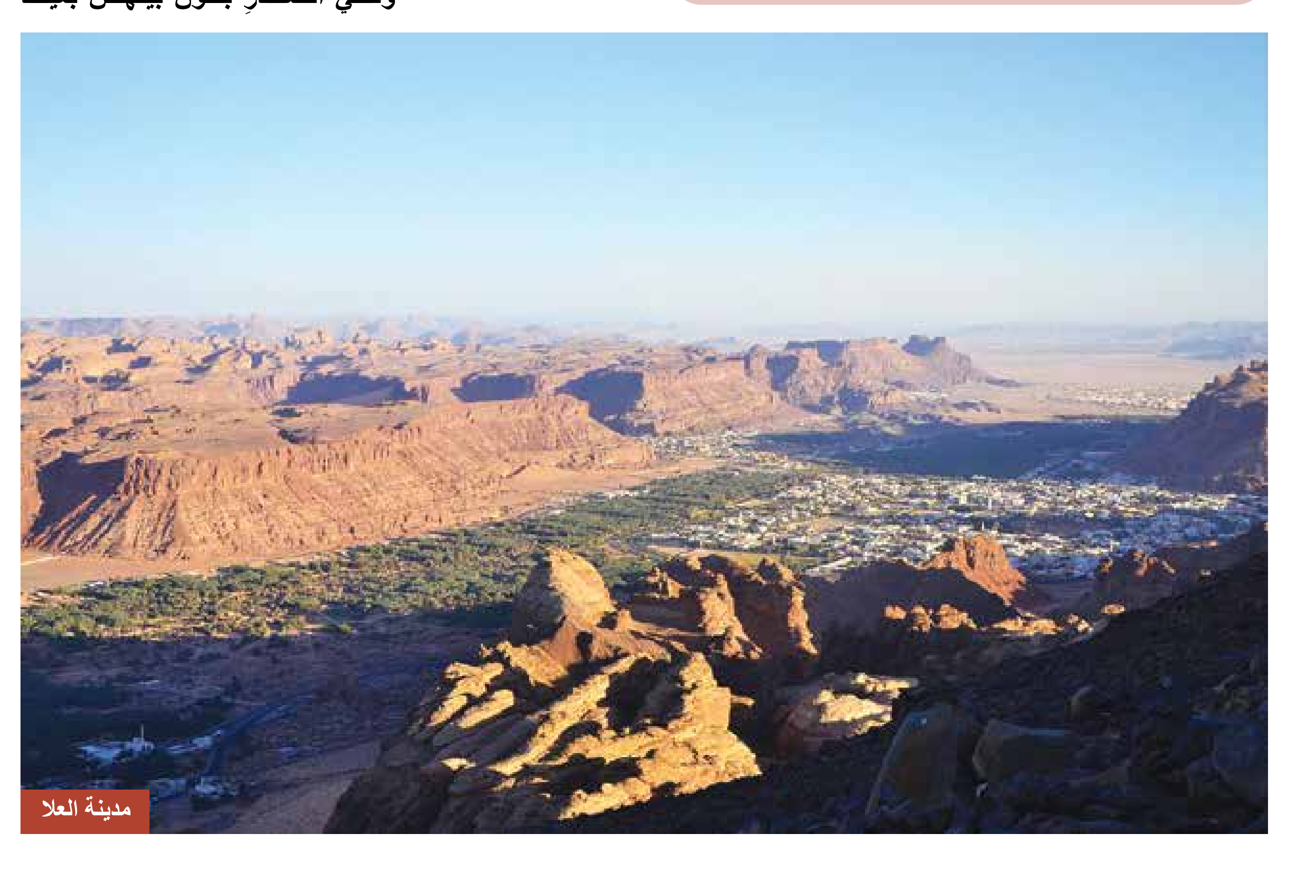
أو في قوله:

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإنْ نأتْ
جَزِعْتُ لِنَأيِ الدّارِ منها وللبُعْدِ

وعُرفَ عن جميل بأنه اسمٌ على مسمىً، جميلُ الوجه، حسن الخلق، مرهف الحس، وقد اشتهر بإخلاصه الشديد في حبه لبثينة بحيث كان يرى فيها كل النساء ولا ترى عين قلبه سواها، رغم كل المغريات التي كانت تقدم له، و لم ينظم الشعر إلّا في محبوبةٍ واحدة وهي بثينة، وهناك أحاديث عدة، لنساء قومه على أنهنّ أولى من بثينة بجميل فجاء رده في قصيدة له :

ويَحْسبُ نِسوانٌ منَ الجَهْلِ أنّني
إذا جِئْتُ إيَّاهنَّ كُنْتُ أريدُ
فأقْسمُ طَرْفي بَيْنَهنَّ فَيَسْتوي
وفي الصَّدْرِ بَوْنٌ بَيْنهنّ بَعيدُ


عُرفَ عنه بأنه جميلُ الوجه حسن الخلق

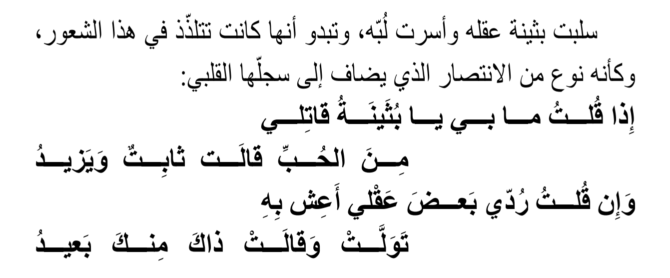

مدينة العلا










قيل عنه إنه أشعرُ أهل الإسلام والجاهلية

سلبت بثينة عقله وأسرت لُبّه، وتبدو أنها كانت تتلذّذ في هذا الشعور، وكأنه نوع من الانتصار الذي يضاف إلى سجلّها القلبي:

إذا قُلتُ ما بي يا بُثَينَةُ قاتِلي
مِنَ الحُبِّ قالَت ثابِتٌ وَيَزيدُ
وَإِن قُلتُ رُدّي بَعضَ عَقْلي أَعِش بِهِ
تَوَلَّتْ وَقالَتْ ذاكَ مِنكَ بَعيدُ

ومع هذا نجد أن جميلاً كان مطيعاً لبثينة:

فَمُريني، أُطِعْكِ في كُلِّ أمْرٍ
أنتِ واللهِ أوْجَهُ النّاس عِنْدي

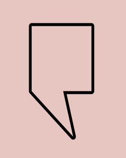
ضفة أولى

وقعَ جميل أسيراً للعيون، حائراً بين نارَيها، فعلى الضفة الأولى عينا بثينة التي كانت تفتك به حُباً كلما نظر إليها أو تذكّرها، وعلى الضفة الثانية عيون الوشاة المتربصة، محاولةً أن تفتكَ به كُرهاً وعدواناً وانتقاماً؛ ففي الأولى حياةٌ من بعد موتٍ، وفي الثانية موتٌ من بعد حياة.
وعن عيني بثينة شواهد عدّة متجلية في نصوصه:

يَموتُ الهَوى مِنّي إذا ما لَقيتُها
ويَحْيا إذا فارَقْتُها فَيعودُ

هذه العيون التي كانت تتحيّن الفرص للقائه، لكنها كانت تخاف عليه فتحذّره من عيون الوشاة التي تتوعده بالانتقام:

فقالتْ: أخافُ الكاشِحينَ وأتّقي
عُيوناً مِنَ الواشين حَوْليَ شُهَّدا



اجتمعت له الرواية والشعر من أساتذة فحول

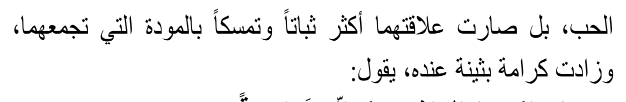
بناء القصيدة

نلاحظُ بشعرِ جميل وخصوصاً الغزلي منه، الأثر الكبير الذي تركه الوشاة في ذات الشاعر وفي حالته النفسية، وتجلى واضحاً في البناء الفني لقصيدته، ذلك أن عشق جميل لبثينة لم يخل من أكاذيب الوشاة وافتراءاتهم، متذرّعين بتقاليد المجتمع وقيَمه وأعرافه التي كانت ترفض أن يتغزل أي شاعر بالمرأة التي يحبها، فكان جميل يحاول بشتّى الطرق الرد على الوشاة من أجل إبطال وشايتهم.

يقول:

يُكَــذِّبُ أَقــوالَ الوُشــاةِ صُدودُهــا
وَيَجتازُهــا عَنّــي كَأَنْ لا أُريدُهــا
وَتَحْــتَ مَجــاري الدَّمْــعِ مِنّا مَــوَدَّةٌ
تُلاحِــظُ سِــرّاً لا يُنــادي وَليدُهــا
رَفَعــتُ عَنِ الدُنيــا المُنى غَيــرَ وُدِّها
فَمــا أَســأَلُ الدُّنيــا وَلا أَســتَزيدُها

ورغم محاولات الوشاة الكثيرة، لبثّ الخصومة بين جميل وبثينة ونجاحهم أحياناً، فإنهم فشلوا بأغلب الأحيان في زعزعة استقرار هذا الحب، بل صارت علاقتهما أكثر ثباتاً وتمسكاً بالمودة التي تجمعهما، وزادت كرامة بثينة عنده، يقول:



وَمــا زادَهــا الواشــونَ إِلّا كَرامَــةً
عَلَــيَّ وَمــا زالَــت مَوَدَّتُهــا عِنْــدي
أَفــي النّــاسِ أَمثالــي أَحَــبَّ فَحالُهُم
كَحالــيَ أَمْ اَحبَبــتُ مِنْ بَينِهِــم وَحْدي
وَهَــلْ هَكَــذا يَلقــى المُحِبّــونَ مِثلَ ما
لَقيــتُ بِهــا أَم لَــمْ يَجِــدْ أَحَــدٌ وَجْدي
يَغــورُ إِذا غــارَت فُــؤادي وَإِنْ تَكُــن
بِنَجْــدٍ يَهِــمّ مِنّــي الفُــؤادُ إِلــى نَجْدِ

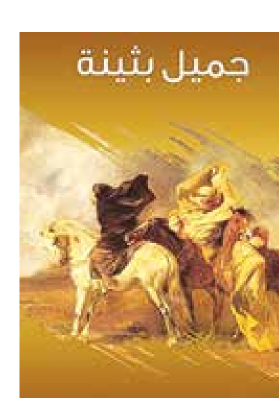
موت جميل

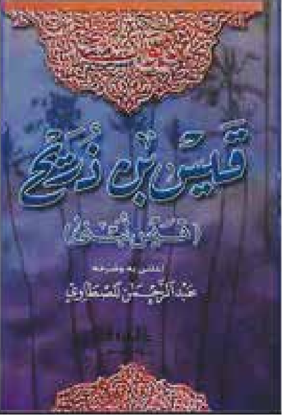
لجأ جميل إلى مصر هرباً من الذين أهدروا دمه وسمعته بسبب بثينة، فقد مات هناك عام 701 للميلاد، بعد أن وفد على عبد العزيز بن مروان بالفسطاط، الذي أكرمه غاية الإكرام، وأمر له بمنزل أقام به قليلاً قبل موته، ودفن بمصر ولم يدفن الموت والوقت حكايته وشعره الذي ما زال شاهداً عليه.

أما حبيبته بثينة لمّا بلغها خبر وفاته، فقد حزنت عليه حزناً شديداً، وأنشدت ولم يُنسب إليها شِعرٌ غيرُه:

وإنّ سَــلْوى عَــنْ جميــلٍ لِســاعةٍ
مِــنَ الدَّهْرِ مــا حانَتْ ولا حــانَ حِينُها
سَــواءٌ علينــا يــا جميــلُ بــنَ مَعْمَرٍ
إذا مِــتُّ بأســاءُ الحيــاة ولينُهــا

منظر لمدينة العلا القديمة





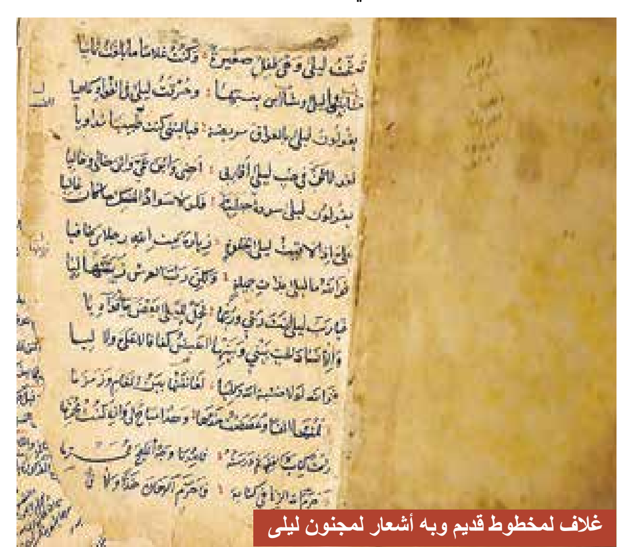
خاتمة

حكايةُ جميل مع بثينة، من أسمى حكايات الهوى وأصفاها، حيثُ تتحرر من شِباكِ الأعرافِ السائدة في الواقع إلى حضن النص الشعري من الغزل العذري، رغم ما يلاقيه العذري من عذابٍ، وحرمانٍ، وأنينٍ، وقلق.

استطاع جميل أن يثبت للجميع أن الحبّ الحقيقيّ وحده هو المنتصر في النهاية، وإن كان مصير العشاق الانفصال جسداً، فإن الروح لا تنفصل أبداً، متحدياً بذلك كل المقاييس التي وقفت عائقاً أمام لقائه بثينة، وأعلن في قصائده أن حبّه لبثينة هو حبٌّ خالدٌ وظل مقيماً عليه حتى مماته.

لَقَــد ذَرَفَــتْ عَيْنــي وَطالَ سُــفوحُها
وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْســي سَــقيماً صَحيحُها
أَلا لَيْتَنَــا نَحيــا جَميعــاً وَإِنْ نَمُــت
يُجاوِرُ في المَوْتــى ضَريحي ضَريحُها

ولكن هل لذلك الإعلان صدق على أرض الواقع، أم أن الفكر العربي القديم أراد أن يبني خطأً وهمياً يؤكد فيه طهر الحب ونقاوته في قصص العشاق العذريين، وصاحبنا منهم، وأن لا رغبات دفينة ولا نيات مبيّتة داخل النفس البشرية لشعراء بني عذرة؟



غلاف لمخطوط قديم وبه أشعار لمجنون ليلى



غمزَةُ التُّفاحة



حسام شديفات
الأردن

نـــايّ..وأنّـتُـــهُ، وفــو
وأنـــا وأنـــتَ تصَـــوُّفُ

وبنـــا تَفـــرُّد نوتـــةٍ
لا لَحْـنَ لكـنْ نَعـزِفُ

فـــي كُـلِّ حبّـةِ خَـرْدلٍ
مَـوْتٌ يُطِـلُّ ويقطِـفُ

والشَّـمْسُ مُـذْ طلعـتْ ونحـ
ـنُ نـرى الكـواكبَ تَخسِـفُ

مُتـوازيـانِ مـعَ المُنـى
لَـمْ نَـدْنُ كيـفَ سَنأسَـفُ؟

بِبَسـاطَـةٍ تَغْتـالُنـا
أقـدارُنا الـ تَتَفَلْسَـفُ

باللـهِ قُـلْ لـي يـا دَمـي
مِـنْ أيِّ جُـرْحٍ أنـزِفُ

فـأراكَ تَعْصِـرُ نشـوةً
وأنـا أذوقُ.. فـأعْـرِفُ

وأراكَ مَصْلـوبـاً علـى
كُنْـهِ المَجـازِ تؤلّـفُ

مِـن كُـلِّ قافيـةٍ تَطيـ
ـرُ علـى المَـدى وتُرَفْرِفُ

كَـمْ فـي القَصيـدة آخـرٌ
فـي حَضْـرةٍ يتكشّـفُ

لا عَيْـبَ، مـاذا أخْصِـفُ؟
لا بَـرْدَ ممّـا أرجُـفُ؟

وَيشـيرُ لـي التّفـاحُ لا
تَقطَـفْ، ولكـنْ أقطِـفُ

جنة الصحراء


محمد محمود بلبلاه
موريتانيا

جُودي عَليَّ بِنظرةٍ تلقائي
وتفضّلي بتحيّةٍ ولِقاءِ
هيَا بِنا نَبْنِ المَحبَّة بالصَّفَا
ونُقِمْ تَدانينا مَحلَّ تَناءِ
إنّي وإنْ سَلَبتْ تَبَاريحَ الجَوى
عَقْلِي وَدَبَّ الشَّوقُ في أحْشائِي
وأزاحَ وقْعُ البَيْنِ رُكْنَ تَجَلُدِي
وحُسامُ صَبْري فلّهُ بِنباءِ
لأوَدُّ أنْ تَبقى المَحبَةُ دائِمَاً
بَيْني وبَيْنَك في أعَزِّ نَمَاءِ
أَلقَى خَيَالَك بِالبَشَاشَةِ والسَّخَا
سِيّانِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ
ولَقَلَّمَا لاقى مُحِبٌّ مِثْلَ ما
لاقَيْتُ مِنْ شُحٍّ وطُولِ جَفَاءِ
وَأَرَى مِن الإيمانِ حُبَّ حَبيبتي
بِنَزاهةٍ وطَهارَةٍ ووَلَاءِ
مَرْتان يا شَنْقيطُ مَعْلَمةُ الْهُدى
بَحْرُ المَعارِفِ جَنَّةُ الصَّحْرَاءِ
مَثْوَى جُدُودِي أنْتِ حَسْبُكِ رِفْعةً
ما قَدْ حَوَيْتِ مِنَ اعْظَمِ العُظمَاء
أنتِ الحَياة لِجِسميَ المَمْزوجِ من
حَصْبائِكِ الغَرّاءِ في الإنْشاءِ

أنْتِ الْحَبيبةُ رَغْمَ كُلِّ قَساوةٍ
إنّ الشّدائدَ فيكِ عَيْنُ رَخاءِ
تَزْهو بِواحاتِ النَّخيلِ جِبالُنا
ورِمَالُنا بِرياضِها الغَنَّاءِ
فَمَقاصِرُ الأمَراءِ أشْجارُ الرُّبى
والصَّخْرُ كانَ مَنابرَ العُلَمَاءِ
مِنْ خيرةِ الأقْطابِ والأبطالِ
والعلماءِ والأدباءِ والقُرّاءِ
سَطَّرْتُ في التَاريخِ مَجداً تَالِداً
بِبَراعةِ الكتّابِ والشُّعَراءِ
فَلَكَمْ أمَدَّكِ مُبْدِعٌ مِنْ شِعْرِه
وغِنائِهِ بِقصيدَةٍ عَصْمَاءِ
السَّابِقونَ السَّابِقونَ إلى العُلا
أهْلُ التَّقى والصَّبْرِ والبَأسَاءِ
مَنْ سَامَنا هَوْنَاً نُجَرِّعُهُ الرَّدَى
ونُهينُه بتَمزّقِ الأشْلاءِ
ونُحبُّ مَنْ أَهْدَى المَحَبَّةَ نَحْوَنا
ونُجيبُهُ بِمَوَدَّةٍ وإخاءِ
وأعزُّ مَرْئيَةٍ تَروقُ لناظرٍ
وتَهزُّهُ إنْ رَفْرَفَتْ بِسَمَاءِ
خَضْراءَ تُزْهِرُ بالهِلالِ ولَونِه
وبِنَجْمةٍ مِنْ فوقِه زَهْراءِ

يا قرة العين



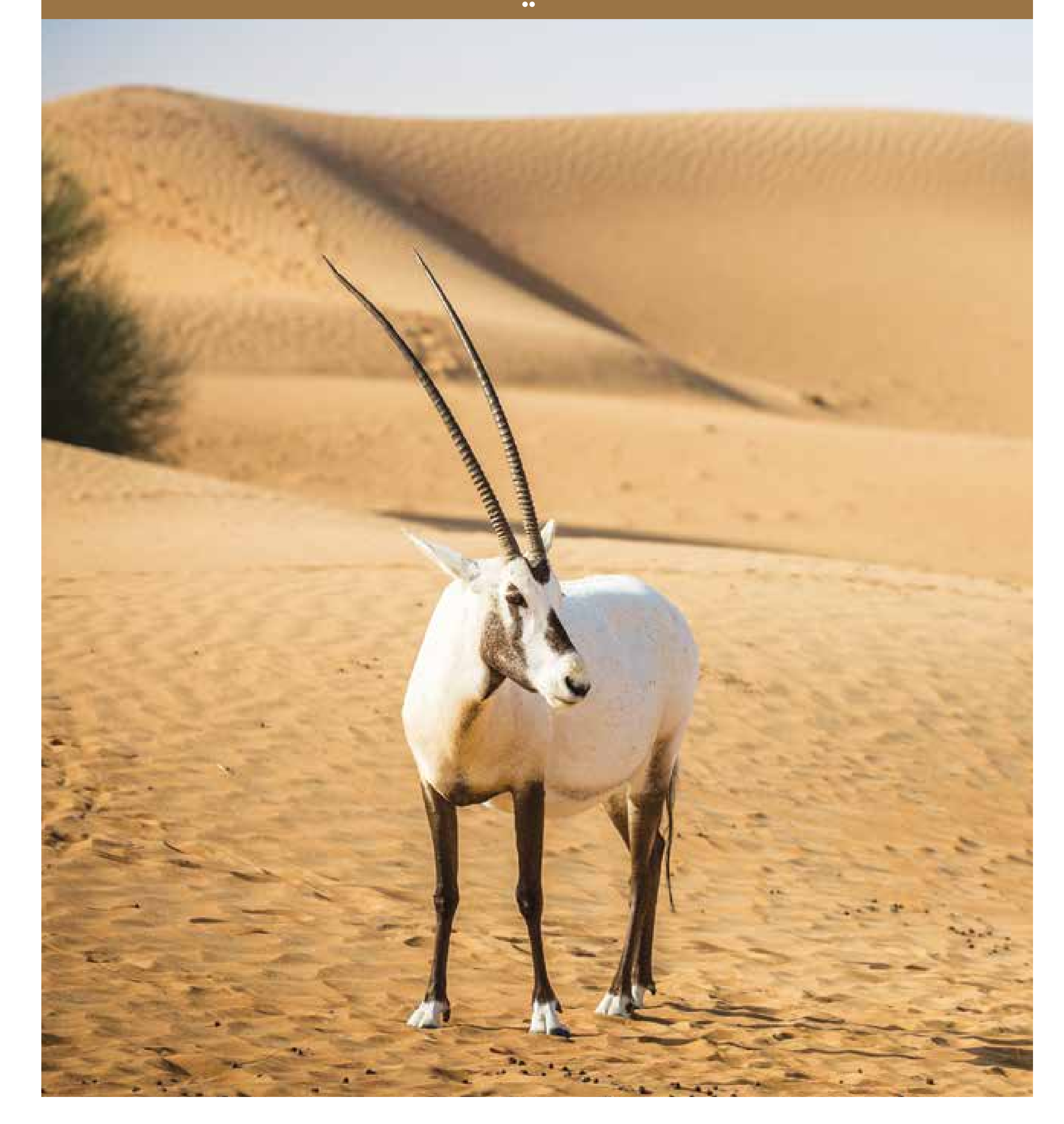
عماد افقير
المغرب

اسْتَمْكَنَ العِشْقُ مِنْ قَلْبي ومِنْ كَبِدِي
وحَصْحَصَ الشَّغَفُ المَكْتومُ بالجَلَدِ
أنْكَرْتُه وظَنَنْتُ العَقْلَ طاوعَني
لكنَّ أهْدابَها قَدْ تَلْتَلَتْ جَسدِي
شَكوَايَ أوْدَعتُها في القَلْبِ مُذْ زمَنٍ
والقلْبُ يَسألني: هَلْ كانَ ذا بيَدِي؟
أُخْفي النُّدوبَ سُدًى، فالقلْبُ يَفْضَحُني
أَمُبْلِغُ الذَّنْبَ أَنْ أشْقَى إلى الأبَدِ؟
أحْبَبْتُهَا وحُروفُ الحُبِّ مُدْغَمَةٌ
مِنْ حُسْنِها ضَمَّتْ الحَرْفَيْنِ كَالمَسَدِ
فالحَاءُ حَرَّكَنِي بِالشَّوْقِ والوَلَهِ
والباءُ كَبْكَبَنِي، مَا عُدْتُ للرَّشَدِ
سوانحُ الشِّعْرِ قَدْ حَطَّتْ عَلى كَتِفِي
تُمْلِي عَلَى القلْبِ ما دَوَّنْتُهُ بِيَدي
يَا مَنْ بَنَيْتُ لها بالحَرْفِ مَمْلكةً
لا تَضْجَري فَلُباب الحُبِّ في نَكَدِي
ذُوقي حَلاوتَها، فالسَّعْدُ مُكْتَمِلٌ
ريمٌ بِضِحْكتِها جاءَتْكِ بالمَدَدِ
فَاليَوْم قَدْ نَطَقَتْ باءً مُمَدَّدَةً
كأنّها نَبَسَتْ تُهْدي الدُّنا لِيَدي
والأُذْنُ قَدْ طَرِبتْ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقها
والْعَيْنُ قَدْ شَهِدَتْ: لا صِنْوَ في البَلَدِ
هَذي الحَياةُ أمَدَّتْني بزِينَتِها
بِنْتٌ كَلُؤْلُؤَةٍ تُغْنيكَ عَنْ وَلَدِ
قَلْبي لَها صَدَفٌ بالحُبّ يحْرُسُهَا
والْعَيْنُ تَتْبَعُها، فاللُّبُّ لَمْ يَعُدِ
فالله رَكَّبَها في الْعَيْنِ زَنْبَقَةً
لَوْلا مَشيئتُهُ، الْحُسنُ لَمْ يَجُدِ
واللهُ صَوّرها بَيْضاءَ مُشْرِقَةً
كالشَّمْسِ تُجْلي رُعَاشَ الثّلجِ والبَرَدِ
في خدّها شَفَقٌ، فالْوَرْدُ يُشْبِهُها
مَمْشوقةُ القَدِّ لَمْ تَنْقُصْ ولَمْ تَزِدِ
إنْ زِدتُها قُبَلًا، يَرْبُو تورّدُها
كأنّها خَجِلَتْ، تُخْفِيهِ في عَضُدي
يا قُرّة الْعَيْنِ كَمْ أخْفَيْتِ مِنْ وَجَعٍ؟
قدْ كان يَرْبِضُ في الأحْشَاءِ بالعُدَدِ

تفنّن الشعراء في تشبيه جمال المحبوبة بها

المَهـــا..

أميرات الصحراء في القصيدة العربية

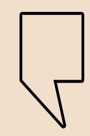






محمد زين العابدين
مصر

المَهـا.. ظبيةٌ عربية أصيلة، تهيم كالأميرة الشاردة في صحارى العرب بجمالها الصافي وعيونها الساحرة. كم تغنّى بها الشعراء العرب؛ ببياضها النقيّ وعينيها الجميلتين الحكيمتين الدامعتين، وبالاستعانة بغريزتها الثاقبة! كان العرب يكتشفون أماكن المطر، ومنابت الخير والكلأ، ويمتلئ ديوان الشعر العربي بالأشعار البديعة التي استلهمت جمال المها العربي، وجعلتها رمزاً لجمال المحبوبة، في اتساع عيونها الساحرة الواسعة الحالكة السواد، وبياض عنقها المشرئب في شموخ.



**ظبية عربية أصيلة
تغنّى بها الشعراء**

تشبيه وخيال

على امتداد عصور الشعر العربي، تفنّن الشعراء العرب في تشبيه جمال محبوباتهم بجمال المها؛ بل نجد أن الشاعر الجاهلي البارز زهير بن أبي سلمى، قد عقد مقارنة في الجمال بين المها والمحبوبة، وجعل محبوبته تتفوق في سحر عيونها على المها التي تحاول أن تنازعها في الجمال:

تَنازَعَها المَها شَبَهاً وَدُرُّ الـ
ـنُّحورِ وَشاكَهَت فيها الظِباءُ
فَأَمّا ما فُوَيْقَ العِقْدِ مِنْها
فَمِن أَدماءَ مَرْتَعُها الخَلاءُ
وَأَمّا المُقلَتانِ فَمِن مَهاةٍ
وَلِلدُرِّ المَلاحَةُ وَالصَفاءُ

جناس بارع

أما الشاعر الأموي جميل بثينة؛ فيفاخر بجمال محبوبته بثينة، ويقول في أبياته الملأى بالجناس البارع بين ألفاظها، إنها لو برزت في الضحى، فسوف تتيه بجمالها الذي لا يظهر أمام سحره جمال المها، ويعتقد أنها بعيونها الكحلاء الساحرة، تنحدر من سلالة المها، فكأن أباها ظبيٌ، وأمَّها

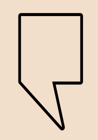
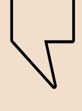
هي في الأصلِ مَها:

بُثَيْنَـــةُ تُـــزري بِالغَزالَـــةِ فـــي الضُحى
إِذا بَـــرَزَت لَـــم تُبـــقِ يَومـــاً بِهـــا بَها
لَهـــا مُقلَـــةٌ كَحْـــلاءُ نَجْـــلاءُ خِلقَـــةً
كَأَنَّ أَباهـــا الظَبـــيُ أَو أُمَّهـــا مَهـــا
دَهَتْنـــي بِـــودٍّ قاتِـــلٍ وَهـــوَ مُتلِفـــي
وَكَـــم قَتَلَـــتْ بِالـــوُدِّ مَـــن وَدَّهـــا دَها

تذكارُ الأحباب

ونظل في العصر الأموي، ولكن هذه المرة مع الشاعر ذي الرّمّة الذي تذكره المها، وهي ترعى بجوار ديار المحبوبة المهجورة، بأطلال مرابع حبه القديم الذي يحن إليه، ولم يبق من ذكراه سوى أطلال ديار المحبوبة، وأسراب المها التي ترعى حولها:

عَفا الـــزُّرقُ مِن مَـــيٍّ فَمَحَّـــت مَنازِلُه
فَمـــا حَوْلَـــهُ صَمّانُـــهُ فَخَمائِـــلُه
فَأَصبَـــحَ يَرعـــاهُ المَهـــا لَيـــسَ غَيرُهُ
أَقاطيعُـــهُ دُرَّاؤُهُ وَخَـــواذِلُـــه
يَلُحْـــنَ كَمـــا لاحَـــت كَواكِـــبُ شَتـــوَةٍ
سَـــرى بِالجَهامِ الكَـــدْرِ عَنهُـــنَّ جافِلُه

يمتلئ ديوان الشعر بأشعار استلهمت جمالها

بين الرصافة والجِسر

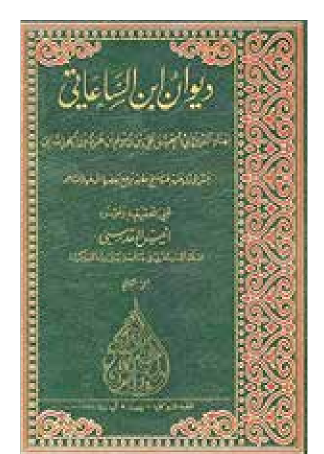
وننتقل إلى العصر العباسي، مع الشاعر عليّ بن الجهم الذي له قصة طريفة مع عيون المها الساحرة، التي خلبت لبه، وليَّنت طباعه، ورقّقت أحاسيسه، فكتب قصيدته الشهيرة، المملوءة بالجمال، والرقة، وهي من أشهر القصائد التي ورد فيها ذِكر المها، بعد أن كان يكتب قصائد بلون آخر.

ويقول في مطلع قصيدته:

عُيونُ المَهـــا بَينَ الرُّصافَةِ وَالجِسْـــرِ
جَلَبْـــنَ الهَوى مِن حَيْثُ أَدْري وَلا أَدْري
أَعَـــدْنَ لِيَ الشَّوْقَ القَـــديمَ وَلَـمْ أَكُن
سَلَـــوْتُ وَلَكِن زِدنَ جَمـــراً عَلى جَمرِ
سَلِمْـــنَ وَأَسلَـــمْنَ القُلـــوبَ كَأَنَّمـا
تُـــشَكُّ بِأَطـــرافِ المُـــثَقَّفَـــةِ السُمْرِ







وتشير علاقة ابن الجهم بالرُصافة، في هذه القصيدة إلى تغيّر رؤيته الشعرية، تحت تأثير انتقاله للإقامة في حواضر الحكم العباسية، وارتياده القصور فيها، حيث تأثر بجمال أبنية الحي ومناخه المدني الحضري. والرُّصافة أحد الأحياء القديمة العريقة، بمدينة بغداد، ويقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة، ويقابله على الجانب الغربي حي «الكَرخ»، ويربط بينهما الجسر- الذي ذكره ابن الجهم أيضاً في القصيدة - فقد تأثر بالجمال المحيط به من كل جانب، وهيجت بوجدانه معاني الغزل، والشوق الرقيقة؛ أسراب المها التي ترعى في ذلك المكان الساحر، فأنشد هذه القصيدة الرائعة، التي تعدّ من أجمل قصائد التغزل في سحر العيون، في تاريخ الشعر العربي.

لوحة بديعة

أما الشاعر العباسي السري الرفّاء، فرسم لنا في شعره لوحة بديعة، زاوج فيها بين إعجابه بعيون المَها، وافتتانه بعيون فتاة حسناء؛ فهو يقول إن ألحاظ الحسناء التي فتنته بجمالها، تشبه في سحرها ألحاظ المها التي روَّعتها النظرات المتطلعة لجمالها؛ فانثنت في سحر دلالها، تصيدُ من أراد صيدها، وحيرته بجمالها ، فأصبح لا يعرف هل ترنو إليه بعينيها الناعستين لأنها أصابها الوسَن، أم لا:

سَـــواءٌ عَلَيْنـــا وعْدُهـــا ووَعيدُهـا
إذا مـــا تَســـاوى وَصلُهـــا وصُدودُها
وقَفْنـــا وقدْ ريعَـــتْ مَها الحَـــيِّ فانثَنَتْ
تَصِيـــدُ بألْحـــاظِ المَهـــا مَنْ يَصـــيدُها
أَعَـــنْ وَسَـــنٍ تَرْنـــو إليَّ عُيونُـهـا
أَمِنْ سُـــكْرٍ مـالَـــتْ عـــليَّ قُدودُهـــا

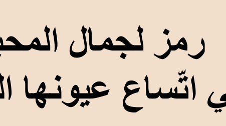
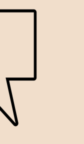
الطبيعة والترف

أما ابن الرومي، الشاعر العباسي الشهير، فشابهَ في هذه الأبيات بين الفتيات الحسناوات الصغيرات السن (الغرائر) والمَها في حُسنهن ورشاقة خطواتهن، كما أن جمالهن الفتان يشبه تحفز المها؛ لكنهن يختلفن عن المَها في أنهنّ يستعصين على الصيد، بينما يسهل صيد المَها:

غرائـــــرُ إلّا أنهـــنّ نَوائـــــرٌ
من الوَحْـشِ لا يَصطادُهـا نَبْلُ قانِصِ
يُلاعِبـنَ أشـباهاً لهـنَّ مـنَ المَهـا
ذواتِ سـخالٍ بينهـنَّ هوابـصِ

ونتنقل إلى العصر الأندلسي، الحافل بالجمال، والترف، وسحر الطبيعة، مع الشاعر عبد الغفار الأخرس، الذي يستعيد غرضاً شعرياً عربياً تقليدياً، شاع في العصر الجاهلي، وهو البكاء على الأطلال؛ فهو يحنّ إلى ديار محبوبته، ويريق الدمع على آثارها المندرسة، التي أخنى عليها الدهر، فشابه حالها حال الحر الأصيل، الذي يجور عليه الدهر، فاختفت من حولها كل معالم الجمال، بعد تهدمها، ورحيل المحبوبة، وأقفرت أرضها، ونفرت المها من مرابعها التي كانت خضراء، تزهو بالأماني:

هـــذهِ الـــدّارُ وهاتيـــكَ المَغاني
فَسَقاهـــا بِـــدمٍ أحْـمَـرَ قانـي
دَنِـــفٌ عَـبْرَتُـــه مِـهْـراقَـــةٌ
مِثْلَما أهْرَقَــتِ المـــاءَ الأواني
فـــي رُســـومٍ دارساتٍ لقِيَــتْ
مـا يُلاقـي الحـرُّ في هـذا الزَّمــانِ
نَفَــرَتْ أسـرابُ هاتيــكَ المَهـا
وذَوى مِـنْ بَعْدهـا غُصْـنُ الأماني



رمز لجمال المحبوبة
في اتّساع عيونها الساحرة

أما الشاعر ابن حمديس؛ فيقول إن الاستسلام أمام سهام عيون المها، هو الحل في مواجهتها؛ لأن الطعن بسحر المقل يختلف عن الطعن بالرماح:

مُلاعِبَ البيـضِ بَيْنَ البيضِ والأسَـلِ
تلاعبـتْ بـكَ حُـورُ الأعْيـنِ النُّجُـلِ
فَخُذْ من الرّمْـحِ في حرْبِ المَها عِوَضاً
فالطَّعْـنُ بالسُّـمْرِ غيْرُ الطّعْـنِ بالمُقَلِ

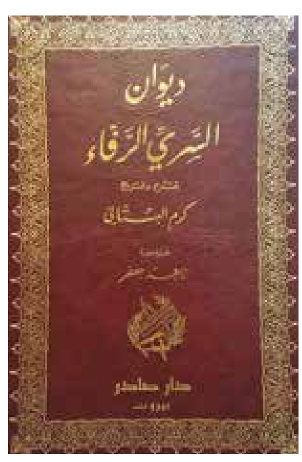
الموتُ بألحاظ المها

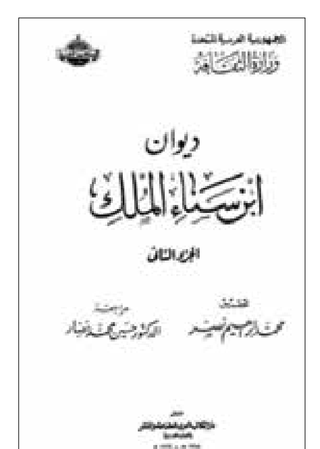
والشاعر عمارة اليمني يتخيّر الموت بألحاظ المحبوبة، التي تشبه في سحرها ألحاظ المها، ويطالب لائميه بتركه لما يختاره؛ لأنه هو المُضنى بالغرام:

عِنْـدَ ظبـاءِ الجَهْلَتيْـنِ ثـارُهْ
وبَيْـنَ أطنـابِ المَهـا عِثـارُهْ

مخطوط لشرح ديوان ذي الرمة







فـــلا ترقّـــا لِشـــكاةِ مُغْـرَمٍ
أســلمهُ إلـــى الضّنـــى اصْطِبارُهْ
تَخَيـــرَ الْمَـــوْتَ بألحـاظِ المَهـا
فخلّيـــا عنـــهُ ومـــا يَختــارُهْ

موكب الحسناوات

ونتنقل إلى العصر الأيوبي، مع الشاعر سبط التعاويذي، الذي يقارن بين جمال سرب المها، وموكب الفتيات الصغيرات الحسناوات، ذوات العيون النّجلاء، والقدود الممشوقة؛ فيقول إن سحر جمالهنّ يتفوق على جمال سرب المها، وإن كنّ يشابهن المها في بكارة جمالهنّ النقي، والوداعة:

سِـــربُ مَهـــا أمْ دُمـــى مَحاريـــبِ
أمْ فَتَيـــاتُ الحَـــيِّ الأعاريـــبِ
هَيْهــاتَ أيْــنَ المَهــا إذا اتَّصَــفَ الـ
ــحُسنُ مِــنَ الخُــرَّدِ الرَّعابيــبِ
إنْ شــابَهَتها فَفــي البَــداوَةِ والـ
أخْـلاقِ لا فــي الجَمـالِ وَالطيــبِ

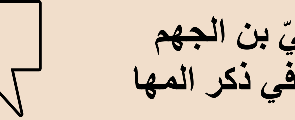
عيونها حالكة السواد
وعنقها مشرئب بالشموخ

ونبقى في العصر الأيوبي، مع الشاعر ابن عمرو الأغماتي، الذي يؤكد في أبياته الجميلة معنى بديعاً، وهو الاعتزاز بالمرأة العربية، وتفضيل بنات البدو العربيات على سائر البنات من الدماء الأجنبية؛ فجمالهنّ الطبيعي، غير المصنوع، لا يضاهى، وهنّ يتفوقن على غيرهنّ في الجمال، والنقاء، ويزدن على ذلك بنفوسهنّ الحرة الأبيّة، التي تحميها شهامة الرجل العربي:

مَها القَفْر لا دُميَةُ المَرمَرِ
وَفي العُرْبِ لا في بَني الأَصفَرِ
بِنفسي يَعافيرُ تِلْكَ الخِيام
وَمَسرَحُها في النَّقا الأَعْفَرِ
مَلاعِبُ يَصبو إِلَيْها الحَليم
وَيُسلَبُ فيها فُؤادُ الجَري
وَفيها الظِّباءُ بناتُ الأُسود
غَيارى متى بَغمَتْ تَزأرِ

أما الشاعر العمادُ الأصبهاني، فيروقُهُ من المها، ذوات القوام المشوق الرقيق، والخصور الهيفاء، والعيون الناعسة. وبالمثل يروقهُ من الحِسان ذوات القدود الممشوقة والعيون الوسنانة؛ ويقول إن سقم عيونها هو المصدر الوحيد لأسقامه وشقائه:

يَروقُني في المَها مُهَفْهَفُها
ومِنْ قُدودِ الحِسانِ أَهْيَفُها
ومِنْ عيونِ الظِّباءِ أَفْتَرُها
ومِنْ خُصورِ المِلاحِ أَنْحفُها
ما سَقَمي غيرُ سُقمِ أَعْيُنِها
ثُمَّ شِفائي الشِّفاهُ أَرشُفُها



قصيدة عليّ بن الجهم هي الأشهر في ذكر المها

سهام الألحاظ

أما ابن الساعاتي، فيعلنها صراحة، أنه لا فرار له من الوقوع في فتنة سحر عيون المها، وأن قلبه لا يتحمل سهام ألحاظها:

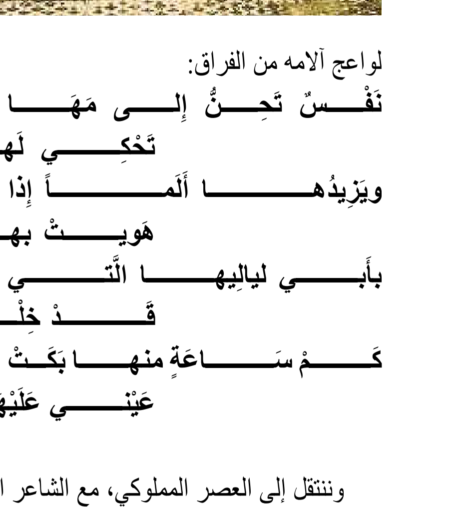
عُيونَ المَها ما لي بِسِحْرِكِ مِنْ يَدِ
ولا في فُؤادي مَوْضعٌ للتَّجَلُّدِ
رُويداً بِقَلْبٍ مُسْتَهامٍ مُتَيَّمٍ
ورِفْقاً بذا الْجَفْنِ القَريحِ المُسَهَّدِ
قِفي زَوِّدينا مِنْكِ يا أمَّ مالكٍ
فغيرُ كثيرٍ وَقْفَةُ المُتَزَوِّدِ

ونختتم جولتنا مع شعراء العصر الأيوبي؛ بهذه الوقفة مع الشاعر ابن سناءِ المُلك، وأبياته التي تفيض بالرقة وعذوبة الألفاظ، وجمال الجناس بينها، وهو يعبّر عن أشواقه إلى محبوبته التي تشبه المَها في جمالها، ويبثّها لواعج آلامه من الفراق:



الرصافة في بغداد في بدايات القرن العشرين





أحمد شوقي في إسبانيا

نَفْسٌ تَحِنُّ إِلى مَهَا
تَحْكِي لَها آلامَها
ويَزيدُها أَلَماً إذا
هَويتْ بها إلْمامَها
بِأَبي لياليها الَّتي
قَدْ خِلْتُها أيّامَها
كَمْ سَاعةٍ منها بَكَتْ
عَيْني عَلَيْها عامَها

وننتقل إلى العصر المملوكي، مع الشاعر ابن المقّري، الذي يستعطف المَها- التي ترمز بالطبع إلى الحسناء ذات العيون النجلاء - يستعطفها أن تردّ سهام عيونها عن نحره، لأنه لا يتحمل رشقها، ويدعوها لأن ترأف بقلبه الذي راعه ما في جفونها من سحر:

عُيونَ المَها رُدّي سِهامَكِ مِنْ نَحْرِ
فما لي على رَشْقِ اللّواحظِ مِنْ صَبْرِ
وأبقي على الصَّبِّ المُتَيَّمِ قَلْبَهُ
فقدْ راعَهُ ما في الجُفونِ مِنَ السِّحْرِ
رَمَتْني بِعَيْنَيْها فَلَمْ تُخْطِ مُقْتَلي
وما كنْتُ مِنْ ألْحاظِها آخِذاً حِذْري


محمود سامي البارودي


عبدالولي الشمري

أسلوب عذب

ونطير على بساط الشعر الجميل، إلى العصر الحديث، مع أمير الشعراء أحمد شوقي، وقصيدته الشهيرة «مال واحتجب» التي يعبّر فيها بأسلوبه العذب الفخم الأنيق المعتاد، عن جمال محبوبته؛ فيصف عينيها الواسعتين الناعستين الجميلتين، بأن لهما صلة نسب مع عيون المها، وهي صورة طريفة بلا شك:

مالَ وَاحتَجَبْ .. وَادَّعى الغَضَبْ
لَيْتَ هاجِري .. يَشْرَحُ السَّبَبْ
كُلَّما مَشى .. أخْجَلَ القُضُبْ
بَينَ عَيْنِه .. وَالمَها نَسَبْ

ونبقى مع أمير الشعراء، وقصيدته الشهيرة أيضاً «يا شراعاً» التي ذاعت شهرتها بعد أن غناها موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب؛ حيث تغنّى فيها بجمال نهر دجلة المنساب الذي يسبق بجريانه سريان الشراع في خضمّ مياهه، ثم يعرض لجمال غيد العراق، وعيونهن الفتانة، التي تشبه في سوادها، واتساعها عيون المها؛ فيطالب الشراع الساري في نهر دجلة بأن يتمهّل، ويمنح قلبه الأمان من فتنة تلك العيون التي تتوارى وراء غابات النخيل التي تنتشر حوله:

يـا شِـراعاً وَراءَ دِجْلَـةَ يَجْـري
فـي دُموعـي تَجَنَّبَتـكَ العَـوادي
سِـرْ عَلـى المـاءِ كَالْمَسـيحِ رُوَيْداً
وَاجْـرِ فـي اليَـمِّ كَالشُّـعاعِ الهادي
وَأْتِ قاعـاً كَرَفْـرَفِ الخُلْـدِ طيبـاً
أو كَفِـرْدوسِهِ بَشـاشَةَ وادي
قِـفْ تَمَهَّـلْ وَخُـذْ أمانـاً لِقَلْبـي
مِـنْ عُيـونِ المَها وَراءَ السَّـوادِ

أما شاعر السيفِ والقلم، محمود سامي البارودي، فيسترجع ذكرياته الحزينة، ومآسي الدهر التي ألمّت به، ويقول إنه - وإن فارقَ الديار - لكن فؤاده معلّقٌ بعيون المها الساحرة، التي تركت سهامها في فؤاده قبل مفارقة الديار، وأضنته بغرامها:

مَحَـا الْبَيْنُ مَا أَبْقَتْ عُيُـونُ الْمَهَا مِنِّي
فَشِـبْتُ وَلَمْ أَقْـضِ اللُّبَانَةَ مِنْ سِـنِّي

مخطوط شرح مجمع البحرين وملتقى النيرين - ابن الساعاتي

مخطوط عمارة اليمني

عَنَـاءٌ وَيَـأْسٌ وَاشْـتِيَاقٌ وَغُرْبَـةٌ
أَلا شَـدَّ مَا أَلْقَـاهُ فِي الدَّهْرِ مِـنْ غَبْنِ
فَـإِنْ أَكُ فَارَقْـتُ الدِّيَـارَ فَلِـي بِهَـا
فُـؤَادٌ أَضَلَّتْـهُ عُيُـونُ الْمَـهَا مِنِّي
بَعَثْـتُ بِـهِ يَـوْمَ النَّـوَى إِثْـرَ لَحْظَةٍ
فَأَوْقَعَـهُ الْمِقْـدَارُ فِي شَـرَكِ الْحُسْنِ

عمارة اليمني يشبه ألحاظ حبيبته بعيون المها

ونختتم تطوافنا مع عيون المها الساحرة، مع الشاعر اليمني عبد الولي الشّمري، الذي لا يتمنّى العذاب، والشقاء لمحبوبته التي تشبه المها، بالرغم من كل ما أذاقته من عذاب وشقاء:

إنَّ قَلْبـي لِلْهَـوى والوَصْـلِ حَـنُّ
أيْـنَ مِنّـي ذلكَ الظَّبْـيُ الأغَـنُّ؟
المَهـا لا عَـذَّبَ اللـهُ المَهـا
كَـمْ أذاقَـتْني عَذاباً وشَـجَنْ!



قصيدته تكشف التحوّلات العميقة بعلائق الحياة

أحمـــد الفـــاخـــري

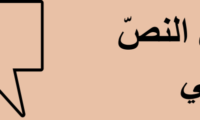
يروى «سِيرة الخُطى الغَرْقى»



لقد حاول الشعراء الحداثيون تجاوز نمطية الشعر التقليدي، بالقفز على المكوّنات الشعرية المثالية المستقرة للنصّ الشعري التقليدي، باشتغالهم على آليات جديدة لبناء نصّ شعري جديد، مخالف للبنى الشعرية السابقة، وهذا بإنتاج خطاب شعري مغاير لا يتوقف عند المستويات الدنيا لأفق انتظار المتلقي، بل تجاوزه إلى المساءلة والاتّكاء على النظرية الفلسفية، ونظريات علم الجمال والتلقي.



د. محمد صلاح زيد
مصر



الفضاء المتخيّل داخل النصّ الشعري افتراضي

وبناءً عليه، فإن قصيدة «سيرة الخطى الغرقى» للشاعر الليبي أحمد علي الفاخري - شأنها في ذلك شأن كل النصوص الشعرية الحداثية - تعتمد على إنتاج أسئلة مضادّة للأسئلة التقليدية التي تحدّد مضمار عملها في نصوص شعرية تقليدية أخرى، تؤخذ مكتملة ناجزة، مسلّماً سلفاً ببنائها الشعري المستقر، والمفاهيم والأدوات الفنية التي لا تخرج في أفضل الأحوال عن ثنائية البناء الشعري والصورة للقصيدة التقليدية.

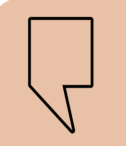
شعرية التخييل

تختلف القصيدة الحداثية وتتنوّع، عبر شعر تخيّلي افتراضي تتدافع فيه الذات الشاعرة والذوات الافتراضية بعضها خلف بعض، وتختلف معها بالطباع التركيبية النفسية والماورائية لكل ذات، من الذات الشاعرة، إلى بقية الذوات التي تشاركها المحكيّات الشعرية في بعض القصائد؛ وفي قصيدة "سيرة الخطى الغَرقى" للشاعر الليبي أحمد علي الفاخري، تقمّصت الذات الشعرية ذواتٍ عدّة أدخلت القارئ في دائرة يدور فيها حول نفسه، محاولاً فهم طبيعة تلك الذوات الأخرى، المشاركة لها في عملية إنتاج المحكيات الشعرية المتخيّلة المتداخلة والمركّبة وحقيقتها، ومن ثمّ يقف أمام هذه الافتراضات متأملاً حركة الصورة والمتخيّل الشعري فيها. إنها كتابة افتراضية احتمالية، تعكس نقلة حقيقية في تطور القصيدة العربية الجديدة شكلاً ومضموناً، وهي كذلك تسعى إلى تقديم صورة كاشفة لأوضاع الإنسان المعاصر التائه، وراصدة لتلك المتناقضات التي أصابته، والوقوف أمام تلك الشخصيات الإنسانية المعاصرة والمأزومة؛ لقد جاء هذا كلّه



داخل المقاطع الشعرية للقصيدة بمقدار متميّز من الفنية، عن طريق الشعر التخييلي المركّب غير المباشر. يقول الشاعر:

عَـنِ الحــرْبِ حَدِّثْنِي، ولكن سَــأَنزِفُ
ووعــداً ســأبْكِي بَعْدَمَــا تَتَوَقَّــفُ
تَعُـودُ كَجُنـدِيٍّ بِكَـمْ مـنْ خَسَـارَةٍ
تَــكَادُ أَسَــى الحَــرْبِ البَعِيــدَةِ تَألَــفُ
حَدِيــثُ المَسَــافَاتِ الَّتِــي لا تُعِيدُنَــا
حَدِيــثٌ بِلَيْلٍ ـ لــو تُصَــدِّقُ ـ أَجْوَفُ
جَلَسْــنَا، وَدَرْويــشُ المَكَانِ تَــرَدَّدَتْ
تَهَاوِيــدُهُ، والسَّــامعون تصوّفــوا


القصيدة تستوعب
أوضاع الإنسان المعاصر

إنّ الذات الشاعرة هنا، عين متجوّلة تنطق باسم ذوات شعرية أخرى مشاركة في المحكيّ الشعري السابق، مختلفة الهوية وتستحضر على سبيل الاحتمال. وهذا الانتقال من وضع إلى آخر ينقل التخييل من فضاء إلى فضاء ويجعل المتخيّل الشعري ذاته افتراضياً يكاد لا يستقرّ على خطاب واحد. كما أنه لا يحيل على معنى مباشر وصورة متخيّلة واحدة، وكذلك الصور والحكايات الشعرية داخل المتخيّل الشعري الواحد للمقطع؛ فمن مناجاته للذات الشاعرة المتخيّلة والمشاركة معه للحديث عن نزف الحرب وويلاتها، تلك الحرب التي قد تكون حقيقية، وقد تكون ترميزية إسقاطية. نتيجة لذلك تظلّ الرمزية في القصيدة متنقلة أيضاً وأقرب ما تكون إلى ملحمة شعرية متصلة بالمَحكيّات الشعرية والصور المتخيّلة، المتناسلة عبر تبدّل الذوات الشعرية التي تتقمّصها الذات الشاعرة الواحدة – المتعددة؛ يقول الشاعر:

لِــي مَقْعَــدٍ مِــنْ وَحْــيِ أَفْكارِنَــا مَعاً
وَفِــي شــارِعٍ بالذِّكرَيــاتِ سَــنَرْصُفُ
يُحِيــطُ بِنَــا سُــورُ الخَيَــالِ فَــلاَ نَرَى
لِأبْعَـدَ مِـنْ شَـكٍّ تُغَطِّيــهِ أَسْــقُفُ
نَوَافِذُنَــا الكَسْــلَى يُفَتِّحُهَــا شَــذى
القديــمِ، فتَصْحو، وهي كالــوردِ تَتْلَفُ
تُبَادِلُنَــا الأَبْــوَابُ كُــلَّ تَجَهُّــمٍ
لأَنْ يَطْـرُقَ الأحبَــابُ كَــمْ تَتَلَهَّــفُ
نُذكِّــرُ جُدْرَانــاً تَهَــاوَتْ بِشَــكْلِهَا الـْ
ــقَدِيمِ، ومِنْ كأسِ المَجَازَاتِ نَرْشُــفُ

إن احتمالية التخييل الشعري هنا تستمد صورتها من واقع خارجي، ومن نماذج دارجة في الحياة اليومية ممزوجة بالتخييل الشعري (لي مقعد – في شارع بالذكريات سنرصف – يحيط بنا سور – تغطيه أسقف – كالورد تتلف – جدران تهاوت)؛ غير أنّ الشاعر يتنقل بينها مفترضاً في كل مرة، أنه أصبح متقمصاً إيّاها، وكأنه عايشها حقيقة، أو هكذا يسعى، ومن ثمّ يصبح الاحتمال متصلاً بإمكانات التخييل المتعدّدة ضمن سياقات الواقع، لكنه واقع لا يخلو من التخييل الممزوج بكل تفاصيله؛ وبذلك تغدو الحكاية الشعرية أساساً للتخييل.

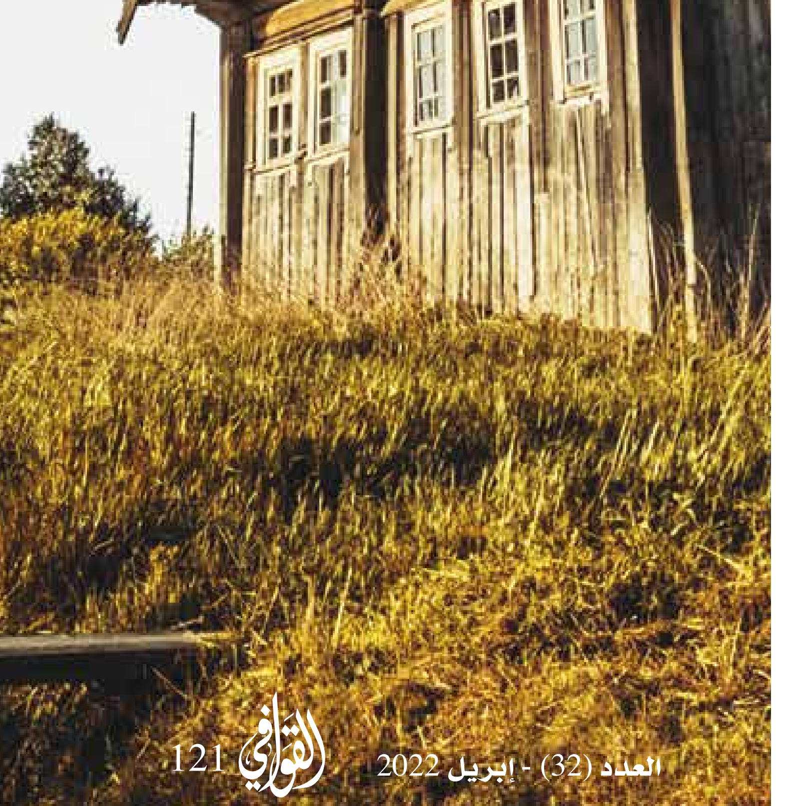




إن قصيدة "سيرة الخطى الغَرقى" تتّخذ شكل تداعيات مسترسلة داخل ذهن الذات الشاعرة، التي تنتحل لنفسها حضور أناس كُثُر، يشاركونها الحكايات الشعرية المتداخلة داخل القصيدة، كذلك تُسعف الكتابة المكثّفة لها على توفير إيقاع متناغم يحوّل النصّ الشعري إلى حوارية بين الذات والذات، وبينها وبين العالم الخارجي، وما يستثيره الوجود من أسئلة متداخلة من هنا ومن هناك، تناقش أغوار النفس الإنسانية؛ حضورها، وتلاشيها، انكسارها، وتشتتها، هزائمها، وربما تطلعاتها. وتضطلع اللغة الشعرية فيها، خاصة في المقاطع الأخيرة، بوظيفة المجاز الشعري إلى جانب الترميز والإسقاط والالتباس المكتنز لأكثر من دلالة، بل دلالات متداخلة مركبة؛ يقول الشاعر:

وَكُنَّــا نُــدَاوِي بالحِكَايَــاتِ والــرُّؤى
ثُقُــوبَ المَبَانِــي كُلَّ حِيــنٍ ونُسْــعِفُ
لِيَحْمِــلَ كُلُّ النَّازِحِيــنَ غِيَابَهُــم
خِــلالَ طَرِيــقِ اليَــمِّ يومــاً لِيُنْصَفُوا
كذلِــكَ قَالَــتْ جَدَّتِــي حِيــنَ أودَعَــتْ
صَلاَوَاتِهَــا للــهِ، واللــهُ أَلطَــفُ
بَــدَا اليــمُّ بالأعبَــاءِ ضــجَّ، كَأنَّــهُ
سَــلِيلٌ لِطُوفــانِ الفَنَــاءِ، مُكَلَّــفُ
بَــدَا وَادِعــاً، مِنْ بَعْــدُ، يُبْدِي قَدَاسَــةً
وَيَنشَــقُّ بَعْــدَ المُعجِــزَاتِ ويَلطُــفُ

الحكاية الشعرية بكل
تفاصيلها أساس التخييل





من هذه الزاوية يمكن عدُّ المقطع الشعري السابق محكياً شعرياً يكشف مقصدية الشاعر ذات الطابع الإنساني المتاهي، الذي يسعى به الشاعر إلى مداواة ثقوب المباني المهدّمة والملأى بالأنقاض والذكريات الأليمة؛ تلك الحكايات التي قد تجبر بعض آلام النازحين والمصابين المحمّلين بالغياب خلال طريق اليمّ، آملين يوماً في الإنصاف، حتى دعوات الجدّة لله حين أودعت صلواتها إياه، وكلماتها كانت تتحدث عن ذلك اليمّ المملوء بالأعباء، الذي بدا كأنه سليل مكلف لطوفان الفناء والتلاشي للإنسان المهزوم البائس، الذي نكلت به الحرب، حرب الواقع وحرب المجاز؛ فالنصّ بصوره ومتخيّله الشعري، وبتوجهاته التجريدية ولغته المكثفة، الموحية، يتوخّى ملامسة أسئلة وجودية تتّخذ من حَيَوات الناس ومصائرهم المأزومة والمهزومة وسيلة لطرح شروط الحياة المتأرجحة بين الظلم والعدالة، الحضور والغياب، البقاء والانعدام والتلاشي، لقد جاءت المتاهة الشعرية التخييلية داخل المقطع الشعري السابق، نتيجة اختبار لاختبارات متعددة متوالية للذات في صور الآخر المتعدد والمتباين، كأنّها محاولة تشريحية تفكيكية تبدأ من الجزء لتصل إلى الكل، لكنها ما تلبث أن تستقر على تأكيد ذاتيتها التي تحدث من تحقق هويتها من داخلها، منطلقة من التشظّي والتشتّت والسديم النفسي بحثاً عن التائه المرشد الغائب عنها، فبدت الحياة بذلك متاهة كبرى.

إن القصيدة جاءت لترصد تناقض النفس البشرية، والصراع الكامن فيها بين الخير والشر، وهزيمة الذات وانكسارها، ومتاهات الحيرة والبحث عن تلك الذات الغائبة والاغتراب والتيه بين حقيقتي الموت والحياة. لقد تصاعدت الحكاية الشعرية داخلها في بيئة حقيقية ونفسية متخيّلة متوتّرة رافضة لعبث الحياة من حولها، فطرح الشاعر عبر تلك الحكايات الشعرية المتداخلة، هموم الذات الإنسانية، ممزوجة بتجربة الحياة إنسانياً وأسطورياً؛ لقد تأثرت الذوات بكل الصور من حولها، فتارة تسعى للتخلّي عن فوضويتها، وتسعى للخلاص والاندماج شيئاً ما، وتارة أخرى يكون التعثر والقلق؛ يقول الشاعر:

بَـــدَتْ يـــا غريـــبُ الأغنياتُ شـــريدَةً
يَهيـــمُ بِهَـــا أَعلَـــى الأُلِمْـــبِ ويُرْهِـــفُ
سُـــتُخْبِرُنِي كَيْـــفَ الرِّيـــاحُ تَنَاحَـــرَتْ
وباسْـــمِ أَريـــسِ الأَرْضُ بالطِّينِ تَرْجُفُ
رِهَـــانُ المَســـاءاتِ الأخِيـــرَةِ حَالِـــكٌ
لأنَّ الّـــذي لا يَقْتُـــلُ اليـــوْمَ يُضْعِـــفُ
وأنَّ الحَيَـــارَى قَـــدْ يَـــرَوْنَ خَلاصَهُـــمْ
بِمَـــنْ فِـــي يَدَيْـــهِ الآنَ قَيْـــدٌ ومُصْحَفُ
وأنَّ الخُطَـــى الغَرْقَى بِكلِّ شَـــوَارِعِ الْـ
ـــخَسَاراتِ كَـــمْ فَـــي خطوِهَا تتأسَّـــفُ
وَمَـــنْ قَدَّمُوا الطَّاعَاتِ لَيْسُـــوا لِوَحْدِهِمْ
سَيمْشُونَ فِي الفِرْدَوْسِ، إنْ كُنتَ تَعرِفُ

الشاعر عبّر بقوة
عن هموم الذات الإنسانية





في المقطع الشعري السابق، طرح الشاعر بتلك الحكايات الشعرية المتداخلة هموم الذات الإنسانية ممزوجة بتجربة الحياة إنسانياً وأسطورياً؛ فتلك الأغنيات بدت غريبة شريدة يهيم بها أعلى جبل الأولمب، في إشارة منه إلى ما وصل إليه الإنسان من مظاهر تتعلق بالحياة، وأخرى تتعلق بالتعثر والقلق والفناء والتشريد، تشي بها بعض الحكايات الأسطورية والدلات الرمزية، المتمثلة في استحضار جبل الأولمب، وما يقبع عليه من حكايات أسطورية قديمة كثيرة ومتباينة. ثم يتساءل عن كيفية تناحر الرياح، كذلك كيف ترتجف الأرض بالطين. لقد تأثرت الذوات بكل الصور من حولها، فتارة تسعى للتخلّي عن فوضويتها، وتسعى للخلاص والاندماج شيئاً ما، وتارة أخرى يكون التعثّر والقلق.

وأنَّ الحَيَـــارَى قَـــدْ يَـــرَوْنَ خَلاصَهُـــمْ
بِمَـــنْ فِـــي يَدَيْـــهِ الآنَ قَيْـــدٌ ومُصْحَفُ

لكنه ينتهي في نهاية القصيدة إلى اللاشيء.

ختاماً؛ جاءت القصيدة كاشفة لهذا التجدد السالف الذكر، حيث يتجلّى أساساً في اللغة والشكل ونوعية التخييل، وبقية مكونات النص التي يعتمدها الشاعر وتستوعب التحوّلات العميقة المتصلة بإدراك العالم، من أجل إيجاد عناصر أقدر على تمثيل صيرورة العلائق ومستجدات الحياة داخل النص الشعري الجديد.



غيم للوطن



محمد المحبوبي
موريتانيا

ضَـوءانِ فـي ظلِّـي ونَحْـنُ نَحارُ
هَـلْ فـي طُفوقِ المـاءِ تَغْفـو النَّارُ؟

أنـا فـي زَمـانِ الرّاحِليـنَ قَصيـدَةٌ
خَضْـراءُ تَكْتُـبُ شَـوْقَها الأسْـفارُ

رافَقْـتُ أطْلالَ السَّـديمِ، وزَوْرَقِـي
رَقَصَـتْ علـى أنْغامِـهِ "عَشْـتارُ"

الْخَيْـلُ والرَّايـاتُ لِـي، وأنـا الّذي
زَرَعـتْ سَـنابلَ نَـاريَ الأنْـوارُ

لَنْ أخْـدِشَ الأزْهـارَ، هَـذي طِينَتي
مَهْمـا تَقـاذَفَ حُلْمِـيَ الإعْصـارُ

آمَنْـتُ بالْوَطَـنِ الْحَريـقِ مُنَمْنَـمَ الـ
ـجنّاتِ تَجْـري تَحْتَـهُ الأنْهـارُ

آمَنْـتُ بالإنْسـانِ فيـهِ مُونِقـاً
يَسْـتَظْهِرُ اللَّيْـلاتِ وهـيَ نَهـارُ

يَخْطـو إلى رُؤيـا السَّـماءِ ويَنْتَمي
لِلْغَيْـبِ تَرْسُـمُ سِـحْرَه الأقْـدارُ

وَطَـنٌ مِنَ الْوَجَـعِ الشّـفيفِ مُقَدَّسٌ
تاريخُـهُ الكَلِمـاتُ والأعْمـارُ

سـاموهُ سُـوءاً حينَ حَادَتْ نَسْـمَةٌ
عَـنْ شَـطِّها وتَغَـرَّب النُّـوّارُ

يا بَحْـرُ، هَلْ تَطفو الصَّباحَةُ يَنْتَشـي
الشَّـطُّ المُسَـجَّى تُزْهِـرُ الأسْـرارُ؟

الْحُـزْنُ يَبْعَـثُ لِلْعُـروجِ مَرامَنا الـ
ـغافي فَتَخْفِـقُ بالشَّـذا الأبْصـارُ

هُو بَـدْءُ عَصْـرِ النُّورِ يَغْسِـلُ إثْمَنا
هُـو حُبُّنـا الْمَعْطـوبُ حيـنَ يَغـارُ

يا أَرْضُ.. جُرْحُ بَنيـكِ غنّى مُخْبَـتاً
وتخضّبـتْ بشـجونِها الأحْـرارُ

قولـي لِـكُلِّ الرّاحليـنَ: دُروبُنـا
حَيْـرى ولَكِـنَّ الإبـاءَ قَـرارُ

ربيع

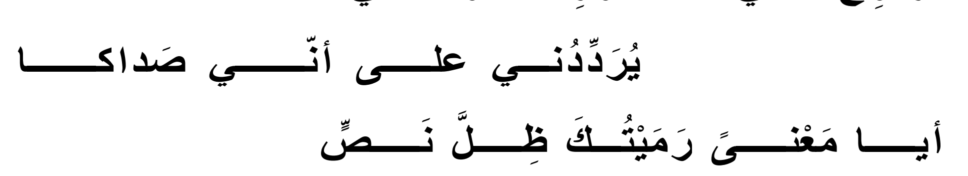

أحمد الجميلي
مصر

ربيـــعٌ ... حينَ يَغْـــزو الوَجْـــدَ عَزْفُ
فتَصْفــو النَّفْـــسُ والأرْواحُ تَصفــو
وتَبْتَهــلُ الطّبيعـــةُ لَحْــنَ ضَــوْءٍ
إلــى غَرْقــى الْحيـــاةِ بِهـــم ويَطْفـو
نَــرى الأحْــلامَ تُجْلَــى، حَيْــثُ نَرْقى
ويَرْفعُنـــا إلـــى رُؤيـــاهُ كَشْــفُ
سَــلالمَ نَحْــوَ غَيْــمٍ مِــنْ مَعــانٍ
يُقرِّبُنـــا لَهـــا حَــرْفٌ فَحَــرْفُ
لتوصِفَنـــا .. فَنــزدادُ امِّحـــاءً
فــإنّ خِيانـــةَ المَوْصــوفِ وَصْــفُ
إذا مالَــتْ بنـــا الدُّنيـــا وَقَفْنـــا
لنعدِلَهـــا، ومَهْمـــا زادَ زَيْــفُ
سَــنَبْحثُ عــنْ كُهــوفِ الحُــبِّ حتّى
يُجَمّعَنـــا مـــعَ الأحْبـــابِ كَهْــفُ
فإنَّـــا غامِضـــونَ مـــعَ المَرايـــا
وإنَّـــا واضحـــونَ لِمــنْ يَشِــفُّ
لَنـــا فـــي الـــوَرْدِ فَلْســـفةٌ ومَعْنـــى
فنِصْـــفٌ شـــوكُهُ وشَـــذاهُ نِصْــفُ
ولكـــنَّ النَّـــدى فينـــا طِبـــاعٌ
يَجِـــفُّ العاشِـــقونَ ولا نَجِـــفُّ
رَبيـــعٌ .. بَعْـــدَ هـــذا البَـــرْدِ يأتـــي
لِتهـــدأَ رَجْفَـــةٌ ويَغيـــبَ خَـــوْفُ
يُرتِّبُنـــا نَســـيمٌ مِـــنْ دُعـــاءٍ
لِيُجْلِسَـــنا ببـــابِ اللـــهِ رَفُّ
فَضـــاءٌ.. مُنتهـــاهُ: لا أمـــامٌ
سَـــنَتبعُهُ ولا فـــي الخَلْـــفِ خَلْــفُ
سِـــوى الأشـــعارِ نرْفَعُهـــا جميعـــاً
صـــلاةً حيثُمـــا يَشْـــتدُّ نَـــزْفُ

خدُّ الكناياتِ



إينانة الصالم
سوريا



أُحاولِكَ ارْتكاباً سَوْفَ يَحْيا
على خَدِّ الكِناياتِ ارْتِباكا
كَزَقْزَقَةٍ تُلَمْلِمُها لُغاتٌ
وتُفْلتُها طُيوراً في رُؤاكا
أراوِغُ في حُضورِكَ صَوْتَ أنّي..
يُرَدِّدُني على أنّي صَداكا
أيا مَعْنىً رَمَيْتُكَ ظِلَّ نَصٍّ
فَغالبَني ولَمْ يُدْرك سِواكا
يُسائلُ عَنْ مَدى عَيْنَيْكَ لَحْظي
لِتَنْطقَ دَمْعَتي: قَلْبي مَداكا
على أُفُقِ المَرافِئ خَلْفَ وَهْمي
تُسَرِّبُكَ الرُّؤى مِنْ مُنْتَهاكا
أيَمُّكَ مَنْ يَضُمُّ حَصاةَ رُوحي
أمِ الْبَحْرُ الذي فِيَّ احْتَواكا؟!

فَتَأتي والقَصيدةَ قِيدِ شَفٍّ
لألْقاني بِمَنْ ضَمّتْ يَداكا
تفلَّتَ مِنْ دَمي ضَوْءٌ قَصِيٌّ
ينجِّمُ ما على صَمْتي تَلاكا
ويَسْحَبُني مِنَ الوَعْي المُكَلّا
إلى بَرْدِ التّفَكُّرِ في هُناكا
أمَا مِنْ عارِفٍ بَيْني وبَيْني
يُحيلُ القَوْلَ ما حَرْفي اسْتَواكا
يُكَوْثِرُ في الْتِفافِكَ حَوْلَ ضَوْئي
فِراشَ تَدَرْوُشٍ هامَ اشْتِباكا
فأيْنَ أنا؟! يُراوِدني التَّجَلّي
ويَنْسِبُني إلى خَدَرٍ طَواكا
ويَغْرِفُني عِناقُ اللّيْلِ كَأساً
لِيَسْكُبَني ازْدِحاماً في دِماكا
بِنَخْبِ الهاربين إلى فَمي اسْـ
ـتَقِيني الآنَ ريقاً مِنْ لَماكا

يرسّخ حنين البدوي وتقاليده في نصوصه

حسن عامر..

يطرق باب العزلة في «قيلولة الراعي»



ما هو الشعر إذا لم يدهش سامعه وقارئه؟ فعلى الشاعر أن يجتهد لابتكار بواعث الدهشة في الصورة والفكرة والأسلوب، وكيف بنا بالشعر الذي يثير الدهشة مرة تلو المرة مهما تردد على أسماعنا!





د. عبدالله الحريري
سوريا

الشعور بالوحدة يسيطر على قصائد الديوان

كنت منهمكاً بالكتابة على حاسبي المحمول عندما سمعت شعره لأول مرة، فتوقفت عن الكتابة من فوري وكان قد وصل إلى قوله:

إذا صَدَقَتْني غيمةٌ ما بَكيتُها
وهلْ روحي الصّحْراء إلا شُجونُها
أسمّيكَ يا قلْبي تطلّع نَخْلةٍ
إلى جِذْعها المُلْقى وأنتَ أنينُها
وأخْرجُ منْ لَيْلِ الحَضاراتِ شارداً
أكادُ إذا لاحَتْ حَصاةٌ أكونُها

وحين وصلتني مخطوطته «قيلولة الراعي»، وقفت كثيراً مع عنوانها قبل أن أغوص فيها؛ الراعي يأخذ قيلولته، تخيلت بادية وشبابة وغطاء من الصوف والكثير من الأغنام بأجراسها المصوتة، يا ترى ماذا يخبّئ هذا الأسمر/ الراعي في كيس قيلولته من أحلام؟ ومن يقصد بالراعي؟

إنه حسن عامر، المصري الجنوبي الذي يقول عن نفسه: ابن الجنوب القاسي وحادي مسير النهر في الوادي.

يختار حسن عنوان قصيدته الأولى «قيلولة الراعي» عنواناً لمجموعته كلها على اختلاف مواضيعها، وأرجعت ذلك إلى حنين البدوي إلى تقاليده خصوصاً وهو يتقمص شخصية الراعي في مواراة لأفكاره المضطرمة المضطربة، لكن سرعان ما يشي مطلع قصيدته عن راع مختلف، إذ لا بادية ولا شبابة ولا أغنام، إنه راعي فكرة مجهولة يبحث عنها طويلاً دون أن يجدها، فهو تائه حد الضياع، غبار يغشي عينيه، فلا يرى، ابن أرض الفراعنة هذا يرفع راية تيهه ويقربها، داحضاً المقولة الواردة في القرآن الكريم على لسان أجداده (ما أريكم إلا ما أرى)؛ حسن يُرجع كل ذلك إلى ضياع القرى/ الوطن فيقرر الهرب، ويمضي الوقت لا لشيء، فقط ليعبر



الوقت، فتشي صورته بما يتحاشى التصريح به من وضع عام في بلاده أو في الأرض عامة:

رأيتُ كأنَّ الأرْضَ
تسقطُ منْ يَدِي،
فعنْ أيِّ شيءٍ كنتُ في الرّيحِ أبْحثُ؟
غُبارٌ
كأنَّ الرّملَ أنْكرَ نفْسَهُ
وليْلٌ مَريضٌ،
وانتظارٌ ملوّثُ
أنا لا أُريكم أيَّ شيءٍ،
ولا أرى
أنا راعٍ امتدّت بهِ الأرضُ أشْعَثُ

في ثماني عشرة قصيدة – لعلي أسمّيها طبقة - يقدم حسن مجموعته، وأقول طبقة لأني استشعرته ينقب في عميق نفسه بإزميل مجتهد يسعى إلى الحقيقة دون هوادة، فيمر في أرجائها الوحيدة واليابسة، يخلع باب كل شيء ليواجه كل شيء، لذلك تقل الضمائر وتغلب الـ (أنا) في مونولوج ملحمي صارخ؛ إنها في صراعها لولادة أخرى أكثر حقيقية مما هي عليه في وعيه لها وفي وعي الآخرين كذلك، وراوحتْ أناه بين الدون والنرجسية، حيث بدأ بأنا عمياء ضالة بقوله:

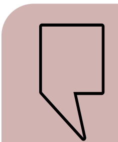
أنا لا أريكم أيّ شيءٍ ولا أرى

ثم انتقل في قصيدة «صورتي في الماء» إلى أنا مادية جافة غير حالمة، كأنها تنكر الشاعر هاربة من قلقه وأسئلته الملحة:

أنا باخْتصارٍ شديدٍ أنا
لا دَمي كانَ نَهْراً
ولا ريشةٌ في جَناحِ الطيورِ يَدي
ولَمْ أمْتحِنْهُ
ولَمْ يمْتحنّي غَدي
ولستُ بِمُنتظرٍ أيَّ شيءٍ:
أنا مَوْعدي

وأصدقه، وهو في حاله تلك، إذ يشعر بالضآلة بعيداً عن ذاته الشاعرة، كأن لا وجود له فلا يتذكره أحد أو ينتبه لغيابه، وهل بإمكان الشاعر أن يكون إلا شاعراً؟ فيكمل في القصيدة نفسها:

أنا بائسٌ مثلُ صَفْصافةٍ حَوْلَ النّهْرُ مَجراهُ عَنْها،
بسيطٌ كقطرةِ ماءٍ يُناولها النّهرُ للساقية



قصيدة «في ظل صخرة»، توحي بالانفراد والتأمل


حسن عامر يتوسط إياد الحكمي وعبدالله عبيد

في بحثه هذا يكون حسن وحيداً، وحيداً حدّ العزلة، في بؤرة مظلمة لا شمس فيها ولا نجوم ولا أصدقاء ولا حبيبة، يقول في قصيدة «أن أتجلى على هيئتي»:

وكنتُ أحِسُّ بشيءٍ، ولا أبْصِرُ
كأنَّ عُزلةً باتّساعِ المَجرّاتِ في نَفْسها تكبُرُ

لكن عزلته الموحشة هذه كانت باعثاً لأسئلته، ودافعاً لبحثه عن ذاته، إنه يريد لشيء ناقص أن يكتمل قبل أن ييأس، يريد ناراً يشعلها لينهي هذه الظلمة في داخله، ولا يجد سبيلاً في النهاية غير إيمانه بنفسه، فيكمل في القصيدة نفسها:

أكانتْ ملامحُ وجْهي تفتّشُ عنْ نقْصِها في المَرايا؟
وهلْ كنتُ أزْحفُ في صَرْخَتي
أم أفتّشُ عَنْ حَطَبٍ يابسٍ في شُرودي
لأوقظَ ناري؟
لَقَدْ كُنْتُ وَحْدي
وكانَ عليّ لآنسَ بي أنْ أصَدّقَ نَفْسي
وأنْ أتَجَلّى على هَيْئَتي

وشعوره بالوحدة والعزلة يكاد يعم كل قصائد مجموعته، ولعله يكون صفة أصيلة فيه، فهو حزين دائماً، وتكثر لذلك الشواهد: كقوله على سبيل المثال لا الحصر:

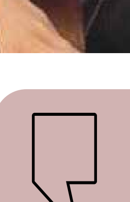
ورُوحي معلّقةٌ في غُباري







حسن عامر وأحمد بخيت في بيت الشعر في الأقصر



تظهر الحبيبة في القصائد فيبدو مكسور القلب

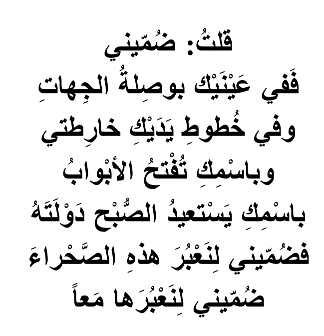
فمن حيث ظنّ أن الحقيقة تريحه، كانت تورطه في عزلة الشاعر الذي لا يمشي على هدى أحد، لكنه يشقّ طريقه الخاص، ويعمّق إيمانه بنفسه، وهذا ما نجده في قصيدة «في ظل صخرة»، فالعنوان يوحي بانفراد وتأمّل، سينتج فكرة تهدئ الشاعر بقصيدة، هذه المعاناة المتكررة نحو فكرة وقصيدة جديدتين تدربانه على وحدته وحزنه الذين يصبحان مصدر إلهامه، وهنا يعرف حسن أناه بثقة:

أنا سَفَرُ الرّيحِ في عُمْرِ صَحْرائها
لا دمٌ أقْتفيهِ أو أثرٌ أو خِيامْ
أُصدّقُ حُزْني ولا أدّعيه،
وأُصْغي إلى جَسدي في الرُّخامْ
ولا بَيْتَ لي إنّني أهلُ نَفْسي
على جَبلٍ في خَيالي أنامْ

ولا تغيب الحياة عن مسيرة بحثه في نفسه، فعلى مرآتها تنعكس قضايا عدّة، منها الوطن، حيث لا تنفرد قصيدة خاصة به، لكنه ينبت هنا وهناك في صحراء حسن الشاسعة؛ في جميعها يبدو حزيناً على حال بلاده، فيقول في «قيلولة الراعي»:

وأعْرِفُ عَنْ لافتاتِ البِلادِ
وعَنْ عَجَلاتِ القطاراتِ ما أكْتفي في البُكاءِ به يا صَديقي
وأعْرِفُ وَجْهَ عَدوّي
وأعْرِفُ مَوْضِعِ طَعْنتهِ الآتية
ويرفضُ الحربَ من حوله في حس أقرب للإنساني، فيقول:
وأحْلُمُ لا بالمَراكبِ في خاطِرِ الماء
بلْ بالرّصاصِ يقُصُّ الخَرائط
أو يَمْنحُ الأرْضَ ذاكرةً
وحُدوداً مِنَ النّار

بينما يفرد قصيدة للإسكندرية، ابنة رغبة الماء والنتيجة الحتمية لزوبعة البحر حيث تتجلى في مدينة، وفي هروبه من وطن قاسٍ ضائع القرى لا يرى في الاسكندرية وطناً بقدر ما يرى حبيبة حنونة تحبه وتأخذ بيده وتهديه الأسرار ومفاتيحها:



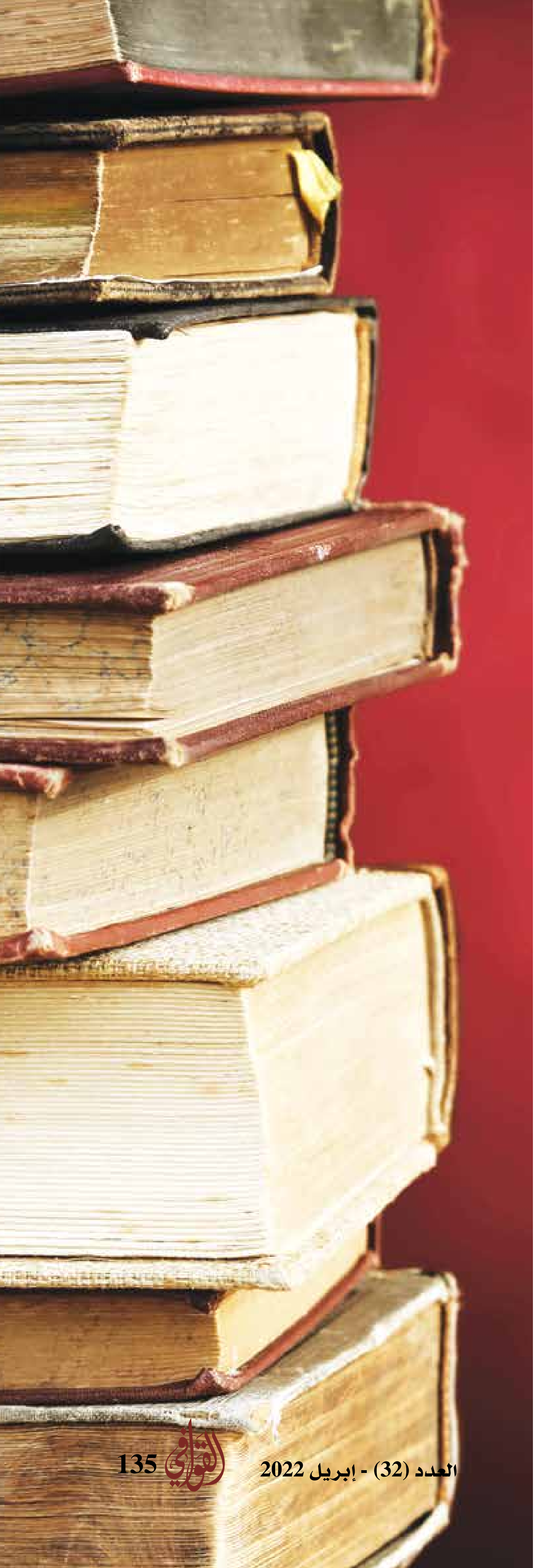
قلتُ: ضُمّيني
فَفي عَيْنَيْك بوصِلةُ الجِهاتِ
وفي خُطوطِ يَدَيْكِ خارِطتي
وباسْمِكِ تُفْتحُ الأبْوابُ
باسْمِكِ يَسْتعيدُ الصُّبْح دَوْلَتَهُ
فضُمّيني لِنَعْبُرَ هذهِ الصَّحْراءَ
ضُمّيني لِنَعْبُرَها مَعاً

وكذلك تظهر الحبيبة في المجموعة، الحبيبة التاركة المحزنة، والمتروكة الحزينة، وفي كل حالاته يبدو رقيقاً مكسور القلب، وتظهر هنا (أنا) متعبة تبحث عن حب من شروطه أن يظل مفقوداً لأنه (لا يريد لقصيدته أن تنتهي)، كما هو مطلع قصيدة «زمن مؤجل لاثنين»:

لِكَيْلا تَذوبَ المَصابيحُ في زَيْتِها،
أو تَضلَّ الشّوارعُ سَهْواً طَريقَ البُيوتِ البَعيدَة
على الْوَقْت أنْ يَتْرُكَ الْوَقْتَ في حَالِهِ
أو يُعيدَه
ولَيْسَ على شاعرٍ أنْ يُتِمَّ القَصيدَة

تعج المجموعة بملامح نفسية مشحونة ومتباينة، فهو غريب عن زمن يصفه بالمفتعل وليس زمانه وكل شيء فيه يعاكس رؤيته، ولعلّها مشكلة كل الشعراء في هذا الزمن، إلّا أن حسن يصوغ ذروة يأس انتحارية ويقدمها للقارئ دون رحمة.

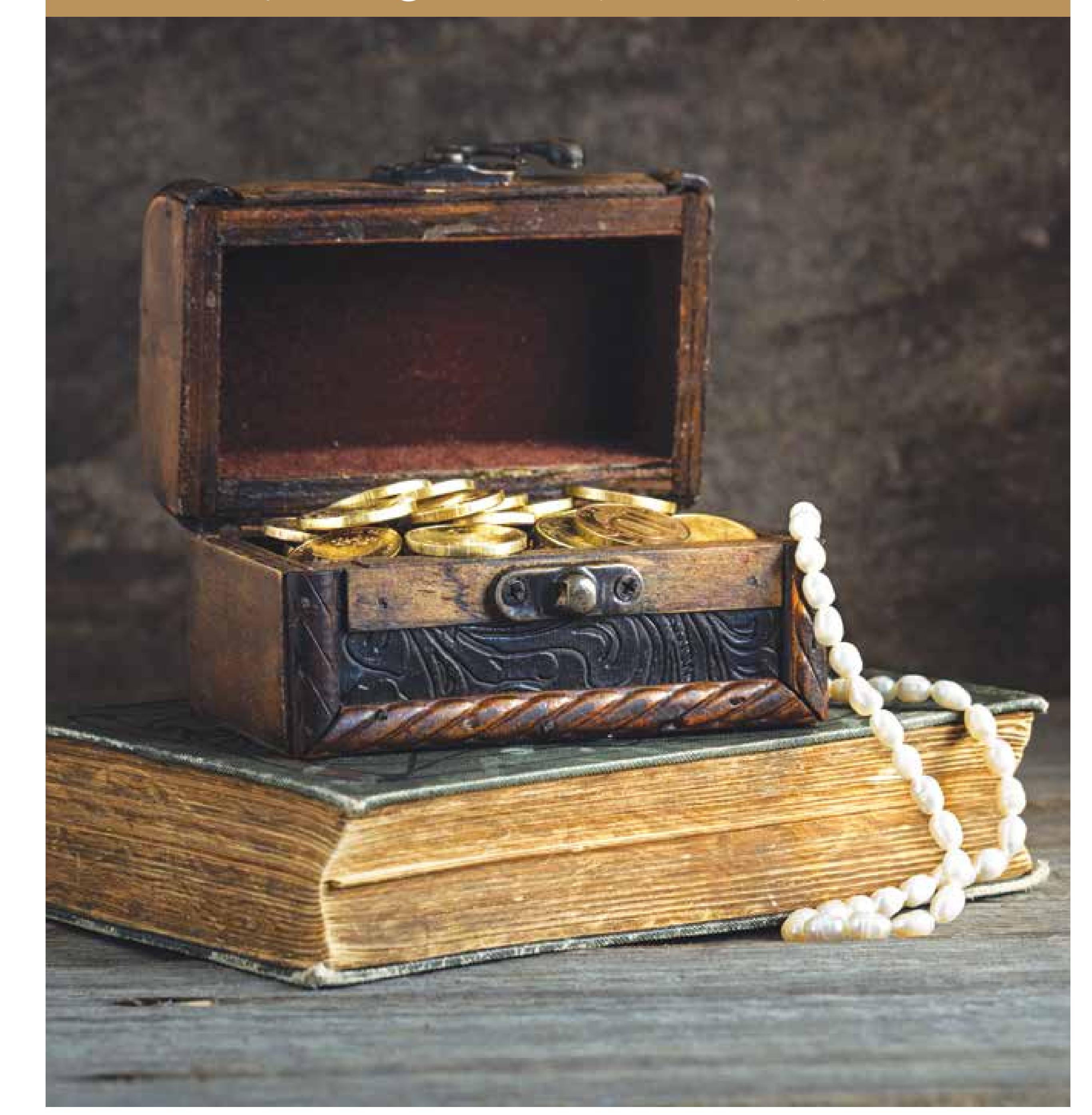

ومع الشاعر عبدالمنعم حسن

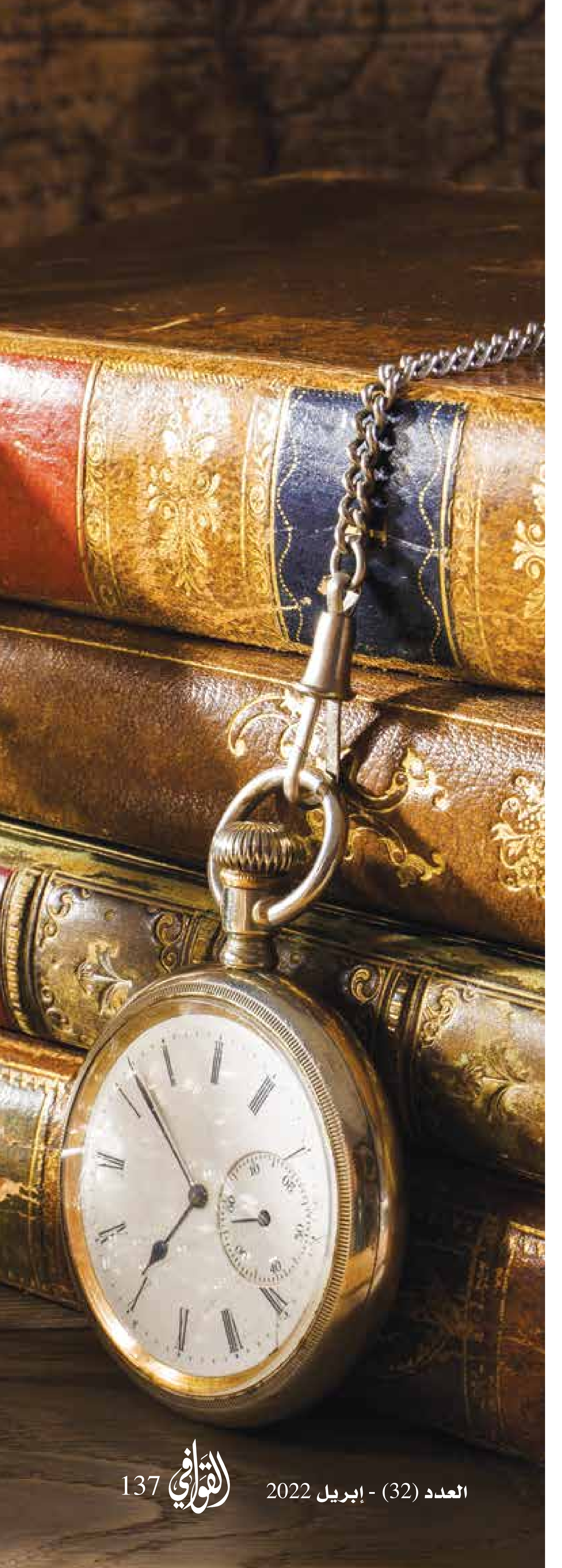


تتفاوت قصائدهم بين النَّزعة العقليَّة والوجدانيَّة

الشعراء الفقهاء..

كنوز الحكمة والإحساس العذب

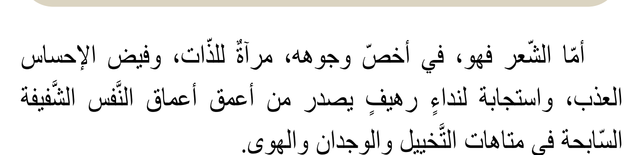






د. أحمد علي شحوري
لبنان

قد تُثير عبارة الفقهاء الشّعراء شيئاً من الاستهجان لدى القرّاء، وقد تطرح إشكاليَّة العلاقة بين فتنة الشّعر وهداية الفقه. ولعلَّ أجْلى وظائف الفقه تتمثَّل في رسم القواعد الشَّرعيَّة، واستنباط الأحكام الدّينيَّة الَّتي تعصم الإنسان المسلم من الوقوع في مزالق الغواية، أو من اتّباع نداء الذّات النّزِقة.



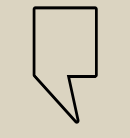
فئة من الفقهاء نجحوا في تأثيث إقليم للمجاز

أمّا الشّعر فهو، في أخصّ وجوهه، مرآةٌ للذّات، وفيض الإحساس العذب، واستجابة لنداءٍ رهيفٍ يصدر من أعمق أعماق النَّفس الشَّفيفة السّابحة في متاهات التَّخييل والوجدان والهوى.

ففي حين ينحو الفقه نحو إقامة الأسيجة حول الذّات، ورفع إشارات سيرٍ كثيرةٍ في درب المؤمنين لإحراز تحقيق استقامتهم في طريقٍ ثابتةٍ واضحةٍ قابلةٍ للملاحظة والقياس، فإنَّ الشّعر يتسلَّل خلف الحدود الرّاسخة، وتُغويه الإقامةُ في أرض المغامرة الرّجراجة، والقفزُ الحرُّ على دروبٍ بلا موجّهاتٍ للمسير. والفقه قنديلٌ زيتُهُ العقلُ وآليّاتُهُ المنطقيَّةُ ليضيءَ الحدود الواضحة الَّتي تضبط سلوك المسلم وإيقاع حركته اليوميَّة، أمّا الشّعر فهو إيقاعٌ يأنف الرّتابة والتّكرار؛ لأنَّه مضبوط على نبض الحياة بصخبها وهدوئها، وهو مشكاةٌ لا تضيءُ ما لم يمسسها زيتٌ من مزيج العقل والحلم والحدس واللّاوعي والعاطفة.

وعلى الرَّغم من المفارقة الظّاهرة بين طرفي عبارة الفقهاء الشّعراء، فإنَّ فئةً واسعةً من الفقهاء دأبوا على نفض غبار النّسيان أو رمال الغفلة عن مواهبهم الشّعريَّة، ونجحوا في تأثيث إقليمٍ للمجاز لا تفتر فيه حساسية المشاعر السّيّالة؛ ولِمَ يئدون صوتَ الإبداع الشّعريّ في دواخلهم، وبعض الصّحابة كانوا من كبار الشّعراء؟ أليس الصّحابيّ الشّاعر كعب بن زهير، صاحب البُردة يفتتح قصيدته بالغزل:

بانَتْ سُعادُ، فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ
مُتَيَّمٌ إِثْرَها، لَمْ يُجْزَ مَكْبولُ
هَيْفاءُ مُقْبِلَةً، عَجْزاءُ مُدْبِرَةً
لا يُشْتكى قِصَرٌ مِنْها، ولا طولُ



برعوا في الحكمة والغزل والوصف والعتاب

وبالعودة إلى ديوان الفقهاء، يتبيَّن أنَّهم ألَّفوا شعراً في شتَّى الأغراض الشّعريَّة من الحكمة والغزل والمدح والوصف والفخر والعتاب والهجاء والرّثاء.

حكمة وتأمل

وهو من أكثر الأغراض حضوراً في ديوان الفقهاء، والأكثر التصاقاً بغايات الفقه الّتي تصبّ في خدمة توجيه الإنسان المسلم نحو الاستقامة والهداية. ويتجلّى في شعرهم عبر تأمّل عوالم الدّنيا والخلق والزّمن تأمّلاً وجدانيّاً ذاتيّاً، وعبر الوعظ والإرشاد المباشرين. فنقرأ، في العصرين الرّاشديّ والأمويّ، للشّاعر والتّابعيّ الفقيه أبي الأسود الدّؤليّ، أبياتاً تحفل بالوعظ والنّصح بالتّوكُّل على الله لترتاض النّفس على الثّقة بالله والاطمئنان به:

إذا كُنْتَ مَعْنِيّاً بِأَمْرٍ تُريدُهُ
فَما لِلْمَضاءِ والتَّوكُّلِ مِنْ مِثْلِ
تَوَكَّلْ وَحَمِّلْ أَمْرَكَ اللهَ إنَّ ما
تُرادُ بِهِ آتيكَ فَاقْنَعْ بِذي الفَضْلِ

ونقرأ، في العصر الأمويّ، للفقيه الشّاعر سابق بن عبدالله البربريّ، أبياتاً في الحكمة والزّهد في الدّنيا وتأمّل أحوالها المتغيّرة دائماً من صفوٍ إلى كدَرٍ، فيُحذِّر من عواقبها، ويدعو إلى الاقتداء بغرر الأمّة الصّالحين الهادين:

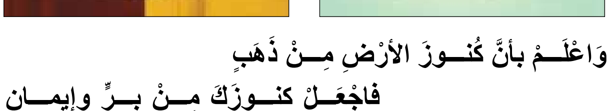
فَما صَفا لامْرِئٍ عَيْشٌ يُسَرُّ بِهِ
إلّا سَيَتْبَعُ يَوماً صَفْوَهُ كَدَرُ
لَها حَلاوةُ عَيْشٍ غَيْرُ دائمةٍ
وفي العَواقِبِ مِنْها المُرُّ والصَّبِرُ
ثُمَّ اقْتَدوا بالأُلى كانوا لَكُمْ غُرَراً
وَلَيْسَ مِنْ أُمَّةٍ إلّا لَها غُرَرُ

أمّا في العصر العبّاسيّ، فيطالعنا الشّاعر والفقيه الزّاهد عبد الله بن المبارك، بوعظه وحكمه؛ ففي بعض قصائده يُرغّب المؤمنين بطاعة الله، وهجران المعاصي، لأنّهم متى دُفِنوا تحت التّراب، فليس ينفعهم قريبٌ أو حميمٌ، فيقول:

فَحَتّى متى تَعْصي الإلهَ؟ إلى مَتى
تُبارِزُ ربّي، إنَّهُ لَرَحيمُ؟
وَلَوْ قَدْ تَوَسَّدْتَ الثَّرَى وَافْتَرَشْتَهُ
صُرِعْتَ ولا يَلْوي عَلَيْكَ حَميمُ

وللإمام محمّد بن إدريس الشافعيّ - صاحب المذهب الشّافعيّ في الفقه الإسلاميّ، والشّاعر والعَلَم في علْمَي التّفسير والحديث – ديوانٌ يُعدّ نبعاً صافياً تُستقى منه الحكمة والعبر المستخلصة من تجارب الحياة؛ فهو يدعو الإنسان إلى التّزوّد من الدّنيا بكنوز البرّ والإيمان لا بكنوز الذّهب:

مخطوط البهجة الوردية لابن الوردي الشافعي



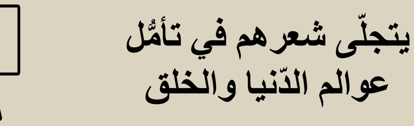
وَاعْلَمْ بأنَّ كُنوزَ الأرْضِ مِنْ ذَهَبٍ
فاجْعَلْ كنوزَكَ مِنْ بِرٍّ وإيمانِ

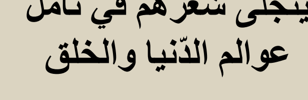
كما يدعو مَنْ أسرف في ارتكاب الذّنوب والمعاصي إلى عدم القنوط من رحمة الله تعالى الّذي ألهم قلبَهُ التّوحيدَ لينجو من نار جهنّم، فيقول:

إنْ كنْتَ تَغْدو في الذّنوبِ جَليدا
وَتَخافُ في يَوْمِ المَعادِ وَعيدا
فَلَقَدْ أَتاكَ مِنَ المُهَيْمِنِ عَفْوُهُ
وأَتاحَ مِنْ نِعَمٍ عليكَ مَزيدا
لا تَيْأَسَنْ مِنْ لُطْفِ رَبِّكَ في الحَشا
في بَطْنِ أُمِّكَ مُضْغَةً وَوَليدا
لَوْ شاءَ أَنْ تَصْلى جَهَنَّمَ خالداً
ما كانَ أَلْهَمَ قَلْبَكَ التَّوحيدا

أمّا في الأندلس، فنقرأ، لدى العلّامة الفقيه والشّاعر ابن حزم، قصائد وعظٍ وإرشادٍ حافلةً بالمعاني الإسلاميّة، ومعقودةً على أدلّةٍ عقليّةٍ منطقيّةٍ بهدف الإقناع للعمل بها؛ فهو يدعو الإنسان المسلم إلى ألّا يتجاوز ما جاء به الإسلام ليفوز في الآخرة، وإلى ألّا ينشغل بالدّنيا لأنّها محض وَهْمٍ؛ فالجميع سيفنون، ولا ينفع حينها النّدم:

فَما هَذِهِ الدّارُ إنْ حُصِّلَتْ
حَقيقَتُها غَيْرُ طَيْفٍ أَلَمّ
سَيَفْنى العَزيزُ وَيَفْنى الذَّليلُ
وتَفْنى القُوى وَسَيَفْنى الأَكَمّ
يَبيدُ الجَميعُ فلا تَغْتَرِرْ
بِما لا يَدومُ لِمَنْ لَمْ يَدُمْ
فَدارُ النَّعيمِ لِأَهْلِ الفَلاحِ
وَنارٌ لِمَنْ قَدْ عَصى تَصْطَلِمْ
فَبادِرْ قُبَيْلَ حُلولِ الرَّدى
فَتَنْدَمُ إذْ لَيْسَ يُغْني النَّدَمْ





يتجلّى شعرهم في تأمّل عوالم الدّنيا والخلق

وفي باب النَّصح الاجتماعيّ المستمدّ من الآداب الإسلاميّة، يدعو الفقيه والشّاعر ابن الورديّ، في العصر المملوكيّ، إلى الامتناع عن النَّميمة، فيطلب ممَّن ينقل إليه كلام حاسديه الكفّ عن ذلك؛ لأنَّ في نقله تكمن الأذيَّة:

يــا ناقــلاً إلــيَّ قَــوْلَ حاسِــــدي
لا يَنْبَغــي نَقــلُ الَّـــذي لا يَنْبغــي
لا تُؤذِنــي بِحُجَّــةِ النُّصْــحِ فَمــا
أَسْــمَعَني السّــوءَ سِــوى مُبلِّغــي

شعر الغزل

وهو من الأغراض الَّتي طرقها عددٌ من الفقهاء ممَّن يُجيدون الشّعر الرَّقيق العذب، ومعظم هؤلاء طرقوه من زاوية الغزل بأزواجهم، فتجلَّت فيه العفَّة والنّقاء والارتفاع على الوصف الحسّيّ، والمواقف المثيرة. ولعلَّ أكثر الفقهاء الغزليّين الفقيه والشّاعر المرهف عروة بن أذينة، في القرن الهجريّ الأوَّل في الحقبة الأمويَّة. وقد عدَّه الذَّهبيُّ والكتبيُّ «من فحول الشّعراء»، فقد شغل الناس بشعره الشَّفيف في الحبّ والغزل، وكان كابن ربيعة، في تعلّق النّساء والمحبّين بشعره، إلّا أنّه لم يكن مثله، بل كان على جانبٍ رفيعٍ من الصّيانة والدّين. يُعبّر، في إحدى قصائده الغزليَّة، عن شدَّة تعلّقه بحبيبته سُعدى الّتي تكتوي أحشاؤه بنار حبّها من غير أن يُطفئها برد الماء:

إذا وَجَــدْتُ أُوارَ الحُــبِّ فــي كَبِــدي
عَمَــدْتُ نَحْــوَ سِــقاءِ القَــوْمِ أَبْتَــرِدُ
هَبْنــــــي بَرَدْتُ بِبَرْدِ المـــاءِ ظاهِرَهُ
فَمَــنْ لنــارٍ علــى الأَحْشــاءِ تَتَّقِــدُ

وفي قصيدة أخرى، غاية في الرّقة والجمال والسّهولة والتّناسق الموسيقيّ المطرب، يُعبّر عن شدَّة صبابته إلى سُعدى الَّتي تمتنع عن ردّ تحيَّته أحياناً، خوفاً من أعين الرّقباء، ويصف بعض مفاتنها وصفاً حسّيّاً، ولكنْ من غير ابتذال:

وَيَبيــتُ بَيْــنَ جَوانحـــي حُبٌّ لَهــا
لَــوْ كانَ تَحْــتَ فِراشِــها لَأَقَلَّهــا
وَلَعَمْرُهــا لَـــوْ كانَ حُبُّــكَ فوْقَهــا
يَوْمــاً وَقَــدْ ضَحِيَــتْ إذنْ لَأَظَلَّهــا
بَيْضــاءُ باكَرَهــا النَّعيــمُ فَصاغَهــا
بِلَبــــاقَةٍ فَأَدَقَّهــــا وَأَجَلَّهــــا
لمّــا عَرَضْــتُ مُســلِّماً لــي حــاجَةٌ
أَرْجــو مَعونَتَهــا وَأَخْشــى ذُلَّهــا
مَنَعَــتْ تَحِيَّتَهــا، فَقُلْــتُ لِصاحبــي
مــا كـــانَ أَكْثَرَهــا لَنــا وَأَقَلَّها
فَـــدَنا فَقـــالَ: لَعلَّهــــا مَعْذورةٌ
مِــنْ أَجْـلِ رِقْبَتِهــا، فَقُلْــتُ لَعلَّهــا

مخطوطة رسالة الإمام الشافعي في أصول الفقه

ابن حزم قصائده حافلة بالمعاني الإسلامية

ولم يكتفِ بعضُ الفقهاء بتأليف المصنّفات في الفقه والأحكام الدّينيَّة، بل كانوا فقهاء عشقٍ وغرامٍ ألَّفوا المصنَّفات في أحوال الهوى والعاشقين وعلامات الحبّ وجهاته وتصاريفه، أمثال الفقيه والشّاعر محمّد بن داود الظّاهريّ، صاحب كتاب «الزّهرة» في العصر العبّاسيّ، والفقيه الأندلسيّ ابن حزم، صاحب كتاب «طوق الحمامة في الأُلفة والأُلّاف». وممّا يروى أنَّ الشّاعر المعروف ابن الرّوميّ، حضر مجلس ابن داود، فدفع إليه رقعةً كُتِبَ فيها:

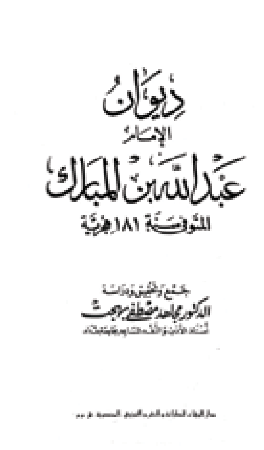
يا ابْــنَ داودَ يا فَقيـــهَ العِـــراقِ
أَفْتِنـــا فـــي قَواتِـــلِ الأَحْـــداقِ
هَــلْ عَلَيْهنَّ فــي الجُــروحِ قِصاصٌ
أَمْ مُبـــاحٌ لَهـــا دَمُ العُشّـــاقِ

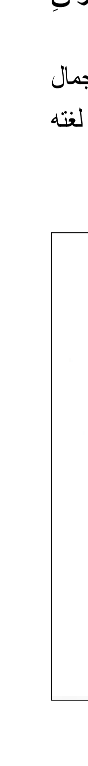
فأجابه:

كَيْــفَ يُفْتيكُــمُ قَتيــلٌ صَريـــعٌ
بِسِهـــامِ الفِـــراقِ والإشْتِيــاقِ
وَقَتيــلُ التَّـــلاقِ أَحْسَـــنُ حـــالاً
عِنْـــدَ داودَ مِـــنْ قَتيـــلِ الفِـراقِ

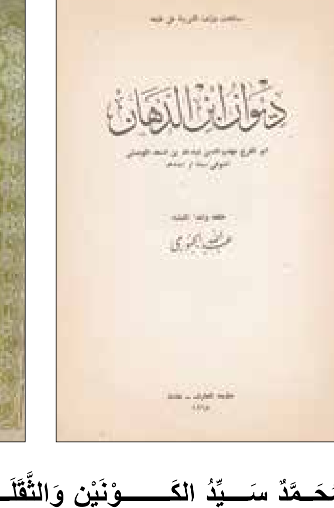
وفي العصر الحديث، نقرأ للفقيه والشّاعر العراقيّ مصطفى جمال الدين، غزلاً رقيقاً مموسقاً سلساً يُضارع شعر نزار قبّانيّ، في لغته الرَّشيقة، وتوظيف لعبة مرايا الضَّمائر بينه وبين حبيبته، فيقول:







تُسائِلُني خُلْوَتي: مَنْ أكونُ
إذا أنْتَ أبْعَدْتَ عَنْ حَيِّنا
أهَذي الَّتي كَتَبَتْ لي تقولُ:
«مَنْ هيَ؟!».. قَدْ جَهِلَتْ مَنْ أنا
أما كُنْتُ أنْتِ.. وكُنْتِ أنا
وكُنّا جَميعاً صَدى بَعْضِنا؟!
أما ذُبْتُ فيكِ لَظًى جاحِماً
وذُبْتِ بِقَلْبي نَدىً لَيِّنا؟!
ألَمْ تَدْخُلي أُذُني كِلْمَةً
مُمَوْسَقَةً كَرَفيفِ السَّنى
وأدْخُلُ مِنْ أُذْنَيْكِ بِثَوْبٍ
مِنَ الشِّعْرِ قَدْ حيْكَ لي والغِنا؟!

قصائد المدح

القصائد المدحيّة بارزةٌ في شعر الفقهاء الّذين يلفت أنّهم لم يمدحوا تكسّباً أو طمعاً بالجوائز على عادة معظم الشّعراء المدّاحين، بل انطلاقاً من توجّهاتهم العقديّة، فأكثروا من مدح الرّسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والخلفاء، وأهل العلم والتّقوى، والقادة، والأشراف. ولعلّ الفقيه والشّاعر البوصيريّ الّذي عاصر الدّولة المملوكيّة من أكثر الشّعراء نظماً للمدائح النّبويّة؛ فهو يخاطب النّبيّ صلى الله عليه وسلم مادحاً في «بُردته» الشّهيرة، فيُبيّن فضله على جميع الخلق، ويُبرز عظمته وخُلُقه وعلمه وكرمه:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَـ
ـيْنِ والفَريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمِ
نَبِيُّنا الآمِرُ النّاهي فَلا أحَدٌ
أبَرَّ في قَوْلِ «لا» مِنْهُ ولا «نَعَمِ»
هُوَ الحَبيبُ الَّذي تُرْجى شَفاعَتُهُ
لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأهْوالِ مُقْتَحَمِ
دَعا إلى اللهِ فالمُسْتَمْسِكونَ بِهِ
مُسْتَمْسِكونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ
فاقَ النَّبِيّينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ
وَلَمْ يُدانوهُ في عِلْمٍ ولا كَرَمِ


مخطوط شرح قصيدة كعب بن زهير





امتلكوا أسرار البلاغة ومفاتيح اللغة الجماليَّة

أغراضٌ أخرى

ولم يَكْتَفِ الفقهاء بالأغراض الشّعريّة الثّلاثة المذكورة آنفاً، بل طرقوا معظم الأغراض التّقليديّة الشّائعة في الشّعر العربيّ من الوصف، والرّثاء، والفخر، والهجاء، والعتاب والشّكوى، والإخوانيّات، والشّعر التّعليميّ. وبما أنّ المقام لا يتّسع لتفصيل الكلام عليها جميعاً، فنكتفي بنموذج من وصف الفقهاء للشّاعر والفقيه ابن الدّهان الموصليّ، زمن الدّولة الزّنكيّة، وذلك في وصف نهر دمشق ضمن مشهدٍ متحرّكٍ بديع؛ حيث تتمايل الأشجار متراقصةً إلى جانب المياه الدّافقة، فتتساقط ثمارها المتلألئة، وتتفجّر عيون الماء، وتجري السّواقي الّتي تجذب الأنظار:

وَصَفَّقَ النَّهْرُ وَالأَغْصانُ قَدْ رَقَصَتْ
فَنَقَّطَتْهُ بِدُرٍّ مِنْ تَراقيها
كَأَنَّما رَقْصُها أَوْهى قَلائِدَها
وَخانَها النَّظْمُ فانْثالَتْ لآليها
وَأَعْيُنُ الماءِ قَدْ أَجْرَتْ سَواقيها
والأَعْيُنُ النُّجْلُ قَدْ جارَتْ سَواقيها

وفي الختام، يتبيّن أنّ الشّعراء من الفقهاء هم أصحاب شعرٍ ملتزم، تتفاوت قصائدهم فيها بين النّزعة العقليّة الإرشاديّة والنّزعة الوجدانيّة الذّاتيّة الخالصة؛ إذ لم يكن تخصّصهم بصناعة الفقه مانعاً من امتلاك الكثيرين منهم أسرارَ البلاغة ومفاتيح الفتنة الجماليّة والشّعريّة.

لِآخِرِ رَكْعَة

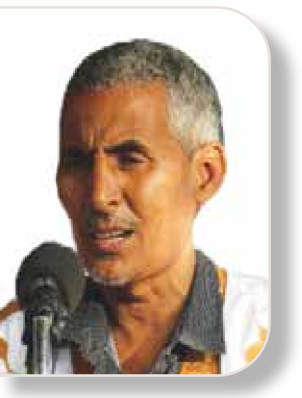


حازم مبروك
مصر

عَلَى حَرْفي مِنَ المعْنَى أُطِلُّ
فقَوْلِي لا يَزِيدُ وَلا يَقِلُّ
أُقَايِضُهُ بِرُوحِي كُلَّ نَزْفٍ
فحِفْظُ الرُّوحِ عِنْدَ البَوْحِ بُخْلُ
وَلَسْتُ شَبِيهَهُمْ بَلْ كُنْتُ وَحْدِي
أَدُلُّ عَلَى القَصِيدَةِ لَا أُدلُّ
عَلَى قَلَقِ المسَافَةِ سَارَ خَطْوِي
وَلِي فِي النَّفْسِ أُحْجِيَةٌ وَحَلُّ
أُسَافِرُ بَيْنَ ظَنِّي وَاحْتمالي
بِأَيِّ الغَيْمَتَيْنِ سَأَسْتَظِلُّ
وَبَوْصَلَتِي إِلَى الإِنْسَانِ قَلْبِي
عَلَيْهِ .. بِهِ .. إِلَيْهِ سَأَسْتَدِلُّ
إِذَا اخْتَلَفَتْ مَشَارِبُنَا فَفِينَا
مِنَ الأَرْحَامِ لِلأَرْحَامِ حَبْلُ
تَدُلُّ بِنَا مَلامحُنَا عَلَيْنًا
بِأَنَّا إِخْوَةٌ والطِّينُ نَسْلُ
أَخُوكَ شَبَابُكَ المْلُوءُ عَزْماً
وأَنْتَ بِدُونِهِ في الكَوْنِ كَهْلُ
كَذَلِكَ سُنَّةُ المخْتَارِ تَهْدِي
بِأَنَّ الكُلَّ فِي الأَصْلَابِ أَهْلُ
مُحَمَّدُ يَا دليلَ الحبِّ .. حَسْبِي
بِأَنَّ الفجْرَ دُونَ هُدَاكَ لَيْلُ
وَأَنَّكَ تُقْرِضُ الأَرْوَاحَ نُوراً
تزيدُ مِنَ العَطَاءِ رِباً يَحِلُّ
وَتَعْدِلُ مَيْلَ هَذَا الكَوْنِ حُكْماً
فَحَزْمُكَ وَابِلٌ .. وَرِضَاكَ طَلُّ
وَغَيْرُكَ قَائِلٌ.. وَنَدَاكَ فِعْلٌ
أَلَا لا يَسْتَوِي قَوْلٌ وفِعْلُ

تَحَارُ (كَأَنَّ) فِي شَبَهٍ، فَأَنَّى
تُشَبِّهُ بِالفُرُوعِ وأَنْتَ أَصْلُ
تَمِيلُ بِنَا الشَّدَائِدُ حَيْثُ مَالَتْ
ووَحْدَكَ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ نَخْلُ
يَتِيمٌ كَرَّمَ الأَيْتَامَ فِيهِ
فَقَبْلَكَ لَمْ يَلُذْ بِاليُتْمِ طِفْلُ
فَيَا غَاراً يَضُمُّ الطُّهْرَ حِضْناً
يُرَتِّلُ فِيهِ قُرآناً ويَتْلُو
بِرَبِّكَ كَيْفَ كَانَ النَّاسُ غُلْفاً
وصَخْرُكَ نَقْشُهُ قَلْبٌ وعَقْلُ؟!
رَسُولَ اللهِ جِئْتُكَ والأَمَانِي
عَلَى كَفَّيْكَ قَدْ صَامُوا وصَلُّوا
عَلَى كَتِفَيَّ أَوْزَارُ انْتظَارِي
ومَا أَجَّلْتُ مِنْ دَيْنٍ يَحُلُّ
أَضِيقُ و أَضْلُعِي قُضْبَانُ سِجْنٍ
وسَيْفُ الشَّكِّ فِيهَا لا يُسَلُّ
تُجَاذِبُنِي ظُنُونِي مِنْ يَقِينِي
وصَوْتُ الحقِّ يَخْفِتُ ثُمَّ يَعْلُو
وقَوْمِي بَيْنَ مُعْتَنِقِ ارْتِيَابٍ
وآخَرَ بِالحقِيقَةِ يَسْتَقِلُّ
فَمُدَّ لَنَا بِحَبْلِ الضَّوْءِ إِنَّا
بِبِئْرِ الْخَوْفِ أَشْبَاحٌ تُطِلُّ
نُرَاعُ إِذَا عَوَتْ بِاللَّيْلِ رِيحٌ
ونُهْرَعُ إِنْ بَدَا لِلذِّئْبِ ظِلُّ
وذَلِكَ حَالُنَا .. لَكِنَّ صَوْتاً
يُنَادِي: شَطْرَ نُورِ اللهِ وَلُّوا
لَزِمْتُ صِرَاطَ حُبِّكَ مُسْتَقِيماً
ومَنْ لَزِمَ الطَّرِيقَ فَلَا يَضِلّ

الهروب



أحمدو بولمساك
موريتانيا

ذَكَرْتُكِ لَمْ يَبْقَ مِنْكِ بِذِهْنيَ غَيْر
الْتِماعاتِ طَيْفٍ ضَئيلٍ
تأوّبَني في هَزيعِ
الدَّمِ الْمُتَمَوّجِ
بالأسْئلَةْ
تأوَّبَني حِينَما يَتَماهى
الزَّمانُ
الْمُقَنّعُ في وَهَجِ الْمَرْحَلَةْ
تأوّبَني حِينَ يَرْتَفِعُ السَّتْرُ
عَنْ صَلَواتِ الغَمامِ
وإذْ نَتَنَفَّسُ أهْباءَ قُبّرَةٍ مُهْمَلَةْ
ذَكَرْتُكِ لَمْ يَبْقَ مِنْكِ
على شاطِئِ الْجُرْحِ
غَيْرُ اللآّلِئِ
مِنْ بَثّ يَعْقوبَ تَمْلؤني
بالصَّفاءِ
لِأُبْصِرَ وَجْهكِ كالشِّعْر
أو كالْغِناءِ

وحِينَ تَغَسَّلْتُ
مِنْ ماءِ عُذْرَةَ باغَمَ رُوحي رَفيفُ
السَّماءِ
ولَكنْ رَحَلْتِ ولَمْ يَبْقَ مِنْكِ سِوى
حُلُمٍ
وبَقايا نِداءٍ
سِوى لَحْظَةٍ في مَرايا
التَّبَلُّجِ شَارِقَةٍ
بالدّماءِ
وكُنْتِ تُطِلّينَ كالشُّرْفةِ السَّاهِرَةْ
عَلى مُبْهَماتِ الْمَدى تَتَناغَمُ
في لَحْظَةٍ عابِرةْ
وتَحْفِرُ أغْنِيةَ الصَّمْت
في خَلَدِ الْبَحْرِ
كَيْما يَثُورَ
لِيَقْذفَ بالْجيفِ الآسِناتِ ويَمْتَدَّ
حَوْلَكِ سوراً
أيا امْرأةً تَتَوحّدُ فيها الرَّوائحُ

واللَّوْنُ والنَّغَمُ القُزَحِيُّ
حَنانَكِ إنَّ امْتدادَكِ في ساحِلِ
القَلْبِ
أوْقدَ زُرْقةَ عَيْنَيْكِ بَيْنَ المَرَايَا
فَكُنْتُ أَرَى الْبَحْرَ حينَ أرَى
لَوْنَ عَيْنَيْكِ
مُلْتَمِعاً بالشَّظايا
فَيَمْلَؤُني بالذُّهولِ
وأهْرُبُ أهْرُبُ
لكنّهُ الْبَحْرُ شَلّالُ خَوْفٍ
يلاحِقُ كُلَّ الطُّيورِ
أيا نَخْلةً في عَراءِ التَّشَرُّدِ
هَلْ في حَناياكِ
مُتَّسعٍ لِلْعَناءِ
تَفِرُّ إليهِ الْعصافيرُ
مِنْ لَعْنةِ الْبَحْرِ
فالْبَحْرُ مازَالَ يَهْذي
والْبَحْرُ

مِنْ دُونك الْبَحْرُ
شلالُ خوفٍ يُلاحقُ
كل الطيورِ
أيا النَّخلة المستَطابةِ
يا الْمَرأةُ الْحالمةْ
سأنْحتُ تِمثالَ عَيْنَيْكِ
مِنْ زُرْقَةِ
الْبَحْرِ
كَيْ يَفْهم الْبَحْرُ أنّي
أنا الْمُتَصَوّفُ
بَيْن ذِراعَيكِ
والْمُتَهَدّلُ في خَلجاتِك
كَيْ يَفْهَم الْبَحْرُ
أنّ السّنابلَ تكبرُ
في الْجُرْحِ
مَهْما تَوَعّدها الرّعدُ والبرقُ
أو..
ياسرتها السّحاب!

غياب



فوّاز الشروقي
البحرين

تَغيبينَ عَنْ عَيْنيّ يَوْماً وأَشْعُرُ ... كأنّ غِيابَ الْيَوْمِ عامٌ وأَكْثَرُ
فَكَيْفَ بأُسْبوعٍ تَغِيبينَ يا مُنى ... فُؤادي وهَلْ قَلْبي عَلَيْهِ سَيَقْدِرُ؟
دَعِيني بأَوْقاتي الأَخيرةِ أَرْتَوي ... بِعَيْنَيْكِ إنَّ الوَقْتَ كالْوَمْضِ يَعْبُرُ
وقُولي وقُولي ما أَرَدْتِ فَلَنْ تَرَيْ ... حَديثاً إذا حَدَّثْتِهِ مِنْهُ أَضْجَرُ
حَديثُكِ هذا في غِيابِكِ غَيْمةٌ ... إذا اشْتَقْتُ ظلّتْ مِنْ حَكاياكِ تُمْطرُ
أطيلي بِتَوْديعي فَواللهِ إنّني ... مِنَ الآنَ قَلْبي مُوجَعٌ مُتأثّرُ
ولا تَرْحَلي عَنّي ولَيْسَ على يَدي ... سَلامٌ رَقيقٌ مِنْ يَدَيْكِ مُعَطّرُ
غداً أَبْتدي مِشْوارَ شَوْقي ولَهْفَتي ... وعَقْرَبُ وَقْتي واقِفٌ مُتَعَثّرُ
يَمُرُّ أمامي كُلُّ وَقْتٍ قَضَيْتُهُ ... بدونِكِ يا روحي وكَمْ أَتَحَسّرُ
وأَطْلبُ مَرّاتٍ بأَنْ تَتواصَلي ... مَعي دونَ شُغْلٍ إنّما أَتَعذّرُ
غِيابُكِ أُسبوعاً يوتّرني وَلَوْ ... تأخّرتِ قدْ يَقْضي عَليّ التّوتُّرُ

ربّة الشعر



أحمد عبد الفتاح
مصر

عَوْدٌ على الْبَدْءِ أمْ بَدْءٌ على عَجَلِ ... أمْ تِلْكَ أُخْرى مِنَ الأوْهامِ بالأَمَلِ
يا رَبّةَ الشِّعْرِ، إنَّ الشِّعْرَ يَسْكُنُني ... مُذْ كُنْتُ أَسْتبِقُ الأيّامَ بالْحِيلِ
لا قَيْدَ يَمْنَعُني إذْ صِرْتُ أنْظُمُهُ ... إلّا الْحَياءُ، فما خَوْفي مِنَ الزَّلَلِ
هذا غَرامُكِ، لا تَبْدو عَوارِضُهُ ... مَهْما أنوءُ بما ألْقاهُ مِنْ كَلَلِ
فُضّي سُكونَكِ، هيئي الأرْضَ وانْتَظري ... ماءَ ارْتوائِكِ مِنْ غَيْمي على مَهَلِ
مُرّي بِلُجةِ أَشْواقي مُلَبِّيةً ... أو فاكْشِفي ساقَكِ المُزْجاةَ في أَجَلي
فيضي بِحَمْلِكِ، جِذْعُ النَّخْلِ في شَغَفٍ ... واسْتَمْطِريه فلَنْ يَخْشى مِنَ البَلَلِ
حَرْفي وحَرْفُكِ في الألْواحِ ما نُسِخا ... صِنْوانِ ما افْترقا مِنْ سالفِ الأَزَلِ
عُمْري قَصيرٌ، فلا الأيّامُ تَسْتُرُني ... إنْ كُنْتُ أرْجو، ولا صَبْري بِمُحْتَمَلِ
مازِلْتُ أمْلِكُ حَبْلَ الوُدِّ سَيِّدتي ... بَيْني وبَيْنَكِ سِرُّ العِشْقِ والقُبَلِ

أُحجِيَةُ الصَّلْصَال



شيريهان الطيب
السودان

لأنَّ غَيْماً تجلّى في مُخَيِّلَتِي
وراحَ يَسْكبُ مِنْ آثارِهِ لُغتِي
سافَرْتُ في وَجَعِ الصَّلْصالِ أزْمِنةً
وما جَنَيْتُ سِوى شَكِّي وأَسْئِلَتِي
لأنَّ عِطْراً بَكى مِنْ جُرْحِ وَرْدَتِهِ
وكانَ يَسْمعُ صَوْتَ الرَّمْلِ في الرِّئةِ
أطْلَقْتُ مَعْنايَ لَمَّا اهْتَزَّ قَوْسُ دَمي
ما بَيْنَ مُرْتَبكٍ حِيناً ومُنْفَلِتِ
هُنا أدورُ ونارُ الشِّعْرِ تَحْرِقُني
فلا مِياهَ ولا وَمْضٌ لِمُعْجِزَةِ
هناكَ هابيلُ لَمَّا الْفِتْنَةُ اشْتَعَلَتْ
غدا يَسيرُ بلا ظِلٍّ وجُمْجُمةِ
يا وَجْهَ قابيلَ هذا الطّينُ أتْعَبَنا
حَتّامَ نَحْمِلُ شَوْكَ الكُرْهِ والْعَنَتِ؟
هَذي الْبِلادُ رَسَمْناها على حَجَرٍ
كُنَّا الأزاميلَ مَنْسيّاً لِأَزْمِنَةِ
مَاتَ الْغُرابُ، وطِفْلٌ ظَلَّ يَسْأَلُنا
مَتى سَنَرْسُمُ لَوْنَ الْقَمْحِ والذُّرَةِ؟
أنْقى مِنَ الطّينِ، كانَتْ مُهْجَتي شَجَراً
يَدي غُصوناً وكانَ المُنْتَهى شَفَتِي
هَذي السَّماواتُ لَحْنٌ فارِهٌ لِدَمٍ
يَرى الطّبيعةَ فَنًّاً.. تِلْكَ فَلْسَفَتِي
فاخْلَعْ مَراياكَ إنَّ اللَّوْحَةَ اكْتَمَلَتْ
وافْرِدْ جَناحَيْكَ، لَا تَسْأَلْ عَنِ الْجِهَةِ

درس



محمد العيّاش
سوريا

أبْرقي.. وارْعِدي وكالرّيحِ هُبِّي
وامْطِري مثلَ أدمُعي خلفَ هُدْبي
وسهَاماً بجوفِ صدري اغْرزيها
وكُحُولاً على جِراحِيَ صُبِّي
واكرَهيني..إنْ شئتِ أنْ تكْرَهيني
واسْتَحبِّي ما شئتِ أنْ تستَحبِّي
عَذِّبيني.. فَلَنْ تنالي اعْترافاً
لمْ يَعُدْ في بَيَادري غيرُ عُشْبي
لستُ مثلَ النَّبيِّ أعفو..ولكنْ
سامحَ اللهُ مَنْ تَعَمَّدَ سَبِّي
هذهِ نفسي لمْ أقُمْ باخْتياري
فإذا كنتُ شاعراً ليسَ ذَنْبي
رغمَ كُلِّ الأذى الذي منكِ عندي
وبرغمِ الأسى بداخلِ قلبي
سَتُلَبِّينَ لو دَعوتُكِ.. لكنْ
أجمَلُ الأعيُنِ التي لا تُلَبّي
عِزَّتي ليسَ يحتويها عزيزٌ
وولائي لَمْ يُعطَ إلَّا لِرَبِّي
لَمْ يرَ النَّاسُ مثلَ شِعرِيَ شِعراً
لا..ولا أدرَكَ المُحبُّونَ حُبِّي
كُلَّ بيتٍ قد قُلْتُهُ في قصيدي
كانَ أحرى بقولِهِ المُتَنَبِّي

نوافل السمراء



عمر الراجي
المغرب

سَمْراءُ يا لُغةَ الرُّؤى والْماءِ
سَمْراءُ مثلُ حَقيقةِ الشُّعَراءِ
عَربيّةٌ كالسِّحْرِ، عَيْناكِ الْمَدى
والرّيقُ في الشَّفَتيْن: بَرْقُ سَمَاءِ
لا تَجْرَحي لَيْلَ الفُضولِ بِخاطِري
وتَيَمَّني خَيْراً بِجوع ظِبائِي
فَلَسوْفَ تلتحفُ الْغيومُ ببعضها
مَطَراً مِنَ الشَّهَقاتِ والأنْواءِ
ولَسَوْفَ تَنْهمرُ الْمَواسِمُ كُلَّها
في لَحْظةٍ مَجْنونةِ الأسْماءِ
نامي على صَدْرِ الْمَشَقَّةِ طِفْلتي
يا جَنّةَ النّارِ التي بِردَائي
أنا مِنْ ضُلوعِ الشَّوْقِ في جَسَدِ الْهَوى
نَعْشي الْتقاءُ النّارِ والْعَنْقاءِ
ودَمي الْتِهابُ الْوَصْلِ حينَ عِناقنا
شِريانُهُ الْمَجْروحُ بالأعْباءِ
يا مَطْلَعَ الأقْمارِ وَقْتَ تَمامِها
لا تُنْكري فَضْلَ السّديمِ النّائي

فَكواكِبُ الأشْواقِ ضَجَّ خُشوعُها
لَمّا احْتوتْنا لَحْظةُ الإغْماءِ
غَرّاءُ مِثلُ القَمْحِ، أنْتِ رَوافدٌ
لِلقادِمينَ، وأنْتِ نَبْضُ الماءِ
عَيْناكِ ما الإلْهام يا شَمْسَ الصِّبا
هَمَساتُنا، وحَقائبُ الإيماءِ
يا قِطْعةً مِنْ ياسَمينِ رَحيلِنا
وحَصادَ أعْوامٍ مِنَ الإغْواءِ
جَفَّتْ حُقولُ النّاي فاقْتَرِحي صَدى
لِكَلامِنا الْمَعْجونِ بالأضْواءِ
وتَعَطّري بالْبَحْرِ رُوحاً مِنْ شَذى
ويَداً تُعيدُ مَواسِمَ الْحِنّاءِ
بَيْني وبَيْن الْبَحْرِ دُونكِ رِحْلةٌ
صُوفيّةٌ... كَملامحِ الْغُرباءِ
وإلى مَدى عَيْنَيْكِ سَقْفٌ مُثْخَنٌ
بالْبُعْدِ، فاقْترحي سَحابَ لقائِي
سأجيءُ لا كَالْمُشْتَهى، لا كالْمُنى
لا غَازياً ، لا فَاتحاً ، لا رَاءِ
سأجِيء تُفّاحاً يُسامَحُ ذَنْبُه
لا ذَنْبَ - لا والله - مِنْ حَوّاءِ

الشـاعـر
بين نقطة وفاصلة وكلمات

يعبر الشاعر إلى اللغة، كي ينسجم مع حروفها ويسألها نقطة في آخر السطر، وفاصلة بين الكلمات، ويمضي مع الزمن لكي يقول: قصيدتي ليست فراغاً لكنها شجر ومطر وطير يغرّد في الأفق؛ فالشاعر عابر إلى أقاليم اللغة المبتكرة، يلهث خلف ورقة وقلم، ويكتب بخطّ صغير مفردات حاله النفسية من الفرح والدموع.

وكلما ألغى الفروق بينه وبين لغة الشعر، حرّك أصابعه، وشكّل الذكرى والوهم والخيال، وما يدور في العقل والقلب والشعور؛ فهو خفيٌّ يسير مع الغيم، وواضحٌ حين يعانق السّحاب وينادي على الحروف، كي يرفع الصوت وهو يكتب؛ فاللغة ينثرها في محيطه وهو يصعد ويُغمض عينيه، لكي يرى الضوء في طريقه أو يرى ورقة شجرة سقطت على الأرض.

سأمضي مع الشعر دون البحث عن قصائد ليست جديدة؛ سأمضي إلى قوافٍ حرّة تلتزم الشكل الإيقاعي للرحلة الشعرية، منذ بدايتها إلى الآن؛ فأن يكون الشعر رفيقي، فهذا ما يطمح إليه القلب، ليجسّد النسيم والسحب وهمهمات النجوم؛ فالفضاء فسيح، وشطآن الشعر لا تعرف النهاية، وكلما جئت لأستريح على الرمل، وجدت طواويس الكلام بانتظاري، فلا تدع لي فرصة لتغيير الوجه، فيبدو الشعر صعباً أن لا يفرّط في من يصطفيه، فهو مخلوق غريب مثل الشعراء، فلا أقدر أن أتّكئ على عصا سوى عصا الشعر، فهي عِوض لي من كل شيء، تمنحني قدرة وقوّة، فأشير بها إلى الحروف، فتتشكل كلمات، وأشعر في النهاية أنّي وصلت إلى منتصف البحر، وهناك أحسّ أن الحافلة تسير غير مهتمة بشكل الطريق ومدى تغيّر لون السّحاب، فأنا أنظر من سماء الشعر الآن، وأرى كل الطيور وهي تهاجر من مكان إلى آخر، فأنتهز الفرصة لكي أجرّب الطيران مع القصيدة، وأنا أعلم أنها لن تخذلني أبداً، إنّها تحاول أن تمنحني مجداً وزاوية في المقهى، لأقرأ شعري على جمهور غير معروف لا أنتظر منه أن يصفق في نهاية الحفل؛ فالشعر أجلّ من هذا كلّه، لأنه يغيب حين يحضر، ويحضر حين يغيب، فهو قادر على أن يفلسف الأشياء ويحركها بالاتجاه المغاير.

حديث الشعر

محمد عبدالله البريكي



القوافي
www.sdc.gov.ae
6 291100 753918